الثقافة الجديدة

فكر علمي
ثقافة تقدمية

207 آذار 1989
208 نيسان 1989

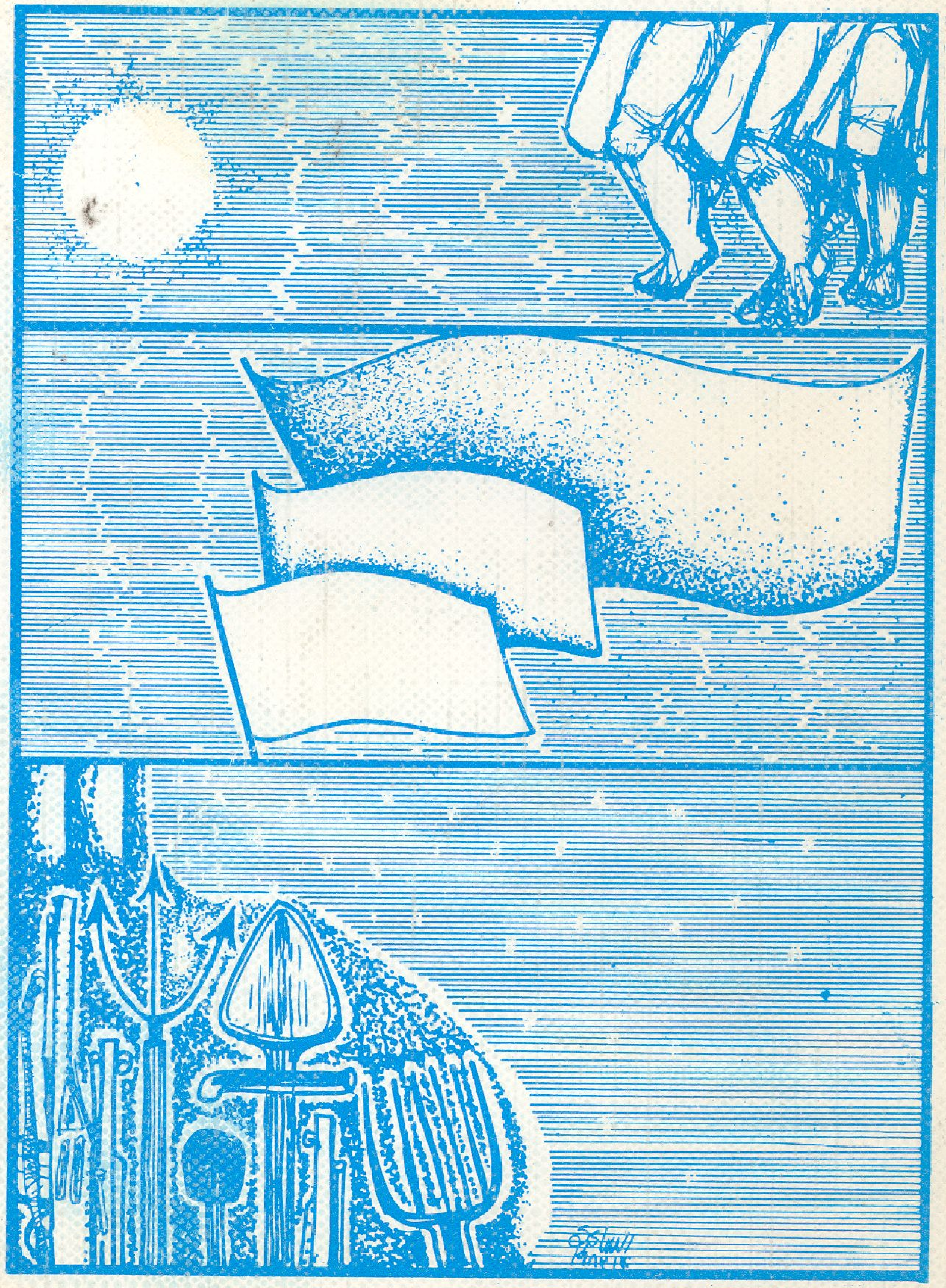

سلاما
عيد النضال

مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

فكر علمي
ثقافة تقدمية

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

207 _ 208

[illegible] السنة 36 [illegible] 1989
[illegible] نيسان 1989

فهرست

4 ـ بلاغ عن الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي.

6 ـ التقرير السياسي الصادر عن الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ـ أوائل آذار ١٩٨٩.

■ ملف الذكرى ٥٥ لتأسيس حزبنا

50 ـ عيد النضال ....

52 ـ سلاماً: يا عيد النضال .... الجواهري الكبير

53 ـ كلمة الحزب ....

57 ـ كلمة الأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية ....

60 ـ كلمة فصائل الثورة الفلسطينية وحركات التحرر العربية ....

63 ـ كلمة قوى المعارضة العراقية ....

67 ـ كلمة القيادة ...ية لحزب البعث العربي الاشتراكي ....

74 ـ من تجارب التنظيم السري والعمل الحزبي في الاسلام .... هادي العلوي

89 ـ الجد والحفيد في حزب واحد .... اعداد استيرا وأبو نسرين

98 ـ شعارات الذكرى ....

■ قضايا راهنة

103 ـ خيار النظام.. والخيار المطلوب وطنياً .... مهدي حبيب

114 ـ لبنان على مفترق خطير .... جورج البطل

126 ـ هل تحسنت معيشة العامل الأمريكي .... جورج كريكوريان

131 ـ القضايا المجرية من وجهات نظر مختلفة .... آلين جيرار

140 ـ تقاليد ثورة اكتوبر نصاً وروحاً .... مايكل اوريوردان

151 ـ البريسترويكا في الاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية العالمية .... نقاش

■ أبحاث

173 ـ فلسفة ماركس من التأويل العقائدي الجامد إلى التطور الابداعي . داميان بريستيل

■ عرض كتب

183 ـ بناء الأساس الفكري . . . . محمد مجدي كمال

■ تقارير

189- العراق ـ في الذكرى الأولى لمجزرة حلبجة ● تأثير استخدام السلاح الكيمياوي على الانسان والبيئة ● بلاغ صحفي عن نتائج اللقاءات بين القوى الوطنية والاسلامية العراقية.
الهند ـ المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الهندي . مجلس التعاون العربي ـ اعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة

■ أدب وفن

207 ـ ملف كوران . . . .
208 ـ كوران الظاهرة . . . . د. رفيق صابر
214 ـ كوران: الفن وأقاليم الأسئلة الصعبة . . . . د. كمال ميراودلي
ترجمة شيروان
229 ـ نبذة عن الشعر الكردي مع توكيد على كوران . . . . ترجمة هيام جاويد
237 ـ لمحات تمهيدية حول كوران . . . . سيروان
243 ـ كوران. . وحفنة الزبيب . . . . طه خليل
249 ـ مع كوران الشاعر الكبير. مع الرفيق هوشيار . . . . دلزار
253 ـ من شعر كوران . . . .
263 ـ أعمال فنية . . . . الفنان كاظم الداخل

■ وثائق

بلاغ عن الاجتماع الاعتيادي الكامل
للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
آذار ١٩٨٩

بحثت اللجنة المركزية في اجتماعها الاعتيادي الكامل الذي عقدته في آذار ١٩٨٩ المستجدات الهامة في البلاد، والاوضاع العربية والدولية، خصوصاً تلك التي تمارس تأثيراً مباشراً على وجهة تطور الاوضاع الناشئة نتيجة للحرب واثر توقفها ومآلها.

وفي تحليله للمظاهر البارزة في الوضع السياسي والاقتصادي ـ الاجتماعي، في مجرى حركة عناصرها الموضوعية، والميول المتناقضة المتحكمة فيها، دقق الاجتماع، وعمق توجهات الحزب التي اقرها اجتماع أيار ١٩٨٨ اخذاً بالحسبان الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة بما في ذلك الوضع العسكري الجديد الذي نشأ في منطقة نشاط حركة الانصار في كردستان، بعد الهجمة الفاشية لقوات السلطة المدعمة بالاسلحة الكيمياوية، وحدد الاجتماع على ضوء ذلك مهام الحزب الراهنة، واساليب عمله في ميادين نشاطه الرئيسية، خصوصاً على صعيد اعادة بناء وتعزيز تنظيمات الحزب، وتوجهات حركة الانصار، وتنشيط اشكال كفاحه الملائمة والجمع المنسق بين مختلف اساليب النضال.

كما أولى الاجتماع اهتماماً خاصاً بميدان التحالفات الوطنية، وقيم ايجابياً الجهود المبذولة لايجاد افضل صيغ التنسيق والتعاون بين الاحزاب والقوى الوطنية، وصولاً لاكثرها فعالية في إطار الجبهة العريضة.

وادانت اللجنة المركزية النشاط التخريبي وحددت موقفها من الضالعين فيه، وأكدت على أهمية وضرورة تنشيط الكفاح ضد افكارهم وتوجهاتهم وتعبئة المنظمات الحزبية في هذا الكفاح. كما اوضح الاجتماع التمايز بين صراع الآراء داخل الحزب وفقاً للضوابط والمبادىء التنظيمية وحيويته لتطور الحزب واغناء سياسته، وممارسات بعض المخالفين لسياسة الحزب، ممن يخرقون الانضباط الحزبي، ويتحولون إلى مواقع الليبرالية، ويخدمون بوعي أو دون وعي توجهات ضارة بالحزب. واوصى الاجتماع المكتب السياسي بمعالجة هذه الحالات الشاذة، بما يعزز وحدة الحزب ويقوي مواقعه. واتخذت اللجنة المركزية قراراً مستقلاً حول النشاط التخريبي.

وحددت اللجنة المركزية موقفها من «الحوار» الذي ازدادت الشائعات حوله في الفترة الأخيرة، رغم ان الأمر لم يتعد، بقدر تعلق الأمر بحزبنا، حدود احاديث من شخصيات غير رسمية دون ان تتضمن أي شيء جدي ملموس. وجرى التأكيد على ان «الحوار» كاسلوب نضالي لتحقيق اهدافنا، في حالة توفر مستلزماته، والتمهيد المناسب له، ينبغي ان يستجيب لتحقيق تطلعات شعبنا وحركتنا الوطنية، وان يكون علنياً، ويشمل الاطراف الوطنية مجتمعة.

وعالج الاجتماع طائفة من القضايا الفكرية والتنظيمية وغيرها، واتخذ القرارات المناسبة بشأنها. كما وجه عدداً من رسائل التحية.

وفي ضوء دراسة اوضاع ما بعد الحرب، على الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، صاغ الاجتماع التوجهات الرئيسية للعمل بين الجماهير، والربط بين مختلف اساليب الكفاح، لتحقيق المهمات الرئيسية في هذه المرحلة، واهاب بالشيوعيين تطوير عملهم المبدع في ميادين النضال السياسي والتنظيمي والفكري والعسكري.

وانتخبت اللجنة المركزية، في الجلسة الختامية للاجتماع، مكتبها السياسي، وجددت الثقة، بامينها العام.

وكان الاجتماع قد مجد عند افتتاحه، الذكرى الخامسة والخمسين لتأسيس الحزب التي تحل هذه الأيام. واشاد ببطولات شهدائه من قادة الحزب الميامين وكوادره واعضائه البواسل. وقيّم عالياً تضحيات مناضليه الرازحين في غياهب سجون الدكتاتورية، والذين يخوضون غمار العمل السري، وانصاره الذين يتحدون وسائل قمع الدكتاتورية واسلحتها الكيمياوية في ربوع كردستان، ويجترحون المآثر الملهمة في سبيل قضية الحزب والشعب. وحيا شهداء الحركة الوطنية، وحلفائه في «جود» و «الجبهة الكردستانية» ونضالات مناضليها.

تنويه

تتلافى طبعتنا هذه من التقرير بعض الاخطاء المطبعية في نصه المنشور بالكراس الذي سبق توزيعه.

ففي الصفحات ٤٨، ٤٩، ٥٠ من الكراس سقطت ارقام الفقرات من ٤ ـ ٩.

وفي الصفحة ٥٥ السطر ٨ من الكراس تصبح العبارة «القوى الوطنية والاسلامية العراقية» ويعاد، في الصفحة نفسها، ترتيب المهمات ليصبح بند «سحب الاساطيل....» تالياً لبند «الحل الملموس للقضية الكردية...»

التقرير السياسي
الصادر من
الاجتماع الاعتيادي الكامل
للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
أوائل آذار ١٩٨٩

شهدت الفترة التي اعقبت الاجتماع الاخير للجنة المركزية للحزب المنعقد في اواخر ايار ١٩٨٨، تطورات خطيرة في حياة البلاد السياسية، وعلى صعيد نضال حركة شعبنا الوطنية والديمقراطية.

وفي معرض تحليل اللوحة السياسية درست اللجنة المركزية في اجتماعها الأعتيادي الكامل، الذي عقدته في اوائل آذار ١٩٨٩، المستجدات الاساسية، مولية اهتماماً استثنائياً بالحرب العراقية ـ الايرانية، وما طرأ من تطورات هامة اثر وقف القتال وبعده، منطلقة، في دراستها للاوضاع، من الاحتكام إلى الوقائع الملموسة، وتوازن القوى، والتغيرات البنيوية العميقة التي تعرض لها المجتمع العراقي، وساعية إلى اجراء التدقيقات اللازمة لاساليب عملنا وتوجهاتنا، بالارتباط مع مجمل تلك التطورات، وفي اطار سياسة الحزب العامة المقرة.

وغني عن القول ان دراستنا لاوضاع بلادنا واساليبنا الكفاحية وتوجهاتنا ليست منعزلة عن معرفة ومعاينة ما يسود العالم من نزوع نحو التجديد، وتقييم التطورات الهامة على صعيد حل النزاعات المحلية والاقليمية في إطار التفكير السياسي الجديد.

لقد جاء ايقاف القتال في ساحة الحرب العراقية ـ الايرانية ثمرة لجملة من العوامل العالمية والاقليمية والمحلية، السياسية منها، والاقتصادية، والعسكرية، بما في ذلك رفض الجماهير في كلا البلدين والمنطقة للحرب.. وكانت الاستجابة لهذه العوامل استجابة للعقل

ولمصالح الشعبين، ومصداقاً لشعارات حزبنا وخطه السياسي وتنبوءاته بمآل هذه الحرب التي سببت بلايا ومآسي مروعة للشعبين العراقي والايراني، ومخاطر جمة على السلام في المنطقة والعالم. كما جاء ايقاف القتال تأكيداً على خطأ الافكار التي راهنت على استمرار هذه الحرب وعولت على قوى خارجية لاسقاط الدكتاتورية الفاشية، وتلك الافكار التي انجرت للدعوة للوقوف في صف النظام تحت ذرائع مختلفة. وأكد هذا الايقاف، مجدداً، على ان الحرب ما كانت ولا يمكن ان تكون طريقاً لحل المشكلات والخلافات الاقليمية والدولية.

وتوجه النظام الدكتاتوري في فترة ما بعد ايقاف القتال إلى توسيع نهج الارهاب الشامل في عموم البلاد، وتشديد الحرب الداخلية ضد فصائل الانصار وحركة المعارضة الوطنية في كردستان، وضد الشعب الكردي والاقليات القومية.

وفي ظل الاوضاع الدولية الجديدة، وفشل الدكتاتوريات في تحقيق الاستقرار وتطمين المصالح الامبريالية، وادانتها دولياً، وتصاعد المطالبة باحترام حقوق الانسان والحريات الديمقراطية، وعدم قدرة النظام على مواصلة الحكم بنفس الاساليب السابقة وحدها، طرح، باسلوبه الديماغوجي المعروف، قرارات «العفو العام» المشروط والتعددية السياسية، والحديث عن الدستور والانتخابات.

وعلى الصعيد العربي، تمخضت جهود النظام وحلفائه عن تشكيل محور بغداد ـ القاهرة ـ عمان ـ صنعاء، السياسي ـ العسكري، واعلانه، وسط صخب اعلامي شديد، كـ «تجمع اقتصادي عربي» للتستر على طابعه الحقيقي، باعتباره اداة لممارسة اشكال جديدة من الضغوط والتدخل في الشؤون الداخلية لبعض البلدان العربية.

اولاً : الحرب العراقية ـ الايرانية :

أ ـ حصاد الحرب ونتائجها

بعد ٨ سنوات من الويلات والدمار آلت الحرب العراقية ـ الايرانية، وهي أطول الحروب وأكثرها بشاعة في التاريخ المعاصر، إلى وقف القتال في ٢٠ آب الماضي، بعد موافقة ايران على قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨ الصادر في تموز ١٩٨٧.

وبذلك تحققت خطوة اساسية على طريق انهاء الحرب. واستقبل شعبنا العراقي هذا الاعلان بفرح طاغ عكس مدى كرهه للحرب واستمرارها، وتطلعه إلى السلام. وكانت تظاهراته تصويتاً عفوياً لصالح الشعار الذي ناضل حزبنا من اجله. كما استقبل الشعب

الايراني وشعوب المنطقة والرأي العام العالمي هذا الانعطاف بترحاب كبير، تعبيراً عن الأمل في الخلاص من هذه المجزرة، وهذه البؤرة الخطيرة من بؤر التوتر في العالم.

ان وقف اطلاق النار والانتقال من جبهات القتال إلى طاولة المفاوضات في جنيف باشراف الامم المتحدة يعني، بالنسبة لشعبنا، نشوء وضع جديد، وانعطافاً يستلزم تعبئة كل الطاقات لتحويل وقف اطلاق النار إلى سلم عادل ودائم، واستنهاض شعبنا للاسهام النشيط في هذا النضال، وتحويل الاسئلة المريرة عن جدوى هذه الحرب ودوافعها ونتائجها والحصيلة التي آلت اليها، إلى أدوات فعالة للنضال ضد الدكتاتورية ونهجها.

ويتميز الوضع الجديد، أي الانعطاف من الحرب إلى وقف القتال، بمحاولات اقطاب الطغمة الحاكمة التهرب من الاجابة عن اسئلة الحرب، والتسويف في المفاوضات لترتيب اوضاعهم ومنع تحرك الجماهير. وهذه وجهة تنطوي على ديماغوجية ينبغي فضحها، وعلى خطر استمرار حالة التوتر بين البلدين بكل ما تحمله من مخاطر على مصالح الشعبين والبلدين والسلم في المنطقة والعالم.

وبموازاة الديماغوجيا الرسمية يعمل اقطاب النظام على الصعيد الداخلي باتجاهات اساسية ثلاثة تستهدف تخفيف مصاعبهم، واجهاض تفاعلات ما بعد الحرب، ومحاصرة نتائجها:

الاتجاه الرئيسي يتجسد في تشديد الحملة الارهابية ضد قوى المعارضة الوطنية والديمقراطية وبالذات ضد حزبنا والقوى القومية الكردية، واستخدام الاسلحة الكيمياوية ضد الشعب الكردي وضد حركة الانصار والمعارضة المسلحة في الاهوار.

والاتجاه الثاني ينعكس في السعي لتنفيس الضغوط المتراكمة بالحديث عن هامش جزئي، مقيد ومشروط للحرية السياسية، عبر الاعلان عن «عفو» والادعاء بالإتجاه نحو «التعددية» دون توفير ارضية حقيقية لضمان مثل هذه التعددية أو الحرية السياسية.

أما الاتجاه الثالث فيتمثل في سعي النظام لتعزيز سلطة البرجوازية الكبيرة: البيروقراطية والطفيلية وتأمين المزيد من نهب اموال الشعب لهذه الطبقة.

وتترافق هذه الاتجاهات الداخلية الثلاثة مع اعادة صياغة أو ترتيب تحرك النظام على الصعيد العربي. وتتبلور معالم سياسة النظام في اقامة المحاور والتكتلات الرجعية، والتناغم مع مخططات كامب ديفيد، واشغال الجيش لا في المعارك التحررية ضد الامبريالية والصهيونية، بل بتصفية حساباته مع سورية الشقيقة، وزيادة التوتر في لبنان بالتحالف مع الكتائب وعملاء اسرائيل، واثارة المشاكل مع الكويت، والتحريض على استمرار القتال ضد الشعب السوداني في الجنوب، باتجاه معاد لمصالح حركة التحرر الوطني العربية:

ويستكمل النظام نهجه هذا، بغية الحفاظ على استمراره، بفتح المزيد من الابواب

للشركات متعددة الجنسية، وابداء المزيد من الاستخذاء للسياسات الامبريالية في المنطقة والتوافق معها.

لقد أدت الحرب والسياسة الارهابية التي تصاعدت في ظلها إلى تبدلات اجتماعية عميقة في المجتمع العراقي، من بين معالمها اختلال البنية السكانية، والهجرة والتهجير، وتطور صيغ وأشكال الاستغلال الطبقي، والتشوه في العلاقات الانسانية، والحياة الروحية للشعب وثقافته، وبروز انماط وقيم سلوكية عدوانية وأشكال من الانحلال الخلقي.

فقد تزايدت وتطورت صيغ ووتائر استغلال الطبقة العاملة والفلاحين وعموم الكادحين ممن وقع ويقع العبء الأكبر للحرب وآثارها المدمرة على عاتقهم. وتفاقمت صعوبات الحياة المعيشية، متمثلة في ارتفاع الاسعار والايجارات، وتنوع الاستقطاعات، وشحة الخدمات الاجتماعية (حيث برزت مشكلات النقل، والغيت مجانية الخدمات الصحية، وجرى الالتفاف على مجانية التعليم)، وبات ذوو الدخل المحدود يعانون من ضائقة اقتصادية شديدة.

وطرأت على بنية القوات المسلحة تغيرات هامة بسبب من اتساعها الكبير اذ بلغ تعدادها أكثر من مليون مجند، وشمولها لنسبة كبيرة من المتعلمين المنحدرين من طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، مما أدى إلى اهتزاز صيغة «الجيش العقائدي» التي سعى النظام إلى تكريسها.

وتعرضت الثقافة الوطنية والديمقراطية إلى مزيد من التشويه والمسخ بسبب نهج النظام في المجال الثقافي، ومساعيه لفرض الاتجاهات الرجعية والشوفينية وتأليه الدكتاتور، وتدابيره الارهابية ضد الثقافة ومبدعيها.

وفي ظل الارهاب والحرب أدت هذه السياسة إلى هجرة الالوف من ابناء شعبنا جلهم من المثقفين ورجال العلم والادباء والاساتذة والعمال المهرة، وهي خسارة كبرى لاقتصاد وثقافة بلادنا، التي فقدت بذلك «ادمغة وسواعد» تطلب اعدادها اموالاً طائلة من ثروة بلادنا وسنوات طوالاً.

وعمد النظام في فترة استعداداته لشن الحرب، وثم خلالها، إلى تهجير مئات الالوف من المواطنين العراقيين بحجة التبعية الايرانية، بعد سلبهم اوراقهم الثبوتية ومصادرة اموالهم، ورميهم على الحدود، وارغامهم على التوجه إلى ايران ليعيشوا حياة اللجوء القاسية. ويعيش اليوم هذا الجيش الهائل من المهجرين والمهاجرين حياة الغربة والعوز في العديد من بلدان العالم. ويعرف شعبنا ان عملية التهجير البشعة وطرد مواطني بلد بالجملة وسلب حق المواطنة، ظاهرة لم تحصل في التاريخ المعاصر إلا على يد قوة اجنبية غازية، لا على يد حكومة البلد نفسه.

ان هذه الممارسات الارهابية وغيرها تعرض وحدة شعبنا العراقي إلى مخاطر جدية.

واذا كان من الصعب اعطاء تقدير دقيق عن حجم الخسائر التي مني بها شعبنا، أو اعطاء ارقام دقيقة ونهائية عن كلفة هذه الحرب الباهظة، أو تقدير الفرص المضيعة نتيجة عدم الاستثمار الاقتصادي للثروات المهدورة، أو تحديد مدى التأخر بل والتدهور الذي احدثته في سير عملية التنمية، اذا كانت هذه الأمور غير يسيرة، فانه يمكن ايجاز بعض أبرز عناوين هذه الخسائر على النحو التالي:

- فقدان أكثر من ٣٠٠ الف من ابناء شعبنا ممن سقطوا ضحايا هذه الحرب، وتعويق وتشويه ما يقارب النصف مليون.

- تبديد شطر كبير من ثروة شعبنا في هذه الحرب التي يقدر فيها الانفاق العسكري (اسلحة ومعدات ورواتب) خلال سنوات الحرب بما يقارب الـ ١٣٠ مليار دولار، وهو رقم فلكي بالنسبة لبلد صغير ومحدود الامكانيات مثل بلدنا.

- تدمير منشآت ومرافق اقتصادية هامة يتطلب اعمارها من جديد اموالاً طائلة، هذا دون حساب الخسائر الناجمة عن فترة توقفها وفترة اعادة بنائها.

- دمار مدن واحياء سكنية كاملة وتشرد اهلها لاجئين في بلادهم.

- التفريط بالسيادة الوطنية لبلادنا عبر التنازلات الاقليمية التي قدمها النظام لكل من السعودية والاردن.

- تكبيل البلاد واغراقها بديون ضخمة تقدر بحوالي ٨٥ مليار دولار.

- تدهور قيمة الدينار العراقي إلى أقل من نصف دولار (في حين ان السعر الرسمي للدينار الواحد هو ٣,٣ دولاراً).

- ان المديونية الكبيرة، والمشتريات العسكرية الضخمة، وتدهور مستوى الانتاج الصناعي والزراعي، ادت وتؤدي إلى ارتهان بلادنا للاحتكارات الرأسمالية، التي تتطلع إلى فترة اعادة الاعمار للحصول على المزيد من المكاسب، وترسيخ مواقعها أكثر، وتكبيل بلادنا بالمزيد من القيود.

أما النتائج السياسية للحرب على الصعيد العربي فيمكن ايجازها في تعميق شق وحدة الصف العربي، وفك الحصار عن كامب ديفيد، وخلق الاجواء المناسبة لانفلات العدوانية الاسرائيلية المتمثلة بغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، وقصف المفاعل النووي في بغداد، وتوفير الذرائع المناسبة لامرار مشروع امن الخليج، واعطاء الفرصة لتعزيز الوجود العسكري الامبريالي في الخليج، المستمر حتى الآن، وتعميق التبعية العسكرية للامبريالية، بما في ذلك استعادة اشكالها القديمة: الاتفاقات العسكرية، والتسهيلات، والقواعد.

وهكذا، ففي نهاية هذه الحرب، لم يتحقق أي هدف من الاهداف التي أدعى النظام

انه شن الحرب من اجلها. وعادت الطغمة الحاكمة إلى حيث كانت قبل بدء الحرب لتتفاوض من أجل حل الخلافات حول شط العرب، أي إلى نفس النقطة التي ابتدأت منها الحرب. ومن حق الشعب ان يتساءل، ونحن معه، عن الاسباب الحقيقية التي دعت النظام إلى اشعال الحرب الكارثية اصلاً.

ب ـ الاسباب والعوامل التي أدت إلى وقف القتال

ان تحليل عوامل واسباب وقف القتال ينبغي ان ينطلق من حقيقة اساسية تتمثل في ان ايران والعراق بلدان رأسماليان، تابعان، ضعيفا التطور، وغير قادرين على خوض حرب طويلة كهذه (٨ سنوات) في ظل افتقارهما إلى قدرة اقتصادية وصناعة عسكرية ومدنية متطورة، بدون توفر عوامل اقليمية ودولية مؤاتية.

واذا كان ينبغي تلخيص العوامل المؤدية لوقف القتال أمكن الاشارة إلى جملة من العوامل الدولية والاقليمية، السياسية والاقتصادية والعسكرية، وجملة من العوامل الداخلية في البلدين المتحاربين، اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، بينها العزلة النسبية، المتفاوتة للنظامين داخل بلديهما، واشتداد الميول الجماهيرية المعارضة لاستمرار الحرب فيهما، بدرجات متفاوتة من القوة، وتدهور الوضع الاقتصادي في البلدين، وخصوصاً بعد انخفاض اسعار النفط وتقلص انتاجه.

وجاءت خطوة وقف القتال أيضاً حصيلة مشرفة لنضال مرير وقاس خاضته القوى المحبة للسلام في العالم أجمع، وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية، وضغط المجتمع الدولي في ظل تعاظم دور الامم المتحدة، والجهود التي بذلتها حركة عدم الانحياز، وتحسن المناخ الدولي.

لقد توقفت الحرب وخمد خطر توسعها وتهديدها للسلم العالمي. لكن جمرات الحرب ما تزال تحت الرماد. فكل طرف يتوجه إلى تعزيز قدراته وتحسين امكاناته تحسباً لحالات المجابهة في المستقبل.

واذا كانت دلائل عديدة تشير، في الظرف الحالي، إلى استبعاد اشتعال الحرب مجدداً، وذلك بسبب حالة الانهاك التي عمت البلدين ورفض الشعبين لها، وبسبب الاجواء الخليجية والعربية والعالمية الضاغطة من أجل ايجاد حل سلمي للنزاع، فان هذا كله لا ينفي احتمال انفجار الوضع مرة أخرى.

جـ ـ المفاوضات

يشير تعثر المفاوضات بين الطرفين الرسميين في العراق وايران، حيث لم يتم سوى تبادل بضع عشرات من الاسرى، يشير، بوضوح، إلى عدم الجدية في احلال السلام، مما يؤكد صواب تقديرات حزبنا ومواقفه المعلنة، ودعوته إلى جماهير شعبنا كي تأخذ قضية السلام بأيديها.

ويتركز الصراع في المفاوضات حول تسلسل تنفيذ بنود القرار ٥٩٨. فالجانب الايراني يسعى إلى تثبيت اتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥، وطرح قضية تحديد المعتدي، فيما يركز الجانب العراقي على اولوية تعديل الحدود، أي تثبيت مشروعية قراره المنفرد بالغاء اتفاقية ١٩٧٥ عشية اعلان الحرب، وتعديل الحدود فوراً قبل المضي في المفاوضات.

ان برنامج حزبنا الهادف إلى ضمان قيام سلم وطيد بين البلدين الجارين، وعلاقات حسن الجوار بين الشعبين وبما يحول دون العودة إلى الحرب، يقوم في ركائزه الاساسية، على:

- تثبيت خيار المفاوضات السلمية لا المجابهة العسكرية سبيلاً لحل النزاع وحل سائر الخلافات.
- التعجيل بالمفاوضات وتطبيق قرار مجلس الامن المرقم ٥٩٨ بكامل بنوده، وبخاصة ما يتعلق بالتبادل الشامل والكامل للاسرى، وانسحاب القوات إلى الحدود الدولية، وضمان الملاحة في شط العرب.
- صيانة استقلال البلدين وسيادتها الوطنية ووحدة اراضيهما دون ضم أو الحاق من الجانبين، ووقف التدخل المتبادل في الشؤون الداخلية للشعبين والبلدين.
- احترام حقوق شعبنا والشعب الايراني في اختيار النظام السياسي والاجتماعي وتحديد مستقبل تطورهما المستقل النابع من ارادتهما الحرة.
- اعتماد المفاوضات السلمية لاعادة النظر باتفاقية الجزائر المجحفة في ١٩٧٥، بما يضمن الحقوق الشرعية والتاريخية لشعبنا التي فرط بها صدام حسين بالذات، ويتاجر بها الآن.
- سحب الاساطيل الاجنبية من الخليج فوراً، واسناد مهمات حفظ الامن إلى قوة دولية فعالة من الامم المتحدة، وباشراف امينها العام..

ان المهمة الملحة الآنية لجماهير شعبنا، ولقوى السلم والتقدم في المنطقة والعالم هي ايصال المفاوضات إلى نهاية موفقة لصالح الشعبين وتحويل ايقاف القتال إلى سلام عادل ووطيد بين البلدين.

ان المجتمع الدولي يمكنه وينبغي عليه ان يستخدم كل ممكناته السياسية والاقتصادية

والعسكرية، وهيئة الامم المتحدة، لاتخاذ اجراءات سريعة تحرك اجواء المفاوضات وتعجل مسيرة عملية السلام.

ثانياً: السلطة وسلوكها في فترة ما بعد ايقاف القتال:

أ ـ حرب الابادة الشوفينية

يتعرض الشعب الكردي، منذ سنوات طويلة، إلى حملة ابادة جماعية، وحرب شوفينية حقيقية، تنطلق خلفيتها من الموقف الشوفيني ازاء حق الشعب الكردي في ممارسة حقوقه القومية المشروعة. وقد تصاعدت هذه الحرب على نحو سافر منذ نيسان ١٩٨٧، متمثلة في الحملات العسكرية التي شنتها القوات النظامية وافواج المرتزقة، وفي تهجير وتدمير آلاف القرى، وتشريد عشرات الالوف من المواطنين المسالمين، وازهاق ارواح الالاف منهم سعياً إلى اخلاء كردستان من سكانها، ومحو الوجود القومي للشعب الكردي.

ولم تتورع سلطة صدام حسين عن استخدام الاسلحة الكيمياوية والقنابل العنقودية والفسفورية والنابالم ضد السكان الامنين وضد مواقع قوى المعارضة الوطنية خلال انتفاضة ربيع ١٩٨٧ والاشهر التالية لها.

وابتدأ النظام الدكتاتوري بتصعيد حربه الشوفينية بنقلة نوعية تجسدت في ابادة مدينة بكاملها، حين قصف في آذار ١٩٨٨ مدينة حلبجة بمادة السيانيد القاتلة والغازات السامة الأخرى، مما أودى بحياة أكثر من ٥ آلاف مواطن، ومحو عوائل بكاملها خلال دقائق معدودات، واصابة وجرح آلاف آخرين من الاطفال والنساء والشيوخ. وتنتصب اليوم اطلال مدينة حلبجة شاهداً على البربرية التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ المعاصر.

ورغم شجب الرأي العام العالمي لهذه الجريمة واصل النظام الشوفيني استخدام السلاح الكيمياوي في مختلف مناطق كردستان.

واستغل حكام بغداد فرصة وقف اطلاق النار في حربهم المدمرة ضد ايران لتوجيه قوات ضخمة من الجبهات التي سادها الهدوء وزجها في عمليات عسكرية واسعة النطاق مدججة بالاسلحة الكيمياوية، بهدف تصفية الحساب مع قوى المعارضة الوطنية وسحق كفاحها الانصاري المسلح ووجودها السياسي، وترويع سكان تلك المناطق واجبارهم على اخلائها.

وفي غضون اسابيع معدودات احرزت القوات المسلحة الحكومية «الانتصار» على

الجماهير العزلاء من اطفال ونساء وشيوخ بعد ان ذهب ضحية العمليات العسكرية آلاف القتلى والجرحى، واضطر حوالي مئة الف من المواطنين في المناطق الحدودية القريبة من تركيا إلى ترك قراهم وهجر اراضيهم واللجوء إلى تركيا وإلى ايران. وتمكنت القوات الحكومية من اسر البقية الباقية من العوائل في القرى الموجودة على بعد مئات الكيلومترات من الحدود الايرانية، وزجتهم في المجمعات القسرية التي لا تتوفر فيها مستلزمات الحياة الانسانية، بعد ان نهبت واحرقت ممتلكاتهم. وواصلت السلطة الدكتاتورية حملتها الهمجية بحرق القرى المتبقية وتفجير ابنيتها وتسويتها مع الأرض وحرق المزارع والبساتين وتصفية الثروة الحيوانية، وشمل ذلك اخلاء وتدمير أكثر من أربعة آلاف قرية.

وهكذا اسفرت الحملة الجنهونية لحرب الابادة الشوفينية عن لوحة جديدة لوضع جديد في كردستان، واثمرت عن: ارض محروقة سوداء، وربايا عسكرية، وشوارع تتحرك فيها آليات الجيش ودروعه وجندرمته.

ان استخدام الاسلحة الكيمياوية ضد جماهير شعبنا وقواه السياسية المعارضة ليس سوى امتداد للنهج الارهابي الفاشي الذي تمارسه الدكتاتورية الحاكمة في بلادنا ضد شعبنا العراقي وقواه الوطنية والديمقراطية، وللسياسة الشوفينية الهمجية التي طبقتها ضد الشعب الكردي منذ سنين طويلة، وهما النهج والسياسة اللذان تفاقما في سنوات الحرب وفي ظل اجوائها.

وان لجوء الحكام إلى هذه الأسلحة المدانة والمحرمة دولياً في محاربة شعبنا واحزابه الوطنية، وانفلات الطابع السافر للارهاب، ونتائجه المدمرة، انما يدل على عجزهم المتزايد عن قمع كفاح شعبنا المتنامي بوسائل البطش الدموية الأخرى المتاحة لهم، والتي استخدموها ويستخدمونها على اوسع نطاق.

وتتوخى حرب الابادة الشوفينية هذه اشغال القوات المسحلة وابقاءها في حالة استنفار دائم بأمل تعطيل تفاعلات ما بعد الحرب أو تأخيرها كسبيل لقمع أية بادرة لطرح الاسئلة عن هذه الحرب، ومحاسبة المسؤول عن اشعالها ونتائجها واعبائها المدمرة، كما يسعى النظام إلى تركيع الشعب الكردي وسحق حركته القومية وقواتها المسلحة وقوى المعارضة الوطنية.

لقد استطاع النظام ان يسيطر عسكرياً على القرى المتبقية في كردستان، ويلحق اضراراً بحركة الانصار المسلحة، ولكنه اصيب بهزيمة سياسية لم يشهد لها مثيلا، وهبطت سمعته الدولية إلى الحضيض.

ب ـ الحركة المسلحة في كردستان

نظراً لطبيعة النظام فقد كان متوقعاً استغلاله لظروف ايقاف القتال وتحشيد امكانياته العسكرية لتوجيه الضربات لحركة المعارضة المسلحة بهدف القضاء عليها.

وقد استعجل في هجومه طمعاً في كسب الوقت لصالحه، ووظف في هذا الميدان، اضافة إلى عشرات الالوف من قوات الافواج الخفيفة، ثلاثة فيالق مدججة بمختلف انواع الاسلحة الحديثة، وفي مقدمتها الاسلحة الكيمياوية التي تركت تأثيرها المادي والنفسي على جماهير القرى وقوى الانصار.

ان ما ساعد على تشكيل الوضع القائم للحركة المسلحة، فضلاً عن العوامل الموضوعية، المشار اليها اعلاه، جملة من النواقص الذاتية من بينها:

ـ ان العلاقات بين القوى المسلحة لاطراف الحركة الوطنية والتنسيق فيما بينها دون المستوى المطلوب، ولم تكن هناك خطة موحدة لمجابهة الوضع الجديد.

ـ كانت بعض المفاهيم والافكار السياسية الخاطئة، لدى أكثرية اطراف الحركة الوطنية بشأن الحرب واستمرارها والتعويل عليها وعلى ايران في عملية الكفاح المسلح لاسقاط النظام قد وجدت تأثيرها السلبي بشكل محسوس على الجماهير وعلى العمل الانصاري. اذ ان هذه القوى اصطدمت بقرار ايران المفاجيء بموافقتها غير المشروطة على قرار مجلس الامن ٥٩٨، وهو أمر لم تكن تتوقعه.

ـ وكانت كل حركة انصارية ذات علاقة بهذا الحزب أو ذاك تعاني من ثغرات ونواقص جدية تركت آثاراً سلبية على امكانيات المجابهة العامة.

ـ وكانت الحركة الانصارية ذات العلاقة بحزبنا الشيوعي تعاني من صعوبات موضوعية جمة ونواقص ذاتية، عمل الحزب على معالجتها في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. رغم ان هذه المعالجة جاءت متأخرة.

ورغم ذلك فقد جابه الانصار الحشود العسكرية الضخمة واسلحتها الفتاكة بمقاومة بطولية نادرة، ضربوا فيها أروع امثلة الجرأة والثبات والاقدام، اذ تمكنوا من فك الحصار الذي فرضته القوات الحكومية المهاجمة في بعض المناطق، وعرقلوا تقدم هذه القوات في مناطق أخرى، واستبسلوا في انقاذ الجماهير الشعبية والدفاع عنها بالوسائل الممكنة، مقدمين بذلك مرة أخرى، البراهين الساطعة على عجز النظام عن تصفية الحركة الانصارية، وعن قتل الروح المعنوية لمقاتليها الشجعان وثقتهم بعدالة القضية التي يناضلون من أجلها، قضية الديمقراطية لشعبنا العراقي، والحقوق القومية للشعب الكردي في العراق.

ومع ذلك، وبرغم وجود هذا العامل الموضوعي لاستمرار الحركة الانصارية، فان

الواقع الجديد يتطلب دراسة جدية متأنية لاشكال واساليب الحركة، وكيفية سد الثغرات وملافاة النواقص في عملها والتحديد الأدق لدورها في دعم النضال الجماهيري في المدن والتجمعات السكانية باعتباره الميدان الرئيسي للنضال ضد الحكم الدكتاتوري.

جـ ـ الارهاب يتواصل في عموم البلاد

ان ابشع أشكال الارهاب هو سمة من سمات النظام القائم في البلاد. وقد احتل النظام العراقي مركز الصدارة بين جميع الانظمة الارهابية في عالمنا المعاصر سواء بقوانينه ومؤسساته القمعية أو بممارساته العملية التي تتجاوز كل الاعراف الانسانية والدولية وتتجاهلها.

وقد شهدت فترة الحرب استمرار واشتداد وتائر الارهاب الذي اكتسب اشكالاً أكثر همجية تمثلت في حملات الاعدام التي باتت تنفذ بالجملة، وحملات الاعدام الفورية في جبهات القتال وفي المدن ضد منتسبي القوات المسلحة. وآخرها الحملة التي جرت خلال شهري آب وايلول الماضيين والتي راح ضحيتها المئات من المواطنين الابرياء في محافظات البلاد المختلفة، وما كشف عنه مؤخراً من اعتقال الاطفال بالجملة، كرهائن، وتعذيبهم لاجبار ابائهم وامهاتهم واقاربهم على تسليم انفسهم لاجهزة القمع، وكذلك تخويل منظمات الحزب الحاكم القيام بعمليات الاعدام.

واتخذ النظام من الحرب ذريعة لاصدار العديد من القوانين والقرارات الارهابية والقيام بالممارسات القمعية التي لا حدود لها كماً ونوعاً.

وعدا عن استخدام السلاح الكيمياوي والحرب الشوفينية في كردستان فان هناك مئات الالوف من المهجرين والمهاجرين بسبب الملاحقات السياسية والتمييز الديني والطائفي.

واذا كان للسلاح الكيمياوي تأثيره المهلك على حياة الالوف من الناس الابرياء، فان له تأثيراته السلبية المدمرة على البيئة والاجيال القادمة، وكونه بادرة خطيرة اقليمياً وعالمياً.

لقد واجهت الدكتاتورية الفاشية حملة عالمية واسعة ضد ممارساتها القمعية، وانكشفت حقيقتها الاجرامية والديماغوجية على نحو لا يمكن التستر عليه. ومن الطبيعي القول ان هذه الحملة، فضلاً عن ظروف القتال، لا يمكن ان لا تفعل مفعولها في تخفيف الارهاب، بصرف النظر عن درجة هذا التخفيف. فقد اثر هذان العاملان في ارغام النظام، رغم طبيعته، على اتخاذ جملة من الاجراءات «التنفيسية» تعكس بصيغتها وتوقيتها والاجراءات العملية التي رافقتها طابعها التضليلي. كما اقدم، في الوقت نفسه، على سلسلة من حملات الاعدام والاعتقال تؤكد طبيعته الارهابية المتأصلة.

واسفرت ممارسة النظام تجاه من سلموا انفسهم إلى السلطة من الاكراد بالاستناد إلى قرار «العفو» عن تجميعهم في مجمعات قسرية محاطة بالاسلاك الشائكة، أو ابعادهم إلى مناطق صحراوية نائية، وعن اعدام عدد منهم.

ولابد من الاشارة في هذا المجال إلى ان ارهاب اجهزة القمع لا يستثني حتى انصار الحزب الحاكم ممن لا تطمئن إلى ولائهم، اذ يتعرضون إلى الاعتقال والتعذيب والتصفيات الجسدية، ومن بين ذلك التصفيات الاخيرة التي شملت عدداً من الضباط والمراتب في القوات المسلحة بما في ذلك عناصر قيادية من المقربين إلى الطغمة الحاكمة ورأسها، فيما شملت عدداً آخر منهم اجراءات الاقامة الجبرية.

ثالثاً: حول ما يسمى بالحوار مع النظام و«المصالحة»:

منذ بداية العام الماضي، يجري الحديث وتطلق شائعات بين فترة وأخرى عن اجراء أو احتمال اجراء حوار بين السلطة واطراف من المعارضة الوطنية بغية تحقيق ما يسمى بـ«المصالحة الوطنية». وقد تجدد هذا الحديث في الفترة الأخيرة. رغم ان الأمر لم يتعد، بمقدار ما يتعلق الأمر بحزبنا، حدود احاديث من وسطاء غير رسميين، لا تنطوي على أي شيء جدي ملموس.

وتجنباً لأي التباس، لابد من ايضاح وجهة نظر حزبنا بهذا الخصوص، والعمل على ضوئها وصولاً إلى ما يخدم شعبنا وحركتنا الوطنية في الخلاص من الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي المنشود.

لقد سبق لحزبنا ان أكد تبنيه لمبدأ الحوار بوصفه شكلاً من أشكال الكفاح السياسي التي يعتمدها لتحقيق اهدافه. ومن أجل ذلك يرى فيما لو تحققت مستلزمات ممارسته وجرى التمهيد المناسب له فعلياً، لتعرف الجماهير وجهات نظر كل طرف فيه، وان يشمل الاطراف الوطنية، لا ان يجرى الانفراد بطرف منها دون سواه.

وان أي حديث جاد عن الحوار لابد ان يرتبط بتوفير المستلزمات الضرورية التي من شأنها تهيئة الاجواء المناسبة لضمان الحد الادنى من جدية هذا التوجه.

ولابد ان تعالج في مجرى هذه العملية العلة الاساسية لدوامة المآسي والنكبات التي ألمت بشعبنا ووطننا الحبيب، والتي تكمن في استمرار الاوضاع الاستثنائية، وما يلازمها من مصادرة حقوق الشعب وحرياته الديمقراطية، وانعدام الشرعية الدستورية والقانونية وانتهاج سياسة شوفينية ضد الشعب الكردي والاقليات القومية، ومصادرة حقوق الانسان وحرمان المواطن العراقي من العيش الآمن والحياة المستقرة بسبب من انتهاج النظام الدكتاتوري لسياسة

الارهاب والبطش بوصفها سياسية يومية، وتفننه في حملات التصفية والاعتقال والملاحقة ليس ضد القوى السياسية المعارضة وحدها، بل وضد كل مواطن يشتبه النظام في ان لديه ميلاً أو موقفاً يختلف عن طروحاته، حتى وان كان هذا المواطن منتمياً للحزب الحاكم نفسه.

ان حزبنا كافح ويكافح ضد احتكار الحزب الحاكم للسلطة وجميع ميادين النشاط السياسي الجماهيري، ومنع الاحزاب الاخرى من أي نشاط. وكانت هذه السياسة التي يتشبث بها النظام والحزب الحاكم أحد الاسباب الرئيسية للقطيعة والافتراق بينهما وبين جميع الاحزاب والقوى السياسية الأخرى، وما زال حزبنا يتصدر النضال من أجل التعددية السياسية واطلاق حرية النشاط الحزبي والنقابي وجميع الحريات الديمقراطية الأخرى. فهل يمكن الاستجابة حقاً لهذه المطالب، والاقرار بالتعددية السياسية الحقيقية في البلاد بما يعنيه هذا من ضمان الحرية الكاملة لنشاط الاحزاب السياسية خارج سيطرة الحزب الحاكم وهيمنته و«خيمة ثورته»!؟

وان احدى المشاكل الجوهرية التي تعاني منها بلادنا والتي ناضلت الحركة الوطنية ضدها لعقود من الزمن، هي الحكم في ظل ظروف استثنائية وشاذة، سواء على صعيد الدستور والقوانين والتشريعات أو الاجهزة غير المنتخبة ذات الصلاحيات المطلقة، كمجلس قيادة الثورة، وما يعنيه ذلك من تغييب لسيادة الشعب والمؤسسات المنبثقة عن ارادته الحرة وفي مصادرة حرية الصحافة وتشكيل المنظمات النقابية والاجتماعية، فاين هو الاساس الذي يمكن ان تنطلق منه السلطة لتصفية الاوضاع الاستثنائية الشاذة واشاعة الحريات الديمقراطية والشروع باقامة دولة المؤسسات الدستورية على أساس القوانين، والمواثيق الدولية، وفي مقدمتها لائحة حقوق الانسان!؟ وما هي المظاهر التي تدلل على الامكانية الفعلية لتحقيقها؟

ومن حقنا ان نتساءل عن اجراءات النظام لمعالجة اوضاع الشعب الكردي المأساوية التي هي نتاج السياسة الشوفينية الدموية القائمة على التهجير والتعريب والابادة الجماعية بأبشع صورها المتمثلة باستخدام الاسلحة الكيمياوية على نطاق واسع في كردستان العراق.

اذ ان مثل هذه المعالجة تستلزم اعادة المهجرين الاكراد إلى مدنهم وقراهم في كردستان وتعميرها، وتعويضهم عما لحق بهم من اضرار وخسائر، وتأمين عودة عشرات الالوف من ابناء شعبنا الكردي الموجودين في المخيمات والمجمعات التركية والايرانية، وضمان عدم ملاحقتهم ومعاقبتهم كما حصل لعدد ممن صدقوا وعود السلطة وعادوا بعد العفو الذي اصدرته في السادس من ايلول ١٩٨٨ وهذا كله يتطلب اتخاذ اجراءات عملية للالتزام ببيان آذار ١٩٧٠ وتطبيق مضمونه في تحقيق الحكم الذاتي الحقيقي للشعب الكردي في العراق، خصوصاً وانه لا حل للمسألة الكردية في العراق دون تحقيق الديمقراطية لمجموع الشعب العراقي.

لقد طالت الاعدامات عشرات المئات وطالت الملاحقات والاعتقالات مئات الالوف من مواطني شعبنا. وما تزال اعداد كبيرة منهم حتى اليوم تقبع في السجون وأخرى في المنافي أو تعيش حياة التشرد القاسية. وناضل حزبنا سنين طوال إلى جانب القوى الوطنية الأخرى من أجل عفو عام شامل حقيقي غير مشروط. فما هي الاجراءات الفعلية المتخذة لاطلاق سراح جميع السجناء والمعتقلين السياسيين دون قيد أو شرط، واعتبارهم جميعاً ضحايا للعسف والارهاب، واعادة ممتلكاتهم المصادرة وحقوقهم المهدورة؟ وعلى أي أساس يمكن في الواقع العملي، ضمان حق المواطن في ان يحيا آمناً على حياته وكرامته وممتلكاته؟

ان أي توجه جدي لاحداث تبدلات في الوضع لابد ان يقترن بالغاء جميع التشريعات والقوانين التي كرست سياسة التهجير القسري سيئة الصيت، والتي تسببت في تهجير مئات الالوف من المواطنين خارج الوطن من ابناء الشعب الكردي والاقليات القومية، ومن الشيعة بحجة التبعية الايرانية، واسقاط الجنسية عنهم ومصادرة ممتلكاتهم، فاين هي التدابير العملية والضمانات الاولية لتأمين عودة هؤلاء المواطنين إلى وطنهم واهلهم واعادة حقوقهم المدنية واموالهم واملاكهم المصادرة؟

ان الاجابة الواضحة الصريحة على هذه التساؤلات ينبغي ان تقترن بتدابير ملموسة وليس بالاحاديث المجردة والملغومة بالاشتراطات أو الاجراءات والقرارات الديماغوجية.

ان حزبنا اذ يعبر عن رأيه بهذا الخصوص يؤكد في ذات الوقت انه لم يكن في يوم من الايام، وكذلك الاحزاب الوطنية الأخرى، مغرماً بحمل السلاح، من أجل السلاح ذاته وبتقديم التضحيات الغالية، وهو أبعد ما يكون عن انتقاء اساليب نضاله بشكل عشوائي. واذا كان قد اتخذ موقف معارضة النظام وسلك هذا الطريق الشاق فلأن النظام بنهجه الاستبدادي قد اوصد امامه وأمام كل قوى الشعب واحزابه الوطنية طرق النضال السلمي والغى كل امكانية للنشاط السياسي الطبيعي.

وان شعبنا يناضل من أجل انعطاف حقيقي نحو الديمقراطية وإلى ان يتحقق مثل هذا الانعطاف فان حزبنا ـ وكل قوى المعارضة الوطنية تحتفظ بحقها الكامل في النضال بكل الوسائل في سبيل فرض البديل الديمقراطي واقامة دولة القانون والعدالة وحقوق الانسان والديمقراطية.

رابعاً: بعض ملامح الوضع الاقتصادي بعد الحرب:

أ ـ معركة الديون ومعركتنا من أجل الديمقراطية

حاولت قيادة السلطة اظهار حصيلة مغامراتها المدمرة انتصاراً للعراق في الحرب. ولغرض التستر على جريمتها في زج شعبنا في هذه الكارثة، تتفادى الاعلان عن الحجم الحقيقي للخسائر البشرية والاقتصادية لانتصارها المزعوم. وقد قدرت الخسائر الاقتصادية ببضع مئات من مليارات الدولارات. وليس أدل على ذلك من ان مجموع الديون واحتياطي العملات الصعبة الذي كان لدى العراق قبل الحرب، وكلفة اعادة الاعمار الآنية قد بلغ مجموعها ١٨٣ مليار دولار. لكن الطغمة الحاكمة تتوهم ان جماهير شعبنا التي تعرضت لمحرقة الحرب، وتكتوى بنار الارهاب يمكن ان تغمض اعينها عن مآسي ما بعد الحرب، اذا اخضعت لحملة جديدة من الديماغوجية الاعلامية. وهكذا توالت تصريحات قادة السلطة والمسؤولين تبشر المواطنين بامكان «الانتصار» على الجبهة الاقتصادية بعد «الانتصار» على الجبهة العسكرية، من خلال استعادة العراق لطاقاته السابقة لتصدير النفط وبمليارات الدولارات التي ستنهال عليه، وبفرص العمل والازدهار التي تنتظر المواطنين بفضل اعادة الاعمار... والخ.

غير ان حملة التضليل هذه لا يمكن ان تحجب حقيقة الدمار الذي اصاب مجتمعنا واقتصادنا خلال سنوات الحرب، ولا الاعباء الباهظة التي سيتحملها شعبنا لمعالجة الجراح العميقة التي اصابته. وفي الاشهر القليلة الماضية، لم يعد حتى رموز النظام قادرين على تكرار الوعود البراقة حول الازدهار الوشيك للاقتصاد، وايقاف تدهور مستوى معيشة غالبية المواطنين.

لقد دخل العراق الحرب، وهو يمتلك رصيداً من العملات الصعبة والموجودات الاجنبية يعادل ٣٥ مليار دولار، وخرج منها وهو مدين بما لا يقل عن ٨٥ مليار دولار. ولا تستطيع شعارات «الاقتدار والاستقلال» الزائفة ان تغير من واقع القيد الذي يطوق استقلال وطننا جراء هذه الديون الباهظة، كما لا تستطيع ادعاءات الازدهار المرتقب طمس الاعباء الباهظة التي ستقع على عاتق المواطن العراقي لتسديد هذه الديون، فضلاً عن حاجات الاعمار الآني التي تقدر بحوالي ٦٣ مليار دولار خلال السنوات الخمس القادمة.

وتسعى السلطة إلى حل المشاكل التي تواجه الاقتصاد العراقي وفق المنظور ذاته الذي أدى إلى تبديد وهدر مواردنا البشرية والاقتصادية، اذ تخطط منذ الآن لمضاعفة طاقات تصدير

النفط الخام.

ويطالب شعبنا باستخدام عقلاني لثرواته النفطية يضمن تصنيع النفط وتصدير الحد الأدنى اللازم للايفاء بمستلزمات الاستيراد والمدفوعات الضرورية لعملية التطور الاقتصادي وبما ينسجم مع قرارات الاوبك بشأن كميات واسعار النفط الخام المصدرة.

ان الديون التي تكبل الاقتصاد العراقي والنفقات الضخمة التي سيواجهها العراق لتسديد اقساط الديون وفوائدها فضلاً عن متطلبات الاعمار أكبر من ان تعالجها زيادة تصدير النفط أو الافراط في استنزاف ثرواتنا الوطنية وهي تستلزم وضع برنامج وطني لاعادة الاعمار وتسريع عملية التنمية وتجميد دفع الديون لفترة من الزمن والنظر في أمر دفعها لاحقاً والغاء الفوائد المترتبة عليها اصلاً.

وتنظر الدول والشركات التي لعبت دور المحرض على اشعال الحرب والمشجع لاستمرارها إلى عملية اعادة الاعمار التي ستجرى في العراق باعتبارها فرصتها الذهبية الثانية بعد الحرب، لغرف المزيد من الارباح من السوق العراقية. وما ان توقف اطلاق النار حتى توافد على عراقنا المنكوب ممثلو مقاولي الخليج والشركات التركية والكورية الجنوبية واحتكارات البلدان الرأسمالية المتطورة لتقدير الاضرار وتقديم الدراسات والعروض بأمل الفوز بالعقود الجديدة، مستفيدين من اشتداد الارتباط البنيوي للاقتصاد العراقي بالاقتصاد الرأسمالي العالمي بفعل السياسة الاقتصادية لسلطة البرجوازية الكبيرة البيروقراطية والطفيلية الحاكمة. فالارقام الرسمية عن تجارة العراق الخارجية تكشف عمق تبعية الاقتصاد العراقي. ففي عام ١٩٨٦ كانت نسبة استيرادات العراق من الدول الرأسمالية المتقدمة تبلغ ٦٢,٥٪، وترتفع هذه النسبة إلى ٨٣٪ اذا اضفنا استيراداته من تركيا والبرازيل وكوريا الجنوبية حيث تتوطن توابع الشركات متعددة الجنسية وفي المقابل لم تتجاوز استيراداتنا من المنظومة الاشتراكية كلها ٦٪ (معظمها من يوغوسلافيا). وبالاضافة إلى ذلك، فقد تم الاعلان منذ الآن عن ان مجمع البتروكيمياويات الثاني، ومجمع الحديد، وخط الانابيب الستراتيجي الثاني، ومعمل اطارات السيارات ومشاريع اعمار مدينة البصرة، وغيرها، ستحال إلى شركات امريكية وايطالية ويابانية وفرنسية، مما يؤدي بالضرورة إلى اشتداد التبعية التكنولوجية لاقتصادنا.

ويتبين من هذا بوضوح ان توجهات عملية اعادة الاعمار والتنمية اللاحقة سائرة نحو اندماج أشمل للاقتصاد العراقي بالسوق الرأسمالية العالمية. وهو اندماج لا ينطوي على اشتداد التبعية الاقتصادية فحسب، بل يعزز نزعة الطغمة الحاكمة للانسجام مع مصالح وسياسات الدول الامبريالية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وبدلاً من تخصيص اقصى الموارد لاعادة اعمار ما دمرته الحرب، والتخفيف من الضائقة المعاشية المتفاقمة على غالبية ابناء شعبنا، رحـ ت الطغمة الحاكمة، بتشجيع من

الاحتكارات العالمية، ٢٢ مليار دولار لتطوير الصناعة العسكرية حتى عام ١٩٩٢ . وتعتمد هذه الصناعة اساساً على التكنولوجيا الغربية وبالتنسيق مع الصناعة العسكرية المصرية . ولا يستهدف هذا التوجه تعزيز امكانات الشعوب العربية لمجابهة التحديات الامبريالية ـ الصهيونية بل تصعيد نزعة العسكرة، لارضاء نزعات التوسع وجنون العظمة عند رأس النظام وطغمته . ومن شأن هذه السياسة مفاقمة التبعية التكنولوجية، وما يترتب عليها من اضرار بليغة، فضلاً عن هدر الثروات والموارد البشرية والمالية والطبيعية .

ان منظمات حزبنا مطالبة بأن تضع النضال ضد النزعة العسكرية، والصناعة العسكرية في مقدمة اهتماماتها، وان تثقف جماهير شعبنا بمخاطرها وبآثارها المدمرة على القطاعات المنتجة من اقتصادنا التي ستحرم من الموارد الهائلة التي يمكن ان توجه لها . ويرتبط هذا بنضالنا من أجل تسريح المجندين الذين تحملوا اعباء الحرب واطلاق طاقاتهم للمساهمة في الاعمار الحقيقي لبلادنا التي اثخنتها الطغمة الحاكمة نفسها بالجراح .

ب ـ اعادة الاعمار على حساب تجار الحرب لا الشغيلة

اتخذ الهجوم على مصالح ومكاسب الطبقة العاملة والشغيلة في السنوات الاخيرة من الحرب طابعاً شديد الشراسة لم يواجها مثله منذ عقود طويلة، وقدمت امتيازات لا سابق لها للبرجوازية الكبيرة الطفيلية . وجرى ذلك كله بحجة متطلبات الحرب في الفترة السابقة واعادة الاعمار حالياً .

فمع اقامة وتوطيد اتحاد المقاولين العراقيين وتزايد نفوذه جرى حل نقابات العمال وحرم عمال وموظفو قطاع الدولة من حق تشكيل نقاباتهم . وشرع قانون عمل جديد يحرم العمال من أية ضمانة بشأن ساعات العمل والحد الأدنى للاجور فضلاً عن حرمانهم من حقوقهم السياسية والاجتماعية، الأمر الذي يعني رفع وتيرة الاستغلال الذي يخضع له الشغيلة لصالح اعتصار أكبر قدر من القيمة الفائضة منهم .

ولابد من القول ان الارهاب المتعاظم والديماغوجية فضلاً عن الدور المشين الذي لعبته قيادات نقابات السلطة طوال السنوات العشرين الأخيرة ساهما في جعل هذه الخطوات تمر من دون مقاومة واضحة من جانب الشغيلة، الأمر الذي يضع في مركز اهتمام حزبنا مهمة تعبئة العمال والشغيلة للنضال من أجل تشكيل نقاباتهم المستقلة في قطاع الدولة وانتزاع حق نشاطها العلني من السلطة، والعمل داخل نقابات القطاع الخاص باتجاه تحويلها إلى منظمات نقابية ديمقراطية تربي اعضاءها بروح التضامن الطبقي في وجه اعدائهم المستغلين والدفاع عن مصالحهم .

ان الارقام الرسمية المعلنة من جانب السلطة تعترف بان نسبة الاجور والرواتب إلى اجمالي الدخل غير النفطي قد انخفضت خلال الفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٦ في حين ارتفعت نسبة الارباح. وفي السنوات الاخيرة تفاقم هبوط الاجور والرواتب الحقيقية، جراء الارتفاع المستمر لاسعار السلع والخدمات مع تجميد أو هبوط الاجور والرواتب الاسمية.

وهكذا فان الاجور والرواتب الحقيقية باتت عام ١٩٨٣ اقل بنسبة ٤٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٥.

ان الاجور والرواتب الاسمية لم ترتفع، في حين بلغت معدلات التضخم حوالي ٥٠٪ في السنوات الثلاث الاخيرة. ومن المحتمل ان تصل هذا العام إلى ١٠٠٪ مما يدلل بالملموس على تراجع مستوى معيشة ذوي الدخل المحدود من العمال وصغار الموظفين إلى ما كانت عليه في الستينات جراء عواقب القادسية المشؤومة.

لقد استطاعت السلطة الهجوم على مستوى معيشة الشغيلة بفضل الارهاب والديماغوجية، لكنها الآن تراهن على عوامل موضوعية، اذ ان اجراءات ترشيق الدولة أي تسريح عدد كبير من العاملين الحكوميين وتسريح الجيش الشعبي وبعض المجندين في القوات المسلحة، ووجود عدد كبير من العمال العرب والاجانب، فضلاً عن غياب التنظيم النقابي سيولد جيش عمل احتياطي يصعّب نضال الطبقة العاملة للمطالبة لرفع اجورها أو توفير حقها في تحديد وقت العمل وشروطه.

غير ان ثمة عوامل مهمة لابد وان تكشف في الأمد القصير عن عقم حسابات السلطة. فالحرب الداخلية المتواصلة ضد شعبنا أدت إلى النزيف البشري الذي يتمثل في ما لا يقل عن مليون مهجر ومشرد ومهاجر معظمهم في سن العمل وبينهم نسبة من قوة العمل الماهرة والمؤهلة، فضلاً عن الكوادر العلمية والادارية عالية التأهيل. وقد جاءت الحملة الاجرامية الاخيرة ضد الشعب الكردي لتضيف إلى جيش اللاحقين من المهجرين والمهاجرين إلى ايران وتركيا ما لا يقل عن مئة الف مواطن عراقي، فضلاً عن الهاربين من القوات المسلحة والمختفين لاسباب سياسية داخل العراق.

وبالاضافة إلى ذلك كله، فان اتجاه السلطة نفسها للابقاء على التوتر السياسي مخيماً على علاقات العراق مع جيرانه وتوجهها نحو تعزيز المؤسسة العسكرية سيؤدي إلى ابقاء حجم القوات المسلحة كبيراً، الأمر الذي سيجعل ظواهر الشحة في قوة العمل، ولا سيما الماهرة والمؤهلة منها، عنصراً موضوعياً ضاغطاً لرفع الاجور والتعويض عن تآكل قوتها الشرائية.

ويشهد الريف العراقي اشتداداً في التمايز الطبقي في مجرى تسارع نمو الرأسمالية في الزراعة وافقار نسبة متعاظمة من صغار الفلاحين الذين تدفعهم إلى النزوح الفجوة المتسعة بين مداخيل المدينة ومداخيلهم وكذلك الاتساع الذي لم يسبق له مثيل في نطاق التجنيد

الاجباري لاعداد كبيرة من ابناء الريف خلال الحرب. وبذلك تتسع المساحات التي تستثمرها برجوازية الزراعة، بالاضافة إلى حوالي مليون دونم استأجرتها لاماد طويلة من اراضي الاصلاح الزراعي. ولم يقتصر ذلك على البرجوازية المحلية بل تعداه إلى برجوازية الخليج. فالبرجوازية الريفية هي المستفيد الأول من قروض وتسهيلات الدولة كحق استيراد المواد والمكائن بدون تحويل خارجي. وبدل التوجه نحو انتاج الحبوب وهي المصدر الاساسي لغذاء الكادحين تتجه البرجوازية الزراعية إلى النشاطات سريعة الربح العالي محققة الارباح الكبيرة بتواطوء ومشاركة البرجوازية البيروقراطية وباستغلال كادحي الريف العراقيين وغير العراقيين العاملين في الزراعة.

ومن ناحية أخرى أخذت الاجراءات الاخيرة لصالح رأس المال الكبير، العراقي والعربي، تترك آثارها منذ الآن على اقتصادنا وحياة شعبنا. فبحجة الاستفادة من مدخرات العراقيين بالعملة الصعبة في الخارج جرى اطلاق حرية الاستيراد، من دون تحويل عملات صعبة، ومن دون اعلان الرأسماليين العراقيين عن مصدر مدخراتهم في الخارج. ولم يؤد هذا الاجراء، بالطبع، إلى اعادة هؤلاء لما هربوه من اموالهم إلى الخارج، بل إلى قيام شبكة محلية متواطئة، مع برجوازيي الخليج لاستيراد السلع مقابل تهريب العملة الوطنية وعملات اجنبية إلى الخارج، الأمر الذي أدى إلى المزيد من استنزاف العملات الصعبة والمضاربة بالدينار العراقي وانهيار اسعاره في الخارج من جهة، وإلى قفزات لا سابق لها في اسعار المواد والخدمات في العراق من جهة ثانية، مما حقق ارباحاً خيالية لكبار البرجوازيين وافقاراً لذوي الدخل المحدود.

لقد حققت البرجوازية العراقية نمواً استثنائياً تغلب عليه سمة الطفيلية بفضل سياسة الدولة الاقتصادية. ومن خلال استنزافها موارد الدولة واثرائها على حساب مشاريع الدولة الاقتصادية تريد ان تقنع شعبنا بأن النشاط الخاص أكثر كفاءة بطبيعته وان الترهل والفساد والخسارة امور ملازمة لنشاط الدولة الاقتصادي أياً كان طابع هذه الدولة، والحال ان مجرد احجام القطاع الخاص عن الدخول في نشاطات انتاجية كبيرة ومطالبته بمزيد من التسهيلات والاعفاءات والاعانات يبرهن على انه ليس كفوءاً بحد ذاته. وان الثمن الذي يجب على المجتمع ان يدفعه له لكي يتوجه إلى النشاط المنتج شديد الضخامة. فمشاريع الدولة التي تم بناؤها بعرق شغيلتنا وبمواردهم تعرض للبيع باثمان بخسة تقل عن التكلفة الحقيقية، واثمان هذه المشاريع تسدد باقساط طويلة الأمد بفوائد منخفضة، وارباح المشاريع المحوّلة للقطاع الخاص تعفى من الضرائب واسعار منتجاتها لا قيود عليها، والاجور المدفوعة للعمال وساعات العمل غير محددة بقانون.

ومع هذا كله فان السلطة الحاكمة تعرف، قبل غيرها، بان هذا كله لن يدفع الرأسمالية

العراقية إلى تحويل العراق إلى دولة صناعية متقدمة كما تدعي. ومع أهمية وضرورة مساهمة القطاع الخاص في تطوير بعض فروع النشاط المادي والخدمات، فان البرجوازية العراقية الكبيرة توجه جل نشاطها نحو المضاربة والوساطة والتجارة حتى حين تمارس نشاطاً في الفروع المنتجة، وبذلك تغلب السمة الطفيلية على نشاطها.

وفي إطار النهج الاقتصادي الاجتماعي تحول قطاع الدولة، ولا سيما في غياب الديمقراطية، إلى بقرة حلوب للبرجوازية البيروقراطية والطفيلية وتستشري فيه مظاهر الفساد وسوء التدبير والاهدار، الأمر الذي ساعد البرجوازية الطفيلية على الحط من سمعته والاستيلاء المتسع على مؤسساته. والحال ان متطلبات التنمية المستقلة تتطلب تطوير قطاع الدولة من حيث التوجهات والاداء. ولا يمكن تحقيق ذلك بدون الرقابة الديمقراطية على هذا القطاع وعلى السياسة الاقتصادية عموماً، أي تأمين الاطار السياسي المناسب، واشاعة الديمقراطية الحقيقية للجماهير.

خامساً: مهماتنا الراهنة:

جاءت التطورات مصداقاً لتقديرات حزبنا فيما يتعلق بامكانية وقف القتال وانهاء الحرب قبل سقوط الدكتاتورية.

فقد توقف القتال، وبدأت المفاوضات بين البلدين، رغم تعثرها. ومع ذلك فان عوامل التفجر ما تزال موجودة، وهي تكمن في طبيعة النظامين وعمق الخلافات بينهما، وتعزز قدراتهما العسكرية وعلاقاتهما الدولية، فضلاً عن استمرار النشاطات الامبريالية.

أ ـ من هنا ضرورة تشديد النضال من أجل تثبيت الخطوات التي تحققت في طريق احلال السلم والنضال من أجل السير قدماً لتحقيق سائر الخطوات التي تؤدي إلى حل الخلافات بين البلدين عن طريق التفاوض، وباختصار النضال من أجل انهاء الحرب فعلاً، بوجه مساعي ابقاء حالة حافة الحرب، المنذرة باوخم العواقب.

ب ـ النضال من أجل انهاء الاوضاع الاستثنائية وفي سبيل تحقيق الحريات الديمقراطية.

ج ـ النضال في سبيل ايقاف الحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي، وازالة آثارها المدمرة، وحل المسألة الكردية حلاً سلمياً وديمقراطياً على أساس الحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

د ـ النضال في سبيل معالجة آثار الحرب وكوارثها ونتائجها الوخيمة، وتردي الاوضاع المعيشية لاوسع الجماهير واشتداد ضائقتها الاقتصادية، وسلب ومصادرة مكتسباتها وحقوقها.

هـ ـ الكفاح ضد المواقع الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي احتلتها الامبريالية في المنطقة في ظروف الحرب.

ان هذه النضالات مجتمعة هي السبيل لتعبئة القوى والطاقات لاسقاط الدكتاتورية الفاشية واقامة حكومة وطنية ديمقراطية ائتلافية.

ومن أجل تطوير كفاحنا لانجاز هذه المهمات، ومواجهة اوضاع ما بعد وقف القتال، والتبدلات والتطورات في تاكتيكات السلطة واساليبها، واخذاً بنظر الاعتبار التوجهات الاساسية للمؤتمر الوطني الرابع للحزب، ونتائج اجتماعات ل. م التي اعقبته، يتوجب العمل في الاتجاهات التالية:

أ ـ تعزيز التنظيم الحزبي

لقد أكد الحزب باستمرار، في ضوء الخبرة التاريخية للحركة الثورية، ان اهداف الشعب لا تتحقق إلا بنضالات الشعب نفسه، وبممارسته لمختلف أشكال الكفاح واساليبه، التي يلعب الحزب فيها دور الطليعة. لذا فقد جرى التأكيد على ضرورة تركيز الجهد على مواصلة اعادة بناء وتعزيز التنظيمات الحزبية وسط التحشدات الجماهيرية باعتبارها المهمة الرئيسية الأولى. ولابد من ايلاء اهمية استثنائية لهذا التوجه في ظل الظروف المستجدة، وبخاصة نحو المراكز العمالية والتحشدات الجماهيرية في المدن.

ويتطلب ذلك أيضاً الاهتمام بتربية الكادر ومجموع الرفاق بما ينسجم مع هذه الوجهة وتوفير مستلزمات هذا العمل، وابتكار اساليب جديدة لصيانة التنظيم وتوسيعه واتقان الربط بين النشاط العلني والتنظيم السري، واضفاء الحيوية وروح المبادرة والابداع على نشاط منظماتنا ورفاقنا.

ب ـ العمل بين الجماهير

طرأ تغير محسوس على وضع المجتمع العراقي وتركيبه الطبقي والاجتماعي، كحصيلة للتطور الموضوعي، ونهج النظام اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وكنتيجة للحرب والتشويهات والآثار التي نجمت عنها.

وتتقاطع في المجتمع العراقي اليوم التناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية، الملازمة للتطور الرأسمالي، التابع والمشوه، بالتناقضات السياسية، الناجمة عن الطابع الدكتاتوري الفاشي للسلطة، مقرونة باحتدام القضية القومية للشعب الكردي، والآثار المدمرة للحرب.

ويخلق هذا الوضع المأساوي من كل نواحيه، ظروفاً مؤاتية لشن النضال ورفع مستوى نهوض واستعداد الجماهير لخوض معارك كفاحية ظافرة، سواء كانت جزئية، أي في سبيل اهداف مطلبية محددة، أم عامة، من أجل فرض السلم والديمقراطية والحقوق القومية.

وينبغي، في ظل هذا الوضع، اجراء مسح شامل للمجتمع والتدقيق في الاوضاع الملموسة للجماهير، ومستوى كفاحيتها، ونفسيتها، وصياغة المطاليب المحددة في شعارات ملموسة ومحفزة، ووضع خطط عمل مناسبة في ضوء ذلك، من أجل تعبئة العمال والفلاحين والكسبة والمثقفين وسائر الكادحين، في النضال من أجل حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية.

وغني عن القول ان الطائفة الواسعة والمتشابكة من المهام العامة والخاصة، الجزئية والشاملة، تقتضي، تبعاً لتباين الظروف، استخدام مختلف اساليب العمل، السري والعلني، وابتكار اساليب جديدة تحبط جهود اجهزة الدكتاتورية لوأد تحركات حزبنا وجماهير شعبنا، واستثمار كل الامكانات والميادين بما في ذلك المؤسسات القائمة، لتعزيز صلات الحزب بالاوساط الجماهيرية العاملة فيها.

وفي ضوء ابرز ملامح التغيرات الاساسية الناشئة في المجتمع العراقي، وتركيبه الطبقي والاجتماعي، وخصائص التطور في المرحلة الراهنة، وطبيعة التناقضات والمشكلات الملازمة، يمكن الاشارة إلى ما يلي:

١ ـ ان السياسة الاقتصادية للنظام، بما تنطوي عليه من اطلاق يد القطاع الخاص، وفتح الابواب للرأسمال العربي والاجنبي، وسياسة الاسعار والاجور، وتقليص حقوق العمال، والغاء النقابات في قطاع الدولة، تفضي موضوعياً إلى تشديد التناقضات الطبقية، بزيادة وتائر الاستغلال. ويفتح هذا الوضع الباب لزيادة النضال في المحتشدات العمالية، من أجل تنظيمها دفاعاً عن مطالبها الاقتصادية والاجتماعية والمهنية، مع مراعاة التمايز في الوضع النقابي واشكال العمل واساليبه في ضوء الاشكال الملموسة لتجلي هذه التناقضات في كل من مؤسسات قطاع الدولة، ومؤسسات القطاع الخاص المحلي، والمؤسسات التي يديرها الرأسمال العربي، والمشاريع التي يتوقع ان تضطلع بها الاحتكارات الامبريالية، في مجرى اعادة الاعمار.

٢ ـ وتعاني قطاعات واسعة من جماهير الكادحين في الريف، من فقراء وصغار الفلاحين، واقسام من متوسطي الفلاحين، من تبعات الضائقة الاقتصادية، ومن نتائج نهب اراضي التعاونيات، وتغلغل المشاريع الرأسمالية في الريف، ومن عواقب تدهور الانتاج الزراعي. وان العمل على تعبئة عمال الريف، وفقراء وصغار الفلاحين دفاعاً عن حقوقهم وتنظيمهم من أجل انتزاعها، مهمة راهنة.

٣ ـ لقد لجأ النظام لجلب مئات الالوف من الشغيلة والفنيين غير العراقيين ومن المحتمل ان تظل اعداد كبيرة منهم في البلاد، بل حتى ان تزداد اعدادهم. وسيواصل النظام سعيه لاستغلالهم، واستخدامهم ضد بقية فئات الشغيلة. لذا ينبغي الانتباه إلى ضرورة كسب هؤلاء بشكل عام، والحيلولة دون استخدامهم لتنفيذ اغراض النظام.

٤ ـ ومهما حاول النظام الاحتفاظ بقواته المسلحة، فهو مجبر، في فترة ما بعد الحرب، ان عاجلاً أو آجلاً، على تسريح مئات الالوف من افرادها، لاسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية. ان جمهرة المجندين، المتحدرة من اصول كادحة، من عمال وفلاحين وكسبة وطلاب، تعيش ذكريات الحرب المريرة ومآسيها الماثلة امامهم. وهي تواجه مشكلات الحياة والعمل، فضلاً عن عواقب العسف والملاحقة التي تطال العناصر الواعية منهم أو تلك التي ابدت وتبدي امارات السخط والاحتجاج.

ان الظروف ملائمة لتعزيز الصلات بها وتنظيمها، وتعبئة طاقتها النزاعة إلى السلم (انهاء الحرب والعودة للحياة المدنية) وطاقتها الديمقراطية، الساخطة على الارهاب والقمع، وطاقتها الاحتجاجية في الميدان الاجتماعي، خصوصاً وان قطاعات من هذه الكتلة الجماهيرية الواسعة قد افنت اجمل سنوات عمر الشباب في جبهات الحرب وسط الخراب والدمار والمجازر والاعدامات.

٥ ـ وان التدابير الشوفينية الوحشية التي طالت كردستان، وبخاصة تصفية القرى، وحشر الجماهير في مجمعات قسرية، وتهجير اقسام واسعة إلى مناطق صحراوية نائية غريبة عليهم، وتسليط الارهاب على مجمل ابناء الشعب الكردي، ان ذلك كله يترك آثاره الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الوخيمة. لذا فان من الضروري الاهتمام بحشود هذه الجماهير في مراكز سكنها القديمة والجديدة، وتنظيمها وتعبئتها، في النضال من أجل العودة إلى قراها، وتعويضها عن الاضرار التي لحقت بها، وتنظيمها للنضال من أجل انتزاع حقوقها القومية العادلة.

ان طبيعة السياسات التي انتهجها وينتهجها النظام، قد خلقت مشكلات ذات طابع شامل، تمس فئات وطبقات اجتماعية متعددة.

٦ ـ وان مئات الالوف من ابناء شعبنا وخصوصاً من الشباب، قد ذهبوا ضحايا في الحرب، قتلى أو معوقين، أو مفقودين، ويصعب محو آثار هذه الجرائم من اذهان عوائل هؤلاء الضحايا. من هنا ضرورة تعزيز الروابط مع هذه العوائل وافرادها وتنظيمهم في النضال من أجل السلام، ومن أجل الديمقراطية.

٧ ـ وتعرض عشرات الالاف من ابناء شعبنا إلى الارهاب الدموي الشامل، الذي اتخذ صورة الاعدامات أو الابادة الجماعية، أو التصفية تحت التعذيب. وينبغي تعبئة اسر ضحايا

الارهاب، في معركة اطلاق سراح السجناء، والكشف عن مصير المفقودين، وتعويض اسر الضحايا، وتثبيت احترام حقوق الانسان، وسيادة دولة العدل والقانون التي لا يمكن ان تقوم إلا على الديمقراطية.

٨- وتعاني كتلة ضخمة من ابناء الشعب العراقي، من مختلف الطبقات والفئات، والمنحدرات القومية والدينية، والسياسية، من محنة التهجير والهجرة.

لقد شرد ما يربو على المليون من ابناء الشعب إلى خارج الوطن اكثرهم من العرب، (من منطلقات طائفية) ومن الكرد والاقليات القومية. وهم يستنزفون طاقاتهم بحثاً عن لقمة العيش في مهاجر ومناف مختلفة ومتباعدة، ويعانون من آلام الغربة، والمشاكل الحياتية المختلفة. ويتطلب الأمر تنظيم مختلف اشكال الصلات بهم والعمل على تعزيز رابطتهم بالوطن وتنظيمهم في النضال من أجل العودة إلى وطنهم الذي انتزعوا منه قسراً، وتمتعهم بحقوقهم الانسانية والسياسية.

٩- واضطرت جمهرة واسعة من المثقفين المبدعين العاملين في مختلف مجالات العمل الفكري، إلى مغادرة الوطن للتخلص من الارهاب والقمع والملاحقة. وشكل ذلك خسارة كبيرة لشعبنا، الذي فقد ابداع ونتاجات قطاع بارز من شغيلته الفكريين ومبدعيه الكبار.

ويعاني هذا القطاع الهام والحيوي من مثقفي شعبنا، ظروف الشتات والغربة، وصعوبات تأمين لقمة العيش، ناهيك عن المصاعب التي تعيق أو تحد من امكانات الانتاج الفكري والثقافي.

ويتعين على منظمات حزبنا مواصلة العمل في هذا القطاع الهام، بغية تنظيمه وتعبئته في معركة حرية الابداع والفكر كجزء من معركة الديمقراطية، والدفاع عن حقوقه، والنضال من أجل توفير افضل الفرص لمواصلة ابداعه الثقافي، الذي هو جزء هام من ثقافة شعبنا وتراثه في الحاضر والمستقبل.

جـ- الكفاح المسلح واساليب الكفاح الأخرى

اكدت قرارات المؤتمر الوطني الرابع للحزب على ان الكفاح المسلح هو الاسلوب الرئيسي وعلي ضرورة ممارسة مختلف اشكال واساليب الكفاح لتحقيق مطامح الشعب، وفقاً للظروف الملموسة. وتبلور العمل الانصاري كتجسيد ملموس لممارسة الكفاح المسلح في كردستان.

وقد لعبت حركة الانصار دوراً مجيداً في استعادة الحزب لمواقعه السياسية والتنظيمية، وفي تعزيز هيبته ونفوذه في الحركة الوطنية العراقية، وفي مقاومته لارهاب الدكتاتورية المتسلطة

على الشعب.

وقام الانصار بنشاطات بطولية جسدت روح الشعب التواقة للحرية والديمقراطية وتصدت ببسالة لهجمات السلطة المتلاحقة ولجرائمها بحق الجماهير الشعبية.

وفي الظروف الجديدة واثر الهجمة الدموية الاخيرة على جماهير الشعب الكردي وقوات الانصار طرأت تغيرات كبيرة تتجلى ابرز معالمها بما يلي:

- تصفية غالبية القرى والعديد من الاقضية والنواحي والقصبات في كردستان وتهجير وتشريد سكانها.

- زرع الربايا العسكرية من جديد وبكثافة غير معهودة في مختلف انحاء كردستان، وتوسيع شبكة الطرق العسكرية واقامة المعسكرات المجهزة باحدث الوسائل وادوات الدمار والابادة الجماعية، بما فيها الاسلحة الكيمياوية.

- فقدان حركة الانصار لكثير من امكانياتها ومواقعها.

ان ما يواجهنا حالياً هو ضرورة بذل الجهد للحفاظ على امكانيات حركة الانصار وتطويرها بمستوى يتناسب مع اهميتها ودورها الواقعي ومهمتها في سياق سياسة الحزب العامة، ويتطلب هذا معالجة ثغراتها وصعوباتها وتكييفها للظروف، وتوفير مستلزمات عملها وادامته.

ان دروس التجربة والظروف المستجدة تملي علينا ضرورة الانتقال بحركتنا الانصارية المقدامة، فعلياً، إلى اساليب جديدة في مقدمتها اعتماد السرية (في المواقع والتحركات) وسرعة الحركة والحيوية والاندماج بالجماهير واتقان فنون مواجهة الاساليب الجديدة للسلطة، وباقامة أوثق علاقات العمل والتعاون بين انصار اطراف الجبهة الكردستانية.

وان الظروف الراهنة تلقي على عاتق انصارنا مهمة بذل المزيد من الجهود للنشاط السياسي ولدعم عملية بناء منظمات الحزب في المدن والمحتشدات الجماهيرية، ورفدها بكل ما من شأنه تعزيز قدراتها وفاعليتها النضالية، أي المزاوجة المبدعة بين مختلف اشكال واساليب النضال تبعاً للوضع الملموس.

وغني عن البيان، ان الحركة الانصارية، هي أحد اشكال تجلي الكفاح المسلح، الذي يمكن ان يتخذ صوراً واشكالاً عديدة، تبعاً لطبيعة الوضع، وملاءمة هذا الاسلوب أو ذاك لتطوير نضال جماهير شعبنا من أجل السلام وانتزاع الديمقراطية وضمان الحقوق القومية للشعب الكردي.

د ـ التحالفات واقامة الجبهة الوطنية الشاملة

اخذ الادراك المتنامي لضرورة التحالف الوطني يجد تعبيره العملي خلال العامين الماضيين في اتفاقات ثنائية أو متعددة الاطراف بين الاحزاب والقوى الوطنية التي دللت على درجة استيعاب أعلى للخبرة التي اثبتت ان النضال المنفرد والمتشتت لن يوصل الحركة الوطنية إلى اهدافها. وقد تعزز هذا الاتجاه في العام الماضي، وكان من بين أهم نتائجه العملية اقامة الجبهة الكردستانية العراقية اواسط عام ١٩٨٨، وعقد لقاء لممثلي القوى الاساسية: الشيوعية والديمقراطية، والقومية العربية، والقومية الكردية، والدينية، لبحث العمل الجبهوي.

وقد جرى مؤخراً، واثر لقاءات تواصلت على مدى الاشهر الخمسة الماضية بين القوى الوطنية والاسلامية، التوصل إلى اقرار صيغة ميثاق العمل المشترك بين القوى الوطنية والاسلامية، إلا ان التوقيع على هذا الميثاق لم يتم بسبب اصرار القوى الاسلامية على اجراء تعديلات واضافات من شأن القبول بها الاخلال بما تم التوصل اليه باجماع القوى المشاركة في الحوار.

ومن الطبيعي ان هذه الخطوات العملية رغم الصعوبات التي رافقتها كشفت عن امكانية وجدوى التنسيق والتعاون الوطني المشترك في التهيئة لتحقيق خطوات أبعد على طريق الحوار واللقاء الوطني الواسع. وقد ساعدت الجهود الوطنية المشتركة على خلق اجواء افضل للاقتراب من هذا الهدف، وافلحت في تذليل تحفظات بعض الأطراف على مشاركة اطراف اخرى في التحالف.

ورغم ما تحقق من نتائج، تبقى متواضعة، اذا ما قورنت بحجم محنة شعبنا وضرورات النضال الوطني، فان صعوبات جدية ما تزال قائمة بوجه العمل الوطني المشترك بين قوى المعارضة الوطنية، وتتمثل هذه الصعوبات في:

- ضعف الشعور بالمخاطر الكبرى التي يتعرض لها الشعب والوطن.
- ضيق الافق وروح الاستئثار لدى بعض التنظيمات السياسية.
- الضغوط الخارجية التي تتعرض لها بعض القوى على الضد من رغبتها وايمانها بالعمل الوطني الموحد.

ان نضال شعبنا العراقي بعربه وكرده واقلياته القومية يمر بمنعطف خطير خصوصاً منذ وقف اطلاق النار، حيث برز وضع جديد تماماً بحاجة إلى تحليل وادراك عميقين من جانب كافة احزاب شعبنا وقواه الوطنية, وادت التطورات اللاحقة إلى اختلال في موازين القوى وتعرية للاوهام والمراهنات غير الواقعية لبعض القوى الوطنية.

ان حزبنا الشيوعي العراقي انطلاقاً من تقديره المخاطر الجسيمة التي تواجه البلاد،

ومن الشعور العالي بالمسؤولية ازاء مصائر الشعب والوطن يجدد دعوته المخلصة السابقة إلى لقاء وطني واسع لكل القوى الوطنية والاسلامية العراقية. ويعتقد حزبنا أنا افضل تمهيد لمثل هذا اللقاء يمر عبر مواصلة وانجاح اجتماعات القوى الاساسية للتوصل إلى افضل صيغة تحالفية ممكنة.

وينطلق حزبنا في دعوته هذه من المهمات البرنامجية التالية:

- انهاء الحرب على اسس عادلة تحفظ حقوقنا الوطنية واستقلال وسيادة بلادنا، ودحر مشاريع نسف المفاوضات والتلويح باشعال الحرب من جديد.
- اسقاط الدكتاتورية واقامة حكومة وطنية ديمقراطية ائتلافية.
- الحل الملموس للقضية الكردية بتأمين الحكم الذاتي الحقيقي في إطار الجمهورية العراقية وتأمين الحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية.
- سحب الاساطيل الامبريالية من الخليج العربي.
- اعادة العراق لمواقع حركة التحرر الوطني العربية.

ان حزبنا اذ بذل ويبذل كل ما يملك من جهد لتحقيق التحالفات السياسية مع القوى والاحزاب الوطنية المعارضة سعياً وراء اقامة الجبهة الوطنية العريضة، فانه يثق بامكانية الالتقاء حول قضايا سياسية مشتركة بين قوى المعارضة الوطنية بما في ذلك معارضي نهج الطغمة الدكتاتورية داخل الحزب الحاكم، اذا ما استوحينا، جميعاً، المصالح والتطلعات الوطنية العميقة لشعبنا العراقي.

ويسعى حزبنا سوية مع حلفائه في جود وفي الجبهة الكردستانية العراقية إلى ان تلعب هذه التحالفات دوراً استثنائياً في اقامة الجبهة الوطنية العريضة، اذ من دون ذلك يصعب تحقيق اهداف حركتنا الوطنية، والحركة التحررية الكردية باعتبارها جزءاً من الحركة الديمقراطية العراقية.

ومن الطبيعي القول ان العمل من أجل تحقيق التحالف الوطني لم يتم بيسر ودونها مصاعب في ظل التحديات والتعقيدات التي تجابهها حركة شعبنا الوطنية. بيد ان الارادة المخلصة لسائر اطراف الحركة الوطنية قادرة على تطويق ومعالجة هذه الصعاب بالانطلاق من الشعور بالمسؤولية، وبالاستناد إلى الخبرة التاريخية الغزيرة لحركة شعبنا الثورية. ومن البديهي التأكيد على ان الممارسة العملية هي المحك الحقيقي لموقف أي طرف من اطراف التحالف.

اننا ازاء مسؤولية كبرى جسيمة أمام جماهير شعبنا ومستقبل وطننا. ويعتقد حزبنا انه آن الاوان للشروع الجاد باتخاذ الخطوات العملية التي توفر مناخ التقاء كل القوى الوطنية المناهضة للدكتاتورية، واحداث نقلة نوعية في عملها المشترك باتجاه تحقيق التحالف الوطني الواسع.

هـ ـ في النضال الفكري

يتسم النضال الفكري باهمية كبيرة في كفاح الحزب من أجل تحقيق مهماته . وتزداد اهمية هذا النضـال في المنعـطفات السياسية الحادة التي تثير، عادة، جملة من الآراء والاتجاهات المتباينة، أو المتضاربة احياناً، بشأن المستجدات واتجاهات تطورها .

وتتنامى اهمية العمل الفكري أكثر، في ضوء اشتداد مظاهر الصراع الايديولوجي في المجتمع، وتنامي اهمية العامل الايديولوجي في الصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يتخذ شكل معركة ايديولوجية بين مختلف الطبقات الاجتماعية، ويبرز ذلك في الصراع الفكري مع الطبقة الحاكمة، والصراع الفكري داخل صفوف المعارضة الوطنية التي تضم فئات وطبقات اجتماعية مختلفة، والصراع الفكري داخل الحزب نفسه، في إطار ابعاد عالمية واقليمية لهذا الصراع، الذي تعرض، إلى التدويل شأن مظاهر أخرى في عالم اليوم .

وفي ظل تعقّد وتشابك المهام التي تواجه حزبنا، تزداد الحاجة لمعافاة الحياة الداخلية للحزب، وتوسيع ممارسة الديمقراطية، وابداع الاشكال الجديدة، مهما كانت الصعوبات النـاجـة عن سرية العمل، وتبعات الارهاب الفاشي، لاستفتاء الشيوعيين في المنعطفات السياسية الحـادة بالاساليب المناسبة، واشراكهم في تحديد وجهة الحزب واساليب كفاحه، وتدقيق واغناء سياسته العامة .

ولابـد لتحقيق ذلـك، في المقـام الأول، من معـالجـة التشـويـهـات المرتبطة بالمفاهيم الخاطئة حول ادراج الكفاح الفكري، وتحليل الظاهرات السياسية وغيرها في باب خصوصيات العمل السري .

ان صراع الآراء المحكـوم بالقواعد اللينينية، ضرورة حياتية لترسيخ وحدة الحزب، وتقوية مواقعه واكتشاف طاقاته المبدعة . وأياً كانت الآراء المخالفة في إطار الشرعية الحزبية، فان التفاعل معها على ارضية العلم والوقائع الملموسة، يغني الحياة الداخلية، ويطور كفاءة الشيوعيين وقدرتهم على التصدي للقضايا والمهام التي تجابههم في مجرى نضالاتهم .

في ضوء هذه الحقـائق المتشابكة والمتداخلة، يتطلب الأمر الارتقاء بمستوى العمل الفكـري، في مجالات البحث النظري والدراسة المتخصصة والاعلام والدعاية، والتثقيف الحزبي والجماهيري .

لقد عانى العمل الفكري في حزبنا لفترة طويلة من نواقص وثغرات جدية، ابرزها الضعف في تنظيم العمل الفكري داخل الحزب، على أساس التخصص والتكامل، وعدم برمجته عبر رسم اهداف محددة ارتباطاً بالمهمات العامة للحزب في المرحلة المحددة، واعداد وتطوير الكادر اللازم للحاجات الآنية والمستقبلية .

ويرجع الضعف في تحقيق ذلك أيضاً إلى التقليل من شأن العمل الفكري، أو اعطائه دوراً لا يتناسب مع اهميته الحقيقية، كما يرجع إلى التطير من خوض الصراع الفكري داخل الحزب، والخوف من النقاش، والنظر إلى تأثيراته السلبية الجانبية، واغفال نتائجه الايجابية الاساسية فيما لو جرى تنظيمه وقيادته وفق الضوابط الحزبية، وبخاصة عدم الاضرار بوحدة العمل. وتبرز في مجال الصراع الفكري جملة من القضايا الاساسية:

١ ـ الدراسات المعمقة لمكونات المنظومة الايديولوجية للطبقة الحاكمة، التي تتميز بالانتقائية والديماغوجية، وتنطوي على عناصر متناقضة ومتضاربة، والتشخيص الدقيق للتحويرات التي طرأت على هذه المنظومة في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع العراقي، (الاشتراكية «الخاصية»، و«القائد الضرورة»، الحزب القائد، التعددية، الصراع الدولي... الخ).

٢ ـ وترتبط دراسة المنظومة الايديولوجية للطبقة الحاكمة ارتباطاً لا انفصام له بتحليل الطابع الطبقي للسلطة، والتحولات التي طرأت على المجتمع العراقي، وكيفية استجابة الطبقة السائدة لهذه التغيرات، واسلوب انعكاسها في الوعي الاجتماعي لمختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وانعكاسها في المنظومة الايديولوجية للطبقة الحاكمة، وما يترتب على ذلك من مهام فكرية ودعاوية واعلامية يتعين على حزبنا النهوض بها راهناً.

٣ ـ دراسة فكر وايديولوجيا الحركات الاسلامية العراقية، بما تتضمنه من نظرات وتصورات سياسية، واقتصادية واجتماعية، في مجال مفهوم الحكم، والطروحات الاقتصادية، والنظرة إلى المسألة القومية، وإلى الصراع الدولي، وصراع المادية والمثالية فلسفياً، وعلاقته بالصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الدائر في بلادنا.

٤ ـ متابعة التمايزات السياسية بين اطراف حركة المعارضة الوطنية، وانعكاساتها في الميدان الايديولوجي، وبالاخص فيما يتعلق بطبيعة النظام الحاكم، وطبيعة واساليب النضال، وقضايا التحالفات والمسألة القومية، وغيرها من الأمور.

٥ ـ تنشيط وتنظيم الصراع الفكري داخل الحزب وفق الضوابط اللينينية، بما يستنهض العمل الجماعي للحزب، ويساعد على استخلاص وصياغة افضل المعالجات وأكثرها عكساً للواقع الموضوعي، من النقاشات الملتزمة بالصرامة العلمية، وبالمنهجية الماركسية ـ اللينينية، والمطروحة بروح الاحترام المتبادل، والحرص على وحدة الحزب ونقاوة نظريته.

وتبرز في هذا الصدد قضايا هامة تستثير النقاش المثمر، بصدد أشكال وسعة التحالفات وأشكال واساليب الكفاح والترابط فيما بينها، سواء من ناحية المفاهيم النظرية أم من ناحية التطبيق العملي والدروس المستخلصة منه، وطبيعة النظام، والتغيرات التي طرأت عليه، والعلاقة بين الليبرالية الاقتصادية والليبرالية السياسية، أو بتحديد أدق النتائج السياسية

المترتبة على الانتقال الجاري في العراق من رأسمالية الدولة إلى رأسمالية القطاع الخاص، الاتجاهات العالمية للمصالحة والتعددية وتأثير هذا العامل الدولي على مجريات الصراع الطبقي الداخلي (في المجتمع العراقي).

٦ ـ دراسة ظاهرة البيريسترويكا والتفكير السياسي الجديد، ومتابعة الصراع الفكري الجاري حولها في الاتحاد السوفييتي، وفي العالم، وبخاصة انعكاسات هذا الصراع في العالم العربي، وتأثير هذه الانعكاسات على نضال حزبنا وطبقتنا العاملة.

٧ ـ مواصلة وتعميق دراسة النظرية الماركسية ـ اللينينية في منابعها الكلاسيكية، وفي الاضافات التي اغتنت بها التجربة الثورية الحية لحركة الطبقة العاملة.

ان هيئات الحزب ورفاقه، وبخاصة الهيئات المختصة بالعمل الفكري والاعلامي، مدعوة إلى الاسترشاد بهذه التوجهات، وتحويلها إلى برامج عمل بمفردات ملموسة تجرى متابعة انجازها بروح مبدعة لتعزيز المواقع الفكرية لحزبنا وتمتين وحدته الايديولوجية.

و ـ حول النشاط التخريبي وسبل مكافحته

في اعقاب فشل تجربة العلاقات الجبهوية مع حزب البعث الحاكم، وانتقال حزبنا إلى المعارضة عام ١٩٧٩، وبالاخص في السنوات الأخيرة، ووسط ظروف بالغة التعقيد ووضع نضالي لا سابق لصعوباته بالنسبة لشعبنا وحركتنا الوطنية وحزبنا، وفي اجواء الغربة التي يعيشها عدد غير قليل من الشيوعيين واصدقائهم، وحالة الاعياء التي اصابت عدداً من المناضلين، برزت آراء وتصورات واجتهادات متباينة ومتقاطعة مع سياسة الحزب وتجاه ما يواجهه من قضايا ومشاكل ومهمات عبرت عن نفسها بشكل واضح عشية المؤتمر الوطني الرابع وخلاله وبعده، واستمرت حتى الآن.

ولا يمكن عزل بعض هذه الآراء والتصورات والاجتهادات عن النزعات الذاتية غير المبدئية لحملتها.

وقد رافق ذلك اخلال صارخ وفظ بالانضباط الحزبي وخرق لقواعد النظام الداخلي من قبل الضالعين في النشاط التخريبي ومن المخالفين لسياسة الحزب، ممن وضع المؤتمر الوطني الرابع بعضهم خارج الهيئات القيادية. اذ جرى فضح اسرار الحزب الداخلية والقيام باتصالات ليبرالية بالجهات والاحزاب والشخصيات العراقية وغير العراقية. ووصل الأمر بعدد من الضالعين في هذه النشاطات حد تشويه وتزوير الوقائع والاستعداء على الحزب بقصد ممارسة الضغط عليه لتغيير سياسته التي رسمها المؤتمر الوطني الرابع. بل ووصل الأمر بعدد منهم، بمن فيهم من لا يزال يتمتع بعضوية الحزب إلى المساهمة في تشكيل كتل ومنابر

معادية للحزب، رحبت بها مخابرات النظام واجهزة قمعه وصارت تروج لما يصدر عنها من نشريات.

لقد بذلت قيادة الحزب، بنفس صبور وحرص بالغ على علاقة الشيوعيين بحزبهم، كل الجهود الممكنة لتجنب التفريط بأية طاقة يمكن ان تخدم عمل الحزب. وذلك بتوضيح الحقائق والاحتضان والتبصير بمخاطر السلوك التخريبي الضار بالحزب، واتاحة الامكانية لخوض مختلف أشكال نضال الآراء داخل الحزب وهيئاته الشرعية، انطلاقاً من الاهمية التي يوليها الحزب للكفاح الفكري، وخصوصاً في المنعطفات السياسية التي تثير جملة من النقاشات والآراء والاجتهادات المتباينة.

وأكد الحزب باستمرار على ان خوض الكفاح الفكري داخل الحزب بشكل ناجح يتطلب الالتزام الثابت بالقواعد والاسس اللينينية، التي يحددها النظام الداخلي والتي برهنت الحياة على صحتها وضرورتها، وفي مقدمتها المركزية الديمقراطية. اذ بغير ذلك يتحول الحزب إلى ناد للمناقشة وليس حزباً للعمل والتغيير.

وان الالتزام بهذه القواعد اللينينية لا ينفي، بل يستلزم، الاصغاء إلى الرأي المخالف ومناقشته بروح علمية موضوعية والتصدي للخروقات التنظيمية وبما يخدم تعزيز وحدة الحزب.

ان اللجنة المركزية اذ تدرك حقيقة الاهداف والمهمات الكبرى التي تواجه الحزب في هذا الظرف الدقيق والصعب المتميز باستمرار الارهاب الفاشي واستخدام اساليب جديدة للنيل من الحزب وتاريخه وسياسته ووحدته، وأهمية تعزيز وحدة الحزب وتكاتف الشيوعيين لكي يكون حزبهم بمستوى هذه المهمات والتصدي للدكتاتورية ومناوراتها، واذ تجدد مرة أخرى، وبكل مسؤولية، مشروعية وضرورة صراع الآراء داخل الحزب وعلى أساس نظامه الداخلي، واستعدادها لبحث ومعالجة قضايا من يختلف مع طروحات الحزب وسياسته في هذه المسألة أو تلك، على نفس هذه الارضية، ووفق الاسس التي ورد ذكرها سابقاً، فانها ترى لزاماً عليها التأكيد في الوقت نفسه ان استمرار البعض على السير في طريق التحلل من الالتزامات الحزبية وخرق الانضباط الحزبي والتخندق ضد الحزب والتأليب عليه ومحاربته يفضي بهم حتماً إلى ان يجدوا انفسهم خارج صفوف الحزب.

ان الشيوعيين جميعاً مطالبون بشن كفاح فكري وسياسي واسع ضد النشاط التخريبي وفضح اسسه الفكرية وفي ذات الوقت يقع على عاتق منظمات الحزب احتضان المنجرفين في هذا النشاط ممن يطالبون بالعودة إلى صفوفه، وتبصيرهم بضرورة التخلي أولاً عن نشاطهم التخريبي وادانته وانتقاد مواقفهم، ووضع انفسهم تحت تصرف الحزب، دون قيد أو شرط، ليمكن البحث في أمر عودتهم اليه وحمل شرف العضوية فيه بكل التزاماتها.

ز ـ التضامن مع شعبنا

جوبهت الحملة الهمجية في كردستان باوسع حملة فضح وادانة لم يشهد النظام لها مثيلاً طوال تاريخه. ولم يفد معها التملص والانكار والتضليل، أو التصريحات المشوهة والمتناقضة للمسؤولين، ولا المبالغ الطائلة التي انفقت في الدعاية المضادة، ولا تكاتف الرجعية العربية وغيرها مع النظام بذرائع وحجج لا تتعلق بصلب القضية.

وتعرض النظام لعزلة شديدة، وتدهورت مكانته الدولية إلى أدنى مستوى له خلال فترة تسلطه.

ان العوامل التي ساعدت على نجاح حملة الفضح هذه تتلخص في:

أ ـ بشاعة وسعة الهجمة العسكرية وهمجيتها وعدم تمكن النظام من اسدال الستار عليها.

ب ـ توفر القرائن والادلة الدامغة (حشود القوات الكبيرة باسلحتها المختلفة، القرى المدمرة والمحروقة، الاستخدام الواسع للاسلحة الكيمياوية، عشرات الاف اللاجئين إلى تركيا وايران).

جـ ـ النشاط الدعائي الموحد نسبياً لاطراف المعارضة الوطنية العراقية.

د ـ عدالة القضية الكردية وتمايزها وخروجها من دائرة الحرب العراقية ـ الايرانية بسبب توقف اطلاق النار وزيادة الاهتمام بها في المحافل الدولية.

هـ ـ اضطرار اوساط سياسية دولية واسعة، بما في ذلك الدوائر الحاكمة في الغرب، لادانة جرائم النظام، بدوافع مختلفة، تحت ضغط النضالات المتزايدة في سائر انحاء العالم دفاعاً عن حقوق الانسان، وادانة الانظمة الدكتاتورية.

وكانت جماهير شعبنا تتطلع إلى ان يكون لحركة التحرر الوطني العربية، وخصوصاً انظمتها المعادية للامبريالية، وكذلك الدول الاشتراكية الصديقة، دور بارز في حملة التصدي لاستعمال الاسلحة الكيمياوية وفضح جرائم حكام بغداد.

ان شعبنا، باحزابه وقواه الوطنية المناضلة، في الوقت الذي يعبر فيه عن مشاعر الامتنان العميق لكل القوى الخيرة التي رفعت صوت التضامن معه، يتطلع إلى مستوى أعلى وأكثر فاعلية من التضامن مع كفاحه العادل، وبما يتناسب مع التضحيات الجسام التي يقدمها في هذا الكفاح، ومع شراسة الهجمة الفاشية التي تشنها السلطة الغاشمة وجرائمها البربرية التي يندر ان نجد لها مثيلاً في التاريخ المعاصر.

الوضع العربي:

يتميز الوضع في العالم العربي بتعاظم النضال من أجل الديمقراطية وتلازمه مع النضال الوطني المعادي للامبريالية، واكتسابه طابعاً اجتماعياً متزايداً.

فإلى جانب النضال من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة، وانتزاع حقوق الشعب العربي الفلسطيني باقامة دولته المستقلة على أرض وطنه والنضال ضد وجود الاساطيل والقواعد العسكرية الامبريالية في العالم العربي، تبرز إلى المقدمة النضالات ذات الطابع السياسي - الاجتماعي من أجل الديمقراطية والخبز سواء في البلدان المعادية للامبريالية أو الرجعية.

ان تداخل وتلازم البعدين الوطني والديمقراطي في النضال الراهن واكتسابهما طابعاً اجتماعياً متزايد القوة، حقيقة من حقائق الحياة في المرحلة الراهنة من التطور الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي الراهن الذي تمر به البلدان العربية بوجه عام. وهو ما يؤكده مجرى الاحداث خلال العقد الماضي باكمله، وبخاصة في السنوات الأخيرة.

ان نموذج التطور الرأسمالي المرتكز إلى نظام الحزب الواحد الاستبدادي، أي القائم على غياب الديمقراطية السياسية، كشكل لنظام الحكم، ان هذا النموذج بلغ نقطة الازمة تباعاً في بعض البلدان العربية، التي يسود فيها.

ولم يكن الانعطاف من نظام الحزب الواحد إلى التعددية السياسية وليد مصادفة عابرة، ولم يجيء بمعزل عن النضال الجماهيري الواسع بل محصلة طبيعية، وثمرة شرعية لهذا النضال بالذات، الذي نتج عن التناقضات الموضوعية الملازمة لنموذج التطور هذا، وهي تناقضات تجلت مظاهرها في افقار الجماهير الشعبية، واغتناء الشرائح الطفيلية من البرجوازية، وتنامي المديونية، وتعمق التبعية، واشتداد الارهاب والقمع والفشل في تحقيق المهام الوطنية والاجتماعية المطروحة على جدول اعمال التطور التاريخي في هذه المرحلة.

ان نقض نظام الحزب الواحد، وفرض الانعطاف، بهذا القدر أو ذاك من الجذرية، نحو التعددية السياسية، هو خطوة كبيرة إلى أمام في ميدان النضال من أجل الحريات الديمقراطية وفي ميدان الدفاع عن المصالح الاقتصادية والاجتماعية لاوسع الجماهير الشعبية، وبخاصة للطبقة العاملة، وهو رد عملي على استصغار شأن الحريات الديمقراطية.

ويتصاعد النضال البطولي للشعب العربي الفلسطيني من أجل حقوقه الوطنية المشروعة، حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على أرضه بقيادة م. ت. ف، ممثله الشرعي والوحيد ووصل إلى ذروته في الانتفاضة الباسلة المستمرة منذ ما يزيد على الخمسة عشر شهراً.

ورغم القيود اللاديمقراطية المفروضة على تحرك الجماهير في العالم العربي، فقد حظيت

الانتفـاضـة الفلسـطينية ومـا تزال بتعاطف ومساندة الجماهير الشعبية، ناهيك عن التأييد والتعاطف على الصعيد العالمي.

وقد فرض هذا الواقع نفسه على الانظمة الرجعية العربية، الضالعة في المخططات الاستسـلامية والتسـويات المذلة على حساب حق تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية. وانعكس ذلك بسطوع في قرارات مؤتمر القمة العربي المنعقد صيف عام ١٩٨٨ في الجزائر، خلافاً لما كان الوضع عليه في قمة عمان المنعقدة اواخر عام ١٩٨٧.

ويبـين التحـول بين المؤتمرين، في ميزان القوى الرسمي، الثقل الكبير الذي يلعبه الضغط الشعبي عندما يدخل بزخمه الثوري في الميزان.

ولـولا الخـلافـات السـورية ـ الفلسطينية، لأمكن توقع المزيد من النتائج الايجابية لتأثيرات الانتفاضة.

لقـد أعـطت الانتفـاضة زخماً جديداً لنضال الشعب الفلسطيني على كل الاصعدة ووضعت المحتلين وحماتهم الامبرياليين في مأزق سياسي واخلاقي.

ويعرب حزبنا عن تأييده للاعلان عن بيان الاستقلال والدولة الفلسطينية في الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي يعتبر خطوة سياسية ناضجة. وهو على قناعة من ان تواصل النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال، وتحالف واسناد قوى التحرر والتقدم في العالم العربي، والمنظومة الاشتراكية، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي، وقوى التقدم في العالم اجمع، وكسب القوى العالمية المساندة لحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته، من شأنه ان يراكم قوى كافية من أجل استكمال ولادة الدولة الفلسطينية باقامتها على الأرض.

ونحن على قناعة من ان هذا الهدف ليس ببعيد، ما دامت مسيرة النضال في الأرض المحتلة وهجوم السلام على الصعيد الدولي متواصلين.

وما سعة الاعتراف بالاعلان عن الدولة الفلسطينية سوى مؤشر جدي بهذا الاتجاه رغم الموقف المتعنت لاسرائيل والولايات المتحدة اللتين تقفان اليوم ضد ارادة الاغلبية الساحقة للمجتمع الدولي، وتتصرفان خلافاً لأبسط الأعراف الدولية.

ويخوض الشعب اللبناني وقواه الوطنية نضالاً دؤوباً ضد الاحتلال الاسرائيلي تحت راية جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية التي أبدت وتبدي آيات من البطولة في مقارعة الاحتلال وعملائه.

ويتـلازم النضـال الـوطني اللبنـاني، بالنضال الديمقراطي، من أجل تجاوز البنيان السياسي الطائفي الذي عفا عليه الزمن.

وما تزال القوى الرجعية في لبنان، مسنودة بالرجعية العالمية، تواصل جهودها لنسف أي مسعى بهذا الاتجاه، وهو ما تجلى في تعطيل الانتخابات واقامة حكومة عسكرية بموازاة

الحكومة الشرعية.

ان الشيوعيين العراقيين يعلنون تضامنهم الحار مع النضالات الجريئة التي يخوضها اشقاؤهم الشيوعيون اللبنانيون وسائر مناضلي الحركة الوطنية اللبنانية من أجل لبنان عربي ديمقراطي، موحد.

وتواصل جمهورية اليمن الديمقراطية، نضالها الصعب في سبيل التقدم الاجتماعي، وفي مواجهة المساعي الرجعية والامبريالية الرامية إلى عرقلة مسيرتها التقدمية.

وتواصل سوريا صمودها ومقاومتها للمشاريع الامبريالية والرجعية والصهيونية الهادفة إلى حرفها عن مسيرتها الكفاحية.

وشهد السودان تنامي دور الحركة الجماهيرية وتزايد وزن القوى الديمقراطية في الحياة السياسية ونضالها من أجل ترسيخ دعائم الديمقراطية، والدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية، واخراج البلاد من ازمتها السياسية ـ الاقتصادية المستفحلة، ومجابهة القوى الرجعية، وفي مقدمتها القوى السلفية الظلامية، والسعي لحل قضية الجنوب حلاً سلمياً، والتصدي للنفوذ الامبريالي.

وتعرضت الجماهيرية الليبية لحملة امبريالية مسعورة من جانب ادارة ريغان بذرائع مفضوحة جرى الرد عليها من الجماهيرية ومن قبل اوساط الرأي العام العربي والدولي بما في ذلك مجلس الامن، تضامناً مع الجماهيرية.

وجاءت التطورات في الجزائر باتجاه الانعطاف المعلن من نظام الحزب الواحد إلى التعددية السياسية، انتصاراً للجماهير الشعبية المتطلعة إلى الديمقراطية، وإلى التنمية المستقلة، وإلى معالجة الأزمة الاقتصادية، وضمان حقوق ومصالح الكادحين.

وتخوض القوى الوطنية والتقدمية في بلدان الخليج نضالها، في ظروف صعبة من الحرمان من الحريات الديمقراطية ومنع العمل الحزبي وملاحقة القوى الوطنية الديمقراطية، من أجل صيانة استقلالها الوطني والخلاص من التبعية للامبريالية واشكال هيمنتها المتعددة وحماية ثرواتها الوطنية من النهب الامبريالي، وكسب الحريات الديمقراطية لجماهيرها ومن أجل ابعاد الاساطيل العسكرية الامبريالية عن المنطقة.

وتشهد قضية الصحراء الغربية تطورات ايجابية تمثلت في المفاوضات التي جرت بين الحكومة المغربية وجبهة البوليزاريو للوصول إلى حل ينسجم مع المصالح التاريخية للطرفين في ضوء قرارات الامم المتحدة وعلى أساس الاستفتاء.

وشهد العالم العربي، تطورات هامة على صعيد التكتلات الاقليمية. فبعد قيام مجلس التعاون الخليجي في اعقاب اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية، لتنظيم قوى الرجعية العربية في الخليج بزعامة السعودية، قام مؤخراً تجمعان جديدان، الأول هو الاتحاد المغاربي الذي

يضم دول المغرب الخمس (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، والثاني هو مجلس التعاون العربي الذي يضم (العراق والاردن ومصر واليمن الشمالي).

وقد نشأت هذه التطورات بفعل ميول موضوعية يفرضها واقع التطور العالمي، الذي يشهد، في ظل التدويل المتعاظم، نشوء تكتلات اقليمية ذات طابع سياسي - اقتصادي عملاق، مثل توحيد السوق الاوربية الذي يفترض اكتماله في العام ١٩٩٢، والاتحاد الامريكي - الكندي، وهي بمجملها تكتلات حول المراكز المتنافسة في العالم الرأسمالي.

ان الاتحادات المذكورة في العالم الرأسمالي تتميز بطابع اقتصادي وسياسي بالدرجة الأولى تمليه مصالح التنافس الاقتصادي الضاري الذي يهدد الضعفاء بخطر الابتلاع. أما الاتحادات التي نشهدها في العالم العربي، وبخاصة مجلس التعاون الخليجي، ومجلس التعاون العربي، فيغلب عليهما الطابع الامني - العسكري.

وقد اظهرت السنوات الثمان من عمر التعاون الخليجي، على سبيل المثال، انه حلف ذو طابع رجعي، امني - عسكري بالاساس، عزز مواقع الرجعية في دول الخليج، وبخاصة موقع السعودية الساعية إلى احتلال مركز الزعامة في العالم العربي، كما شدد من تبعية هذه البلدان للامبريالية، واوصلها إلى طلب الحماية منها، وتقديم التسهيلات والقواعد العسكرية لقواتها واساطيلها التي تعاظمت في المنطقة.

أما مجلس التعاون العربي، الذي أعلن عن قيامه في بغداد، فهو محور ذو طابع سياسي وعسكري واضح، رغم الاكثار من الحديث عن جوانبه الاقتصادية، ورغم بلاغة البيانات عن التكامل الاقتصادي، فالبلدان الأربعة، التي تتمتع مجتمعة بثقل سكاني كبير نسبياً وثقل عسكري بارز، تعاني في الوقت نفسه من مصاعب اقتصادية بالغة الجسامة، فهي مثقلة بالديون، وتعاني من عجز كبير، وازمة اقتصادية طاحنة، ولو تركنا ديون العراق جانباً، لوجدنا ان على مصر ان تفكر في منفذ لاعادة جدولة ديونها التي تناهز العشرين مليار دولار. أما الاردن فاعباء ديونه أشد وطأة.

لقد تدعم التعاون بين الانظمة المنضوية تحت لواء هذا الاتحاد، في المجالات السياسية والعسكرية في مجرى الحرب العراقية - الايرانية.

ويأتي التعاون فيما بينها الآن تعبيراً عن الصراع على موقع الزعامة على العالم العربي بوجه الكتلة التي تتزعمها السعودية، من جهة، وتعبيراً عن مساعي كل نظام منفرداً إلى تقوية مواقعه: العراق لترسيخ مواقع النظام الدكتاتوري، ومصر لفك العزلة عن كمب ديفيد والعودة للحظيرة العربية، والاردن لتقوية مواقعه في ميزان المساومات المتعلقة بالشرق الاوسط، واليمن الشمالي لخلق توازن ازاء النفوذ السعودي المتنامي، والاستقواء على الجيران الآخرين.

وبوجه عام يعمل هذا الاتحاد على تدعيم تيار كمب ديفيد، ومحاصرة قوى وانظمة وطنية؛ أي بالتحديد اليمن الديمقراطية وسوريا، ودعم القوى الانعزالية الموالية لاسرائيل في لبنان، والضغط على منظمة التحرير، وغير ذلك من المواقف التي تتناقض مع مصالح الشعوب العربية.

أما قيام الاتحاد المغاربي، فقد جاء مشفوعاً بالحديث عنه كما لو انه يشكل استجابة للمشاعر والاتجاهات والميول التي تستهدف تحقيق التقارب والاتحاد بين دول المغرب لمواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية التي تحيط به. ومن شأن معاينة الخطوات العملية القادمة لهذا الاتحاد ان تتيح التعرف على مدى ما يمكن ان يتحقق من الاهداف التي اعلنها مؤسسوه.

ان قيام اتحادات اقليمية عربية، أو قيام خطوة أو خطوات باتجاه التكامل الاقتصادي العربي، على قاعدة التنمية المستقلة، والنضال ضد الامبريالية والصهيونية، هو أمر يستجيب لتطلعات الشعوب العربية نحو الوحدة التي ينبغي ان تقوم على اسس الديمقراطية.

وانطلاقاً من هذا الفهم، كان حزبنا وما يزال يدعو إلى تمتين عرى التضامن العربي التحرري، ويناضل في سبيل تكامل اقتصادي عربي يخدم اهداف التنمية والتطور الاقتصادي المستقل.

وقد أشار حزبنا في الكثير من وثائقه إلى ان العلاقات الاقتصادية بين البلدان العربية والمراكز الرأسمالية اقوى واوسع من العلاقات فيما بين البلدان العربية نفسها، وان هذا الاتجاه يستمر ويزداد مضعفاً عرى العلائق بين بلداننا. ولا يعرقل فعل هذا الميل سوى الفعل المعاكس لبعض العوامل الموضوعية، السياسية والعسكرية والامنية، الشديدة التقلب والتغير، والتي تخلق، حاجات معينة للتعاون بين الاسر الحاكمة في الخليج مثلاً، أو بين الانظمة الحاكمة، المجتمعة في اطار المجلس العربي، وهي حاجات محدودة بمصالح الطبقات الحاكمة، ولا تلبي الحاجات الفعلية للتعاون السياسي والعسكري والاقتصادي التي تقتضيها مصالح الجماهير الشعبية الواسعة في عالمنا العربي.

ومما يبعث على الاسف ان الدول العربية المعادية للامبريالية، لم تستطع بلورة صيغ رسمية أو التفاعل مع الاحزاب الثورية لتطوير صيغ شعبية، فعالة، لمواجهة نشاط القوى الرجعية ومحاورها، وبخاصة في اطار المبادرة إلى خلق صيغ تنسيق وعمل مشترك ذات مضمون وطني معاد للامبريالية، اذ بقيت الصيغ الرسمية ضعيفة، تتسم بالموسمية، وفقدت فاعليتها بالتدريج لافتقارها إلى اسس ومقومات فعاليتها وديمومتها وقدرتها على ممارسة تأثيرها على الحركة الشعبية.

ان عموم الوضع في البلدان العربية يستدعي:

١ ـ دراسة التطورات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية الجديدة وما يترتب عليها من

تغيرات في مضمون حركة التحرر الوطني العربية وقواها ومهماتها.
٢ ـ البحث عن اشكال وصيغ جديدة من التنسيق والتعاون والتحالف بين قوى حركة التحرر الوطني العربية.
٣ ـ تركيز النضال في مهمات اساسية وملموسة تتمثل في:
أ ـ اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة عن طريق المؤتمر الدولي وكل اشكال الضغط الفلسطيني والعربي والعالمي.
ب ـ تحرير جنوب لبنان والجولان وكل الأراضي العربية المحتلة.
جـ ـ ازالة القواعد وسحب الاساطيل الامبريالية من العالم العربي.
د ـ تعزيز علاقات الصداقة والتضامن مع قوى التقدم والاشتراكية في العالم وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي.
هـ ـ النضال في سبيل ضرب المواقع الاقتصادية للامبريالية واقامة العلاقات الاقتصادية مع الدول الرأسمالية المتطورة على أساس التكافؤ والمساواة والمنفعة المتبادلة.
و ـ النضال في سبيل الديمقراطية السياسية وحقوق الجماهير، وضمان التعددية السياسية، وانهاء كل اشكال الاستبدادية للحكم.
ز ـ النضال من أجل فرض رقابة عمالية وجماهيرية فعالة على قطاع الدولة وتخليصه من هيمنة البرجوازية البيروقراطية.
ح ـ النضال في سبيل تنمية عقلانية في كل بلد وانتهاج سياسة تكامل اقتصادي عربي حقيقي تستهدف تنمية قدرات كل البلدان العربية في مواجهة الامبريالية وتكتلاتها الاقتصادية.

الحركة الشيوعية والعمالية في البلدان العربية

تضطلع الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية بدور هام في النضال الوطني والديمقراطي، ويشكل نضالها ومبادراتها أحد الروافد الاساسية لحركة التحرر الوطني العربية.

ولقد لعبت هذه الاحزاب دوراً بارزاً في بلورة وتعزيز اتجاهات النضال من أجل الحريات الديمقراطية في بلدانها، وتعبئة الجماهير الشعبية الكادحة في النضال من أجل مطاليبها وحقوقها الاجتماعية وفي سبيل القضايا الوطنية العادلة لتلك الشعوب.

وتقوم هذه الاحزاب بدور كبير في النضال الوطني التحرري من أجل تحقيق الاهداف القومية في تحرير الاراضي المحتلة وازالة الوجود العسكري الامبريالي وتمتين عرى التضامن

العربي والدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية الكادحة وطرح البرامج الواقعية حول آفاق التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي من أجل القضاء على التبعية والتخلف والنضال في سبيل نزع سلاح وصيانة امن وسلام العالم.

وان تلاحم الحركة الشيوعية والعمالية في البلدان العربية وتطوير اشكال التنسيق والعمل المشترك فيما بينها، في المجالات السياسية والفكرية وغيرها، ومواصلة لقاءاتها، تظل باستمرار توجهات ينبغي العمل على تطويرها، بما يضمن صياغة اسلوب وأطر تعتمد النقاش والتفاعل والعمل المشترك على أرضية التنوع، وترك ما اثبت الواقع عدم فعاليته من الاساليب السابقة.

وينبغي لاحزابنا ان تتوجه لصياغة اوسع عمل فكري وسياسي مشترك مع التيارات الماركسية خارج الاحزاب الشيوعية.

وعلى صعيد حركة التحرر الوطني العربية يمكن لاحزابنا ان تبحث وتبلور صيغة عمل مشترك تأخذ في الاعتبار خصوصية كل بلد وكل حركة، كما تأخذ في الاعتبار المهمات الاساسية لعموم الحركة أيضاً، على ان تكون هذه الصيغة مرتكزة إلى حق التمايز والاختلاف والقبول بالرأي الآخر، وبخاصة من قبل الاحزاب الحاكمة، ومقاومة النزوع إلى الهيمنة على صيغ العمل المشترك.

ان البحث الجماعي كفيل بابداع الصيغ والاطر القابلة للتجديد والتجدد انسجاماً مع ما تفرضه الحياة.

الوضع الدولي:

يتميز الوضع الدولي بتطورات ايجابية كبيرة يمكن اعتبارها حصيلة عملية للنجاحات التي تحققها عملية اعادة البناء (البيريسترويكا) والتفكير السياسي الجديد الذي يمارسه الاتحاد السوفييتي ويشق طريقه بحيوية وجرأة في السياسة العالمية كما تواجهه مصاعب غير قليلة. وان التدابير الهامة التي اتخذها ويتخذها الاتحاد السوفييتي في هيئة الامم المتحدة وفي العلاقات الدولية وفي اثناء المباحثات مع الولايات المتحدة خصوصاً والدول الاوربية الغربية، لم تكن ممكنة لولا التحسن الكبير الذي طرأ على العلاقات الدولية في السنوات الثلاث الاخيرة بفضل المبادرات السوفييتية ودعم كل القوى المحبة للسلام في العالم.

ان بداية الحوار بين دول معاهدة وارشو وحلف الاطلسي في المسائل الخطيرة كقضية الامن ونزع السلاح والتنفيذ الناجح لمعاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى والاجراءات

بشأن تخفيض القوات المسلحة والاسلحة التقليدية، وغيرها من الأحداث التي جرت في الآونة الأخيرة، خلقت مناخاً ملائماً في العلاقات الدولية اقدمت القيادة السوفييتية والدول الاشتراكية الأخرى في ظله على خطوات جادة في مجال نزع السلاح من جانب واحد.

وبتأثير التفكير السياسي الجديد يزداد ادراك المجتمع الدولي لمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الراهنة التي تعاني منها شعوب بلدان العالم الثالث، وفي مقدمتها مشكلات التخلف الاقتصادي والتبعية وتراكم الديون وعدم التكافؤ في العلاقات الاقتصادية الدولية، وقضايا الجوع والمرض والموت المبكر لملايين الاطفال سنوياً واتساع البطالة ومخاطر التلوث وزحف ظاهرة التصحر وانتشار استعمال المخدرات... الخ، التي تستدعي تأمين تعاون دولي واسع النطاق في إطار الجمعية العامة للامم المتحدة من أجل معالجة تلك المشكلات ووضع حد للتوترات والمشكلات الناشئة في مناطق العالم المختلفة.

وفي مثل هذه الاجواء الايجابية يبذل المزيد من الجهود في مؤتمر فيينا من أجل تخفيض القوات المسلحة والاسلحة التقليدية، لخلق التوازن العسكري بين دول حلف الاطلسي ودول معاهدة وارشو، وجعلها في الحدود المناسبة التي يطلق عليها مستوى الدفاع المعقول في خطوات مهمة على طريق نزع السلاح العام الشامل في اوربا.

ان حزبنا يحيي بحرارة جهود المجتمع الدولي للتخلص من شرور الاسلحة الكيمياوية والجرثومية ومنع انتشارها واتلاف المخزون منها والتي تجسدت في مؤتمر باريس باعتبارها خطوة مهمة بالاتجاه الصحيح ومن أجل تلافي المزيد من مشكلات تلوث البيئة.

ومع تحليل اتجاهات التطور العالمي، وملاحظة التقدم الكبير في تحسن العلاقات الدولية وظهور بوادر ايجابية، لا يمكن مع ذلك اخفاء القلق الناجم عن العراقيل التي تضعها الاوساط المتنفذة في المجمع العسكري الصناعي في الولايات المتحدة الامريكية واوساط حلف الاطلسي الرجعية، ومن بين مظاهر هذا الخطر وتجلياته الاتجاهات المتشددة في الولايات المتحدة ودول غربية أخرى واصرارها على تحديث الاسلحة والالتفاف على عمليات نزع السلاح النووي وعرقلة مفاوضات نزع الاسلحة التقليدية وحل النزاعات الاقليمية.

ونجد مثالاً على مخاطر النزاعات الاقليمية الوضع في افغانستان. لقد دعا الاتحاد السوفييتي إلى التوصل إلى حل سياسي شامل في افغانستان، وأكد ضرورة الحوار الافغاني. وإلى هذا الحوار تدعو منذ أمد بعيد حكومة جمهورية افغانستان التي وضعت برنامج المصالحة الوطنية وعرضت على المعارضة المشاركة في السلطة.

ان تطور الوضع المعقد والصعب في افغانستان يتوقف إلى حد كبير على ما اذا كان بقية المشاركين في اتفاقات جنيف سيقتدون بالاتحاد السوفييتي وقيادة جمهورية افغانستان وما اذا كانت المعارضة الرجعية المتطرفة المسلحة قادرة على الانطلاق في تفكيرها من مصالح الشعب

الافغاني واعتماد العقل والحكمة.

ان عملية البيريسترويكا وما يرافقها من تفكير سياسي جديد في معالجة القضايا الدولية تترك آثارها الايجابية على النضال في سبيل صيانة الحياة على الأرض ودرء مخاطر الحرب النووية الحرارية المهلكة، ودفع عجلة تقليص اصناف من السلاح النووي، واطفاء بؤر التوتر الاقليمية ذات الابعاد الدولية الخطرة على السلام، وزيادة التعاون بين سائر البلدان بصرف النظر عن انظمتها الاجتماعية - السياسية بما يخدم المصالح المشتركة ومصالح البشرية جمعاء.

وقد تحققت في هذا المضمار نجاحات ملموسة، رغم ما يكتنف هذه العملية من مصاعب وعقبات شأنها شأن كل عملية نضالية.

وتترك عملية التجديد واعادة البناء آثارها الايجابية على نضالات الشعوب في سبيل استقلالها وتطورها المستقل ومن أجل اشاعة الديمقراطية واحترام حقوق الانسان وعلى نضالات حركة الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية في العالم.

وفي الوقت الذي نؤكد فيه الحاجة القصوى للاستفادة من معطيات عملية اعادة البناء ونهجها الثوري في التجديد والديناميكية والواقعية، وعكس هذه المعطيات الجديدة على واقع بلداننا ونضالات احزابنا، فاننا نعتقد ان من واجباتنا الملحة والاساسية التصدي لمحاولات تبسيط جوهر هذه العملية الثورية، حيث تصبح العلنية وحرية النقاش وتعدد الآراء في الحزب، في نظر البعض مثلاً، نفياً للمركزية الديمقراطية والانضباط الحزبي والقبول بالتكتلات داخل الحزب بديلاً عن وحدته على الاسس اللينينية للتنظيم.

وتفسر الاجراءات التي تستهدف تخليص الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكي من التشويهات والبيروقراطية والقيود التي تعيق تطوره ومرونة استجابته لحاجات الشعب، من قبل اعداء البيريسترويكا، باعتبارها تخلياً عن الاشتراكية وعودة للرأسمالية.

ان مضمون عملية البيريسترويكا والتفكير السياسي الجديد، التي يؤيدها حزبنا ويسعى لاستيعابها والاستفادة من دروسها، يؤكد بين امور عديدة أخرى حقيقة الترابط بين النضال في سبيل السلم والنضال في سبيل الديمقراطية. وان القيم الانسانية وحقوق الانسان والعلنية مبادىء تتفق والنضال الوطني والتحرري والديمقراطي. ولا يمكن ان تشكل تزكية للانظمة الدكتاتورية ومضطهدي وجلادي الشعوب.

تحايا

للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

تحية نضالية

يعرب الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي مجدداً عن مواقف حزبنا التضامنية الثابتة مع الشعب العربي الفلسطيني الشقيق في نضاله من أجل تحرير الأراضي المحتلة من دنس العسكريين الاسرائيليين واقامة دولته الوطنية المستقلة بقيادة منظمتكم المناضلة.

لقد وقف الاجتماع الكامل عند مغزى الانتفاضة الباسلة والفريدة للشعب العربي الفلسطيني، وما أفرزته من مظاهر إيجابية، سياسياً وفكرياً ومعنوياً، والتي تجاوزت بأهميتها النطاق الفلسطيني بل والعربي أيضاً. وأعطت هذه الانتفاضة الباسلة زخماً هائلاً لنضال الشعب الفلسطيني من أجل حل قضيته الوطنية وغيرت ميزان القوى، وأحبطت الحلول الانفرادية المشبوهة، وأكسبت هذه القضية احتراماً واهتماماً عالميين واسعين.

لقد عززت هذه الانتفاضة المجيدة الثقة لدى شعوبنا في قدرة الجماهير على أخذ زمام المبادرة بيدها وهي التي تعاني منذ عقود طويلة من العسف والارهاب المتواصل وفرض الوصاية على حركتها. وأضفت أجواء الأمل على تجاوز الصعوبات الجمة التي تواجه حركة التحرر الوطني العربية والتصدي للمخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية الساعية إلى التنكر لارادة جماهير شعوبنا في تحررها والتمتع بخيراتها والعيش في ظل حياة ديمقراطية.

إن الشيوعيين العراقيين الذين يخوضون الكفاح في ظل ظروف بالغة الصعوبة، يعبرون عن فخرهم واعتزازهم بالكوكبة اللامعة من شهداء الانتفاضة الذين عبروا

بتضحياتهم عن وجدان وإرادة الثوريين في جميع البلدان العربية. إن حزبنا إذ يؤكد عزمه على مواصلة النضال من أجل عراق ديمقراطي ينعم أبناؤه، عرباً وأكراداً وأقليات قومية، بالسلم والديمقراطية، يؤكد تضامنه اللامحدود مع جماهير الانتفاضة ونضال الشعب الفلسطيني من أجل العودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني الشقيق.

الظفر لانتفاضة الشعب العربي الفلسطيني

العار للغزاة الصهاينة وحماتهم.

الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي
أوائل آذار ١٩٨٩

لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني

الرفاق الأعزاء في اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني

تحية رفاقية..

يهدي الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي أحر التحايا النضالية ويجدد تضامنه مع حزبكم وشعبكم المحب للحرية والسلم في نضاله من أجل أفغانستان موحدة ينعم شعبها بالأمن والازدهار.

لقد تابعنا باهتمام المسيرة الشاقة لشعبكم وحزبكم الهادفة إلى حماية استقلال البلاد وسيادتها ووضع نهاية لنزيف الدم على الأرض الأفغانية. إننا ندعم جهود حزبكم والحكومة الأفغانية من أجل وقف التدخل الامبريالي السافر واللجوء إلى الأساليب السلمية من قبل الأفغانيين أنفسهم لحل مشاكلهم. ونثمّن المساعي المبذولة من قبل الحكومة الأفغانية لتطبيق قرارات مؤتمر جنيف. إن التزام الحكومتين الأفغانية والسوفييتية باتفاقية جنيف يعبر عن الموقف المسؤول المفعم بالانسانية ازاء مصير الشعب الأفغاني وازاء قضية الأمن والسلم في المنطقة والعالم.

إننا ندين بشدة مواقف الولايات المتحدة الأمريكية والعسكرية الباكستانية في تخليها عن تطبيق جوهر اتفاقية جنيف. ونعبر عن التضامن معكم ضد استمرار

الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان والدول العربية الرجعية كالسعودية في اشعال لهيب الحرب ومد القوى المتطرفة بشتى أنواع أسلحة الدمار والدعم المادي مما يحول دون حل القضية الافغانية، ويزيد من تفاقمها وتعقيدها. وندين مساعي الأوساط المتنفذة لمواصلة العدوان على الشعب الأفغاني وتهديد استقلال بلاده التي دفع تضحيات غالية على مدى عقود طويلة من أجل صيانته.

الظفر لارادة الشعب الأفغاني ونضاله ضد تطاولات الامبريالية الأمريكية وحلفائها وفي سبيل السلم والاستقلال.

آذار / ١٩٨٩

الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي

للحزب الاشتراكي اليمني

اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني

تحية رفاقية حارة..

يتوجه الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي بالتحايا الكفاحية الحارة لحزبكم الشقيق وكافة أبناء شعب اليمن الديمقراطية، معرباً عن التمنيات الصادقة بإحراز النجاحات على طريق تحقيق الأهداف النبيلة التي تناضلون في سبيلها.

لقد تابع الاجتماع باهتمام بالغ مسيرة حزبكم الذي يقف في طليعة شعبكم، مكافحاً من أجل توطيد ومواصلة مسيرته الثورية، وتذليل الصعوبات التي تجابهها وتحقيق المصالح الجذرية للطبقة العاملة والكادحين ورفع مكانة اليمن الديمقراطية واسهامها في نضال حركة التحرر العربية والحركة الثورية العالمية.

إننا إذ نعبر عن تضامننا العميق مع النضال العادل الذي يخوضه شعب اليمن الديمقراطية بقيادة الحزب الاشتراكي اليمني، نعرب، في الوقت نفسه، عن امتناننا لمواقفكم التضامنية المشرفة مع نضال حزبنا وشعبنا في سبيل السلم والديمقراطية.

وينظر الشيوعيون العراقيون باعتزاز كبير إلى علاقات الرفقة الكفاحية التي تربط حزبهم بشقيقه الحزب الاشتراكي اليمني في مجرى النضال من أجل الاهداف المشتركة.

آذار / ١٩٨٩

الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي

عيد النضال

مساء الحادي والثلاثين من آذار أُقيم مهرجان خطابي وفني في قاعة سينما الزهراء بدمشق، وذلك احتفالاً بالذكرى الخامسة والخمسين لتأسيس حزبنا.

لم تتسع القاعة، على سعتها، لحشد الشيوعيين وأصدقائهم والضيوف، من الأشقاء والحلفاء. تصدرت المسرح العريض لافتة كبيرة تمجّد الذكرى، وعلى جانبيها صورتا القائدين الشهيدين فهد وسلام عادل، وازدانت الجدران بطائفة من شعارات الحزب في هذه المناسبة.

على رأس وفد حزب البعث العربي الاشتراكي حضر الرفيق عبدالله الأحمر الأمين العام المساعد للقيادة القومية. وحضر عدد كبير من قادة وكوادر الأحزاب الشيوعية الشقيقة وحركات التحرر العربية وقوى المعارضة الوطنية. ودوّت عاصفة من التصفيق والزغاريد حين دخل شاعر العرب الأكبر الجواهري.

بدأ المهرجان بنشيد الأممية. ثم رحب الرفيق عبدالرزاق الصافي بضيوف الحفل ودعا إلى الوقوف دقيقة صمت اجلالاً لذكرى شهداء الحزب والشعب والحركة الوطنية الأغرار.

وسط التصفيق والزغاريد ارتقى المنصة الجواهري الكبير ليرتجل من الذاكرة مقاطع من قصيدته التي مجد بها الحزب في عيده الأربعين: سلاماً ياعيد النضال

ثم توالت كلمات حزبنا، والأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، وحركات التحور العربية، وقوى المعارضة الوطنية العراقية، وحزب البعث العربي الاشتراكي.

افتتح الحفل الفني طلائع ١٤ تموز حين دخلوا إلى القاعة وسط التصفيق والزغاريد، تتقدمهم حاملة الشموع الخمس والخمسين، وهم ينشدون: سنمضي سنمضي إلى ما نريد.. وطن حر وشعب سعيد. وعلى المسرح قدم براعم الحزب

إحدى أغنياتهم الجميلة.

ثم توالت الفقرات الفنية التي أدّتها فرقتا الطريق وبابل العراقيتان، وفرقتا بيسان والجذور الفلسطينيتان، وفرقتا سميح شقير وزنوبيا السوريتان. وتخللت الحفل دبكات لشبيبتنا الكردية تصاحبها أغنيات من كردستان العراق الصامدة بصوت الفنان هيوا.

هذا وجرى خلال المهرجان توزيع الكراس الذي احتوى التقرير السياسي للاجتماع لاعتيادي الكامل للجنة المركزية المنعقد في أوائل آذار.

وكان البلاغ الصادر عن الاجتماع قد أكد للرفاق والأصدقاء، عشية العيد، أن حزبهم ماضٍ على النهج الثوري الذي رسمه المؤتمر الوطني الرابع، نهج الكفاح المتفاني في سبيل خلاص شعبنا من الدكتاتورية الفاشية، من أجل البديل الديمقراطي..

وفي عيده الخامس والخمسين تلقى الحزب برقية التحية التالية من حزب لينين

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

الرفاق الاعزاء

نتوجه اليكم بالتحايا الاخوية بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة والخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي. ان اعضاء حزبنا يعرفون معرفة جيدة النشاط الوطني للشيوعيين العراقيين.

نتمنى لكم النجاحات في حل القضايا المعقدة التي تواجه الحزب الشيوعي العراقي.

مع تحياتنا الشيوعية

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
في الاتحاد السوفييتي

في العدد القادم ننشر رسائل وبرقيات التحية الواردة الى الحزب بهذه المناسبة

سلاماً يا عيدَ النضالِ

سلامــاً: ومنــذُ العصــورِ الخــوالي مذْ اخضرَّ حِقــلٌ بســمــرِ الغــلالِ
ومُـذ حُكِّـمـت سادةٌ في المـوالي
تنـسّـمـتِ الأرضُ ريـحَ الـنـضـالِ
زهـت بالشريـد رؤوس الجـبـالِ
وتـاه الـثـرى بالـدمـاءِ الـغـوالي
ودُقّتْ مسـامـيرُ خَجـلى عَطاشى بكـفِّ المسيـحِ فطارتْ رَشـاشـا
بقـايـا دمٍ للعـصـورِ الـتـوالي
تُخضِّـب بالمـجـدِ هامَ الـرجـالِ
سلامــاً: وراحـت تُصبُّ الـقـيـودُ ويحـمـرّ فرطَ الحـيـاءِ الحـديـدُ
ويُـطرِق في الـغـابِ خزيـانَ عودُ
تُحثُّ المـشـانـق منـه اعـتـسـافـا تدلّى عليـهـنَّ هِـيـفـاً لطافـا
من الـصـيـدِ في كلِّ يومٍ قدودُ
بهنَّ من الـصـبـحِ يُخزى عمـودُ
سلامــاً: ومـا ظلَّ فجـرٌ يلوح ومـا طارحَ الـفجـرَ ديـكٌ يصيـحُ
ومـا هزهـزت شامـخَ الـدوحِ ريحُ
سـتـبـقـى رؤوسٌ ضخـامٌ تَطيـحُ
ويـبـقـى يرجُّ الضريـحَ الضريـحُ
إلى يوم يؤذنُ عيـدٌ جديـدُ

كلمة الحزب ألقاها الرفيق كريم أحمد عضو المكتب السياسي .

أيتها الرفيقات والرفاق الأعزاء

في هذه اللحظات المجيدة التي نلتقي فيها لاحياء الذكرى الخامسة والخمسين لتأسيس حزبنا، يواصل الشيوعيون البواسل رفاق فهد وسلام عادل، تقاليدهم البطولية في استقبال العيد، متنقلين من بيت لبيت، ومن حارة لحارة، ومن مدينة لمدينة، ينثرون بصمت وحذر شديد، ولكن بابتهاج عميق، قطع الحلوى الملفوفة بشعارات الحزب، والأوراق السرية المكتوبة بعناية، تحمل مقاطع من بيانات الحزب، ووثائقه، متحدين بأيمانهم إرهاب الجلادين ومجازرهم. وفي كل منعطف يعبرونه إلى حيث ينتظرهم رسول الحزب أو رفاقه، يتهامسون مع أنفسهم، وهم يجتازون معابر عيون الجلادين، بالقسم على الدفاع عن شرف حزبهم، ومواصلة الكفاح حتى الظفر الأكيد.

وها نحن هنا، في دمشق النضال الحازم ضد الامبريالية، ننقل تلك الأصوات المهموسة المتحدية، لمن لا يسمع غير الأصوات المضخمة، أو يصعب عليه تلمس الطريق عبر الأقبية الضيقة التي تشرف على رحاب الحياة الحرة، المفعمة بالسعادة والكرامة الانسانية، والوعود التي تبشر بها قطع حلوى العيد، والمنشورات السرية، والهمسات التي تجدد القسم بمواصلة النضال والتضحية حتى الظفر!

أيتها الرفيقات العزيزات والرفاق

على مدى خمسة وخمسين عاماً، كانت راية الشيوعيين تخفق وهي تنتقل من يد إلى يد، تتحدى الارهاب ومحاولات التصفية. وكانت هذه المسيرة المجيدة، تجتاز بعناد المراحل الشاقة والمعقدة، مستمدة عزمها من ثقة الشيوعيين بحزبهم وبعدالة قضيته، واستجابة أهدافه لتطلعات الطبقة العاملة، وكل الكادحين بسواعدهم وأدمغتهم.

وفي هذا المدى الكفاحي البطولي الطويل، كان الحزب يذود بثبات عن شرفه الثوري في سوح المعارك الوطنية والطبقية والقومية وفي معمعان الكفاح ضد كل زمر التكتل والانقسام قديمها وحديثها، رافعاً تلك الراية المجيدة المضمخة بدماء شهدائه، والتي رفعها فوق أعواد المشانق فهد ورفاقه، وسلام عادل، والكوكبة اللامعة من أبطال حزبنا والحركة الثورية،

الذين دفعوا حياتهم الغالية ثمناً لها، تحت التعذيب، وفي زنازين الاعدام، وفي الانتفاضات والوثبات، وفي معارك الأنصار البطولية.

وهكذا استحق حزبنا لقب حزب الشهداء، وهو لقب يؤشر لبسالة الشيوعيين، واصرارهم الذي لا مرد له للظفر، بأهدافهم.. أهداف الحركة الوطنية الديمقراطية، والشعب الكادح، والاجهاز النهائي على الدكتاتورية الفاشية في وطننا الحبيب.

إن احياء هذه الذكرى يحمل أكثر من مغزى، ولعل أعظم مغزى يكمن في أن أعتى الرجعيات والدكتاتوريات التي توهمت أنها قادرة على اقتلاع جذور الحزب الممتدة عميقاً في وجدان الشعب، واستخدمت، لتحقيق غايتها هذه أبشع وسائل الارهاب، كانت تكتشف، في كل مرة، أنها عاجزة عن اسكات صوت الشيوعيين لأنه صوت الشعب، وعن فل ارادتهم لأنها ارادة الشعب.

أيها الرفاق

لقد شهدت بلادنا خلال الأشهر الأخيرة، تطورات ومستجدات هامة، لعل أبرزها توقف القتال في الحرب العراقية الايرانية، بعد ٨ سنوات طاحنة من الدمار.

فقد جاء هذا الايقاف تأكيداً على صحة شعارات حزبنا وخطه السياسي وتنبؤاته بمآل هذه الحرب، وهو الذي أدان منذ اللحظات الأولى الحرب ومشعليها، وطالب بإيقافها والعودة إلى حيث تحركت الجيوش، والجلوس على طاولة المفاوضات لحل المشاكل المثارة لصالح الشعبين والبلدين الجارين. كما جاء ايقاف القتال برهاناً على خطأ تلك الأفكار التي راهنت على استمرار الحرب وعولت على قوى خارجية لاسقاط النظام، أو تلك التي دعت إلى الوقوف في صف النظام تحت ذرائع مختلفة.

ونشأ أثر وقف القتال انعطاف جديد يستلزم تعبئة الطاقات لتحويل وقف القتال إلى سلم عادل ووطيد واستنهاض الجماهير الشعبية لتحويل الأسئلة المريرة عن جدوى هذه الحرب ودوافعها ونتائجها إلى أدوات فعالة للنضال ضد الدكتاتورية ونهجها.

ويتميز هذا الوضع الجديد بتهرب النظام الدكتاتوري من الاجابة على أسئلة الحرب، والتسويف في المفاوضات ومحاولة اجهاض تفاعلات ما بعد الحرب عن طريق تشديد الحملة الارهابية، حد استخدام الأسلحة الكيمياوية. وتنفيس الضغوط بالحديث عما يسمى بـ «التعددية السياسية»، وتعزيز سلطة البرجوازية الكبيرة البيروقراطية والطفيلية.

وقد ترافق ذلك مع معالم سياسة النظام على الصعيد العربي المتمثلة في تشكيل محور بغداد ـ عمان ـ القاهرة ـ صنعاء، السياسي ـ العسكري واعلانه كتجمع اقتصادي عربي للتستر على طابعه الحقيقي باعتباره أداة لممارسة أشكال جديدة من الضغوط والتدخل في الشؤون الداخلية لبعض البلدان العربية وهو ما يتجلى هذه الأيام بشكل صارخ في لبنان

الشقيق، حيث تدعم الدكتاتورية شبيهتها في لبنان المتمثلة بحكومة عون العسكرية. وهذا السلوك يعكس بوضوح نهج صدام الاستفزازي الرامي لتوتير المنطقة باستمرار، والتلويح بأشكال مختلفة، بإمكانية نقل هذه البؤرة المهددة بالانفجار، من بلد إلى بلد وإثارة مخاوف أقرب حلفائه الذين مدوا له يد المساعدة أيام الحرب من ملوك وأمراء وشيوخ الخليج.

لقد استغل حكام بغداد فرصة وقف اطلاق النار لتوجيه قوات ضخمة مدججة بالأسلحة الكيمياوية إلى كردستان بهدف تصفية الحساب مع قوى المعارضة الوطنية وسحق كفاحها الأنصاري المسلح ووجودها السياسي، والقضاء على الحركة القومية الكردية المناضلة من أجل الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان، وتوطيد الأخوة العربية الكردية والأقليات القومية في ظل عراق السلم والاستقرار والرفاه.

وجابه الأنصار البواسل تلك الحشود الضخمة وأسلحتها الكيمياوية الفتاكة بمقاومة بطولية، ضربوا فيها أروع أمثلة الجرأة والثبات، مقدمين بذلك، ومرة أخرى، البراهين الساطعة على عجز النظام عن تصفية الحركة الأنصارية وقتل الروح المعنوية لمقاتليها الشجعان وثقتهم بعدالة القضية التي يناضلون من أجلها.

وفي ظل أجواء الهجوم هذه جدد النظام دعوته لما يسمى بـ (الحوار) مع المعارضة الوطنية.

لقد حدد حزبنا موقفه من هذا «الحوار» الذي لم يتعد حدود أحاديث من شخصيات غير رسمية دون أن تتضمن أي شيء جدي ملموس، مؤكداً أن الحوار، كأسلوب نضالي لتحقيق أهدافنا، ينبغي أن يستجيب لتحقيق تطلعات شعبنا وحركتنا الوطنية وأن يكون علنياً ويشمل الأطراف الوطنية مجتمعة.

ومن الطبيعي أنه لا بد أن تتوفر لمثل هذا الحوار مستلزماته، وأن يقترن التمهيد المناسب له بتدابير ملموسة لا بأحاديث مجردة، ملغومة بالاشتراطات أو الاجراءات والقرارات الديماغوغية.

إن شعبنا يناضل من أجل انعطاف حقيقي نحو الديمقراطية. وإلى أن يتحقق مثل هذا الانعطاف فإن حزبنا، وكل قوى المعارضة الوطنية، تحتفظ بكامل حقها في النضال بكل الوسائل في سبيل فرض البديل الديمقراطي وإقامة دولة القانون والعدالة وحقوق الانسان والديمقراطية.

أيتها الرفيقات.. أيها الرفاق:

لقد جرى مؤخراً، وإثر لقاءات تواصلت على مدى الأشهر الخمسة الماضية بين القوى الوطنية والاسلامية، التوصل إلى اقرار صيغة العمل المشترك بين القوى الوطنية والاسلامية، إلا أن التوقيع على هذا الميثاق لم يتم بسبب اصرار القوى الاسلامية على اجراء تعديلات

واضافات من شأن القبول بها الاخلال بما تم التوصل إليه بإجماع القوى المشاركة في الحوار.

إن حزبنا الشيوعي العراقي يجدد دعوته المخلصة السابقة إلى لقاء وطني واسع لكل القوى الوطنية العراقية. . ويعتقد حزبنا أن أفضل تمهيد لمثل هذا اللقاء يمر عبر مواصلة وانجاح اجتماعات القوى الأساسية : القومية العربية والقومية الكردية والشيوعية والديمقراطية والاسلامية للتوصل إلى أفضل صيغة ممكنة للعمل المشترك.

لقد جوبهت الحملة الهمجية في كردستان بأوسع حملة فضح وادانة لم يشهد النظام لها مثيلاً طوال تاريخه. .

إن جماهير شعبنا تتطلع إلى المزيد من التضامن من قوى السلم والتحرر الوطني والبلدان الاشتراكية مع نضاله ضد جرائم حكام بغداد، مستخدمي مختلف أسلحة الابادة، وفي مقدمتها السلاح الكيمياوي.

أيتها الرفيقات. . أيها الرفاق

تحية لكل أشقائنا في الكفاح. . للانتفاضة الباسلة في الأرض المحتلة والشعب الفلسطيني البطل. . للحركة الوطنية اللبنانية المقدامة. . ولسوريا الشقيقة الصامدة. . لليمن الديمقراطية، والجماهيرية الليبية. . للأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية ولكل أحزابها وقوى حركة التحرر الوطني العربية والحركة القومية الكردية.

تحية لحزب لينين العظيم في نضاله الدؤوب من أجل توطيد الاشتراكية وتطويرها، وفي الذود عن السلم ومصير البشرية وحضارتها. وتحية للبلدان الاشتراكية الأخرى.

تحية لأشقائنا في الكفاح. . الشيوعيين والثوريين في كل أرجاء العالم.تحية الاعتزاز والامتنان لمن رفعوا ويرفعون صوت التضامن مع حزبنا وشعبنا وحركتنا الوطنية.

تحية الاكبار للمناضلين الصامدين في زنازين الفاشية، ولمناضلي العمل السري، وللأنصار الأبطال مفخرة حزبنا، ولكل المناضلات والمناضلين الذين يحتفلون اليوم معنا، وفي سائر أرجاء وطننا، بعيد حزبهم المجيد.

تحية لحزبنا وهو يخوض النضال المتفاني في طليعة الشعب ومن أجل الشعب وعهداً على مواصلة الكفاح من أجل الوطن الحر والشعب السعيد.

تحية لقوى المعارضة الوطنية الساعية لاقامة الجبهة الوطنية لتحقيق أهداف حركتنا الوطنية.

وشكراً لكم جميعاً على تلبيتكم لدعوتنا في مشاركتنا عيدنا هذا.

والظفر لقضيتنا المشتركة العادلة.

وشكراً لسوريا الشقيقة وقيادتها ورئيسها المناضل الرفيق حافظ الأسد على تضامنه مع كفاح حزبنا وشعبنا.

كلمة الأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، ألقاها الرفيق فاروق دحروج عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني.

أيها الرفاق الشيوعيون العراقيون

في عيدكم، العيد الخامس والخمسين لتأسيس حزبكم الشقيق، الحزب الشيوعي العراقي، أرفع لكم باسم رفاقكم الشيوعيين العرب أطيب التحيات الرفاقية وأطيب التمنيات. فكل عيد وأنتم بخير. كل عيد وأنتم أكثر قوة، وأكثر قدرة على القيام بأعباء المهمات الصعبة التي تواجهكم وتواجه كل الحركة الديمقراطية في العراق الشقيق، والمهمات الكبرى التي تواجهنا وإيّاكم وكلّ فصائل الحركة الثورية العربية على كل جبهات الصراع في وطننا العربي الكبير ضد أعداء شعوبنا وأمتنا، أعداء تحررنا القومي والاجتماعي، أعداء وحدتنا القومية.

إنها تحية من القلب، تحية تضامن كفاحية من رفاق لكم يخوضون، كل من موقعه، نضالاً صعباً من أجل القضية المشتركة. وهي نضالات ومعارك من كل نوع تمتد من المحيط إلى الخليج في مواجهة الخطط الامبريالية والصهيونية وقوى الرجعية العربية التي تتحالف معها وفي الدفاع عن مصالح الجماهير. وتزداد صعوبة هذه المعارك بمقدار ما تزداد شراسة القوى المعادية وبمقدار ما يصيب حركتنا الوطنية الثورية من تراجع وتفكك.

إلا أننا، أيها الرفاق، أمام هذه الوقائع والتطورات والأحداث التي تشهدها بلداننا العربية معنيون بأن نبذل أقصى ما نملك من جهد في سبيل تأمين الشروط الضرورية لكي تصبح حركتنا الوطنية الثورية أكثر قدرة على مواجهة المهمات المطروحة أمامها في هذا الظرف العصيب. وليس صحيحاً أن الصعوبات أكبر من امكاناتنا بل على العكس من ذلك، فإن معارك كبرى، حصلت وتحصل اليوم، تؤكد كم هي كبيرة امكانات شعوبنا وكم هي عظيمة استعداداتها للكفاح والتضحية. وتبرز، في هذا السياق، انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة منارة مشعّة تثبت للداخل العربي وللخارج أن شعباً يمسك بقضيته، مثل الشعب الفلسطيني، قادر لا محالة على الظفر بتحقيق أهدافه. وأمامنا مثال المقاومة الوطنية اللبنانية التي انطلقت في أوج الاحتلال وكنّسته من العاصمة بيروت، وصولاً إلى الشريط الحدودي، ووحدت حولها شعباً بكامله في مهمة هي أرقى ما يمكن أن يوضع أمام شعب من المهمات ألا وهي مهمة التحرير من الاحتلال الأجنبي. وأمامنا أمثلة أخرى من الصمود والمقاومة تتمثل في الدور الطليعي الذي تضطلع به سوريا بقيادة الرفيق المناضل حافظ الأسد في مواجهة المخططات الامبريالية الصهيونية ومشاريعها الهادفة إلى فرض الاستسلام على أمتنا

وشعوبها. كما تتمثل في صمود الجماهيرية الليبية بقيادة الأخ المناضل معمر القذافي في وجه العدوان العسكري الامبريالي وفي وجه الضغوط التي تمارس ضدها من أجل اركاعها.

فكيف تعاملت حركتنا الوطنية الثورية العربية مع هذه الظاهرات وسواها من ظاهرات الصمود والمواجهة؟.

نقول بصراحة أيها الرفاق، إننا جميعاً مقصرون، لا نقوم بما تفرضه علينا من واجبات هذه الظاهرات الرائعة للصمود والتصدي والمقاومة. فهل يجوز أن يستمر هذا الوضع طويلاً؟ لا والله. وسيكون من العار علينا جميعاً أن تستمر الانتفاضة الفلسطينية وأن تستمر المقاومة الوطنية اللبنانية وأن يستمر صمود سوريا وليبيا، أن تستمر كلها في شكل ظاهرات منفصلة بعضها عن بعض دون أن تتحول إلى فعل ثوري عارم يلف الوطن العربي بأسره، يحرك جماهيره في كل مكان ويعبئها في الكفاح بكل أشكاله، في معارك لا حدود لها ولا حصر، تحت شعار تحرير شعوبنا من كل أشكال القهر والسيطرة المباشرة غير المباشرة، ومن أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والروحي، ومن أجل الوحدة القومية. فتلك مهماتنا القديمة المتجددة التي لم تنجز والتي آن أوان تسعير النضال والنهوض بأعبائه كاملة من أجل انجازها. هنا بالذات تكمن، أيها الرفاق، أهمية الدعوة التي علينا أن ننخرط جميعاً في اطلاقها وفي العمل لتجسيدها، في حياتنا ونشاطنا، الدعوة من أجل تجديد فكرنا وممارستنا وتجديد حركتنا الثورية.

وإذ نستعرض اليوم، في هذه المناسبة العزيزة، تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، تاريخ كفاحه عبر هذه السنوات الطويلة، تاريخ المعارك الكبرى التي خاضها والتضحيات الجسيمة التي قدمها، وكان فيها جنباً إلى جنب مع رفاق له من القوى الوطنية والديمقراطية العراقية في تحالف وخصام في قلب التصدي للعدو الواحد، الداخلي والخارجي، إذ نستعرض هذا التاريخ يتأكد لدينا كم هي كبيرة طاقات هذا الشعب العراقي، والحزب الشيوعي قوة طليعية فيه، ويتأكد لنا في الوقت ذاته كم هي صعبة مسيرة الحركة الوطنية والديمقراطية في العراق في المرحلة المقبلة، ولكننا، مثلما كنا على الدوام، سنكون معكم أيها الرفاق في معركتكم الراهنة وفي معارككم المقبلة دفاعاً عن الشعب العراقي ودفاعاً عن الديمقراطية المسلوبة ودفاعاً عن حقه في الحياة والتطور والتقدم بكل فئاته وقومياته، ودفاعاً عن الشعب الكردي بالذات الذي تعرض ويتعرض لأكبر مجزرة في تاريخ كفاحه من أجل حقه في تقرير مصيره داخل القطر العراقي العربي الديمقراطي الموحد. ونحن ندرك اليوم، كلبنانيين، مدى ما تمثله سياسة الحكم العراقي الراهنة من خطر على العراق وشعبه وقواه الديمقراطية من خلال ما نشهده من ممارسة هذا الحكم ودوره في الأزمة اللبنانية. فقد بلغت المغامرة في هذه السياسة في لبنان حداً تعارضت فيه على خط مستقيم، ليس فقط مع مصلحة وحدة لبنان واستقلاله وعروبته وتحرره

من الاحتلال الاسرائيلي، بل مع القضية القومية برمتها. وهكذا أصبح النظام العراقي حليفاً للقوى التقسيمية المتعاملة مع اسرائيل، مسهماً في موقفه في سياسة تدمير هذا البلد مع قوى المشروع الفاشي وفي ضرب القوى الوطنية والديمقراطية فيه، ومعيقاً للجهود التي تبذل في لبنان وفي إطار الجامعة العربية لايجاد حل للأزمة، وشريكاً في التآمر على سوريا وعلى دورها العربي في لبنان.

سنكون إلى جانبكم، أيها الرفاق العراقيون، متضامنين معكم في كفاحكم من أجل عراق ديمقراطي موحد متحرر من كل أشكال القهر والسيطرة والتسلط. غير أن معركتنا التي نخوضها على أرض لبنان هي اليوم المعركة الأقسى ولذلك سنحتاج إلى المزيد من تضامنكم ومن تضامن كل أشقائنا في الوطن العربي من كل القوى وفي كل المواقع. فنحن لا نخوض معركة واحدة، بل جملة من المعارك. وفي الوقت الذي تستمر فيه المقاومة الوطنية، بكل تياراتها وروافدها، في كفاحها ضد الاحتلال الاسرائيلي، وفي الوقت الذي يصمد فيه شعبنا في الجنوب والبقاع الغربي في وجه القمع الاسرائيلي وقمع عملاء اسرائيل، بأشكاله كافة، عدواناً شرساً بكل أنواع الأسلحة، واعتقالاً للمقاومين ولأهلنا الصامدين، وتعذيباً وقتلاً وتهجيراً وإبعاداً، في هذا الوقت الذي يكبر فيه اعتزازنا بأبطالنا الذين يقدمون حياتهم وأجسادهم وكل ما يملكون لتحرير أرضهم من الاحتلال، من أمثال سهى بشارة وأنور ياسين ورفاقهما، في هذا الوقت بالذات يفجر هذا الدكتاتور الصغير، ميشال عون، حرباً على اللبنانيين، في مناطقهم كافة، وعلى الشقيقة سوريا، ويغرق البلاد في حالة من التدمير يجدد فيها الحرب الأهلية بأعنف أشكالها ويدفع شعبنا تضحيات جساماً. إننا، أيها الرفاق، إذ نخوض هذه المعركة المتعددة الجبهات المفروضة علينا، نعدكم، باسم القافلة الكبيرة من شهدائنا، باسم أبطالنا المقاومين، باسم شعبنا الصامد الصابر الشجاع، باسم الانجازات التي حققناها في مواجهة الأعداء في الداخل والخارج، نعدكم بأننا لن ندع المغامرين الجدد دون عقاب ولن يكون مصير هؤلاء أفضل من مصير بشير الجميّل وكل الذين سلكوا طريقهم ضد شعوبهم في لبنان وفي الوطن العربي وفي العالم. ونحن نعتمد على ارادة صلبة وتجربة غنية وإيمان لا يتزعزع وثقة لا حدود لها باستعادة وحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات، وصيانة استقلاله وسيادته، وتأكيد هويته العربية، وتأمين تطوره الديمقراطي. ولكننا نعتمد في الوقت ذاته على دعم الاشقاء، وفي المقدمة الشقيقة سوريا التي وقفت إلى جانبنا وتقف في المحن التي واجهناها ونواجهها، تدعم كفاحنا هذا بثبات وتؤكد موقفها القومي الأصيل وتعطي للموقف القومي مصداقيته، ونعتمد في كفاحنا على كل دعم منكم جميعاً، أيها الرفاق، العرب في كل دياركم، ونعتمد على دعم الأصدقاء الذين لن يتركونا نواجه عدواً شرساً داخلياً وخارجياً من دون أن يقدموا لنا، ما عوّدونا، تضامنهم المتعدد الأشكال. ونؤكد لكم أننا لسنا

هواة قتال، بل نحن حريصون كل الحرص على التسريع في انهاء أزمتنا وإنهاء هذا الشكل المدمر من الصراع التي تعيشه بلادنا وتعاني منه منذ ١٤ عاماً. ولكننا لن نستطيع أن نشعر بالهدوء والاستقرار ما لم نرفع عن صدر شعبنا كابوس الاحتلال وكابوس الفاشية والدكتاتورية العسكرية. وهي مهمة لن تحول دون انجازها الصعوبات، أياً كان نوعها، والتضحيات، أياً كان حجمها.

وهكذا، أيها الرفاق، نشعر ونحن نتحدث عن معاركنا المتعددة، في هذه المناسبة التي نلتقي فيها لنكرم فصيلاً من فصائل حركتنا الوطنية الثورية، الحزب الشيوعي العراقي، نشعر كم هو مهم وأساسي الجهد الذي ينبغي أن نبذله جميعاً من أجل أن تستعيد حركتنا الوطنية العربية الثورية عافيتها ويستعيد النهوض الوطني الثوري العربي دوره وتستعيد الجماهير العربية كفاحيتها. أنها مهمتنا جميعاً وهي ليست مهمة مستحيلة.

تحية لكم، أيها الرفاق الشيوعيون العراقيون، في عيدكم، تحية تضامن واعتزاز.

كلمة فصائل الثورة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني العربية ألقاها الرفيق صابر محي الدين عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الرفيقات والرفاق الأعزاء

اسمحوا لي باسم الثورة الفلسطينية وباسم حركة التحرر الوطني العربية أن أحييكم وأتقدم إلى حزبكم المجيد بأحر التهاني الرفاقية، وأصدق المشاعر القلبية بمناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لميلاد حزبكم، الحزب الشيوعي العراقي، متمنين لكم دوام التقدم والنجاح على طريق تحقيق أهدافكم التي ضحى آلاف الشيوعيين العراقيين في سبيلها.

لقد تميزت المسيرة النضالية الطويلة لحزبكم،بنجاحاتها واخفاقاتها، بمحطات عديدة امتلأت بالمآثر البطولية الرائعة التي سجلها الشيوعيون العراقيون في كفاحهم الصعب ونضالهم الشاق والمرير من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية وفي سبيل المصالح الأساسية للشعب العراقي، ودفاعاً عن المصالح الحيوية للطبقة العاملة العراقية. وبدون شك فإن المكانة المرموقة التي يحتلها الحزب الشيوعي العراقي عربياً وأممياً ليست سوى نتيجة منطقية

لمواقفه المبدئية ولسجله النضالي الحافل بالمعارك المشرفة التي تثير في نفوسنا مشاعر الاعتزاز

الرفيقات والرفاق الأعزاء

يأتي الاحتفال بالذكرى الخامسة والخمسين لميلاد الحزب الشيوعي العراقي في وقت يتصاعد فيه كفاح شعبنا داخل الوطن المحتل في مواجهة المحتلين الاسرائيليين، وفي سبيل تحقيق أهدافه في الحرية والاستقلال. فقد صمد شعبنا الفلسطيني على مدار ستة عشر شهراً من النضال العنيد والمتواصل أمام جبروت آلة القمع والبطش والارهاب الصهيونية، وأمام أبشع الوسائل والأساليب الاجرامية التي اتبعتها سلطات العدو الصهيوني لاجهاض الانتفاضة الشعبية الباسلة ولاخماد صوتها ووقف تنامي مفاعيلها السياسية اسرائيلياً وعربياً ودولياً.

وها هو شعبنا يواصل تطوير وابتداع وسائل كفاحه ونضاله ضد قوى الاحتلال الصهيوني بتصميم لا يعرف اليأس أو التراجع. فبرغم كل الاجراءات والتدابير العسكرية والأمنية المعتمدة من قبل الحكومة الاسرائيلية لمنع شعبنا من الاحتفال بيوم الأرض الخالد هبت الجماهير الفلسطينية في مختلف المناطق المحتلة للتعبير عن تمسكها بالأرض ورفضها للاحتلال واصرارها على مواصلة كفاحها المجيد لبلوغ أهدافها في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة على التراب الوطني الفلسطيني.

لقد بات واضحاً تماماً بأن الانتفاضة الفلسطينية قد حزمت أمرها على تحويل اعلان الاستقلال والدولة المستقلة إلى حقيقة واقعة على الأرض. فالجماهير الفلسطينية التي احتضنت اعلان الاستقلال وهتفت للدولة المستقلة في مسيراتها ومظاهراتها ومواجهاتها مع قوى الاحتلال، تحرص على تجديد اصرارها وعزمها كل يوم على متابعة مسيرتها النضالية لتحقيق هذا الهدف العزيز والغالي مهما بلغت التضحيات.

لقد أصبحت الانتفاضة بكفاحها المتعدد الأشكال نظام حياة لجماهير شعبنا داخل الوطن المحتل. فقد باتت أكثر قدرة على تحمل آلام النضال الطويل وأكثر استعداداً لأعلى مستويات التضحية وللعيش تحت أقسى الظروف في سبيل بلوغ أهدافها، غير أن تحقيق هذه الأهداف بات يستوجب توفير العديد من المستلزمات لعل أهمها: توفير الحماية السياسية للانتفاضة من محاولات احتوائها واجهاضها عبر التصدي لسبل المحاولات السياسية الرامية إلى وقفها أو التخفيف من حدة عنفوانها بعد أن أظهر الجيش الاسرائيلي عجزاً عن تصفيتها عسكرياً والعمل على تعزيز ركيزتها التنظيمية عبر تطوير القيادة الوطنية الموحدة وتعزيز وحدتها كاطار جبهوي مركزي، ومتابعة الجهود لدعمها بالنار خارج نطاق مسارح المجابهة الشعبية

اليومية مع جيش الاحتلال أو بما لا يؤثر على الطابع المصيري على الانتفاضة وبما يفوت أي فرصة على العدو يستطيع النفاذ منها للتغطية على مجازره البشعة وممارساته الفاشية بحق الجماهير الفلسطينية.

وبموازاة ذلك نرى أن من الضروري أن تعمل قيادة منظمة التحرير في سبيل توفير جميع مستلزمات بلوغ الانتفاضة مرحلة نضالية أعلى، وذلك عبر بذل المزيد من الجهود لتعزيز وتطوير عمل مؤسسات المنظمة بما يرتقي بها إلى مستوى الانتفاضة وتضحياتها ومن خلال تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار منظمة التحرير عبر التمسك بالقواسم المشتركة وبقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية المتعاقبة وبالحقوق الوطنية الفلسطينية الثابتة والمشروعة وفي المقدمة منها: حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة، ومن خلال الاقلاع عن سياسة تقديم التنازلات المجانية استجابة للاشتراطات الامريكية التي تلحق أشد الأضرار بالانتفاضة وبالوحدة الوطنية الفلسطينية.

وبدون شك فإن توفير هذه الشروط والمستلزمات سيقلل من حجم تضحيات وآلام شعبنا وسيقرب من يوم تحقيق النصر وبلوغ أهداف الحرية والاستقلال واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

الرفيقات والرفاق الأعزاء

إن هذه المناسبة من الاحتفال بالذكرى الخامسة والخمسين لميلاد الحزب، تمثل بالنسبة لنا في الثورة الفلسطينية محطة هامة وبارزة لتأكيد قضايا أساسية بشأن النضال الوطني التحرري العربي وبشأن التعاضد بين فصائل حركة التحرر الوطني، وخاصة في زمن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الجبارة التي لم تزل تتطلع إلى تطوير مختلف أشكال الدعم من الاسناد المادي والمعنوي وإلى توسيع التضامن والتأييد لها من قبل الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية..

لقد ربطت حزبكم بالثورة الفلسطينية روابط وثيقة وقد توطدت وتعززت أواصر العلاقات الكفاحية بينهما بعد أن تعمدت بتضحيات مناضلي حزبكم في معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية في الأردن ولبنان وفي معارك المواجهة ضد الغزو الصهيوني عام ١٩٨٢ وبعدها أيضاً في ضوء ذلك فإننا على ثقة أن هذه العلاقات ستتوطد أكثر في مجرى الكفاح المشترك. كما أننا على يقين تام بأن أهداف نضالكم من أجل وطن حر وشعب سعيد ستتكلل بالظفر والنجاح.

ـ المجد للذكرى الخامسة والخمسين لميلاد الحزب الشيوعي العراقي.

ـ عاشت العلاقات الكفاحية بين الثورة الفلسطينية والحزب الشيوعي العراقي.

ـ النصر للانتفاضة الشعبية الباسلة.

كلمة قوى المعارضة الوطنية العراقية ألقاها الرفيق سامي عبدالرحمن الأمين العام لحزب الشعب الديمقراطي الكردستاني.

الرفيق المناضل عبدالله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي
الرفاق المناضلون قادة الحزب الشيوعي العراقي الحليف
أيّها الرفاق والأصدقاء الأعزاء:

يسعدني أن أحييكم بهذه المناسبة الوطنية الكبيرة، مناسبةِ حلول الذكرى الخامسة والخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي الحليف.

في الحقيقة يشرفني أن أحييكم باسم المعارضة الوطنية العراقية، وأن أهنىء الحزب الشيوعي بحلول عيده الخامس والخمسين، متمنياً له اضطراد التقدم وتوالي الانتصارات في شتى الميادين والمجالات، وخاصة على طريق تلاحم صفوف المعارضة العراقية المناضلة، الأمر الذي يجسّد طموحات وأماني شعبنا العراقي بعربه وكرده وأقلياته المتآخية.

كُل من عمل بصورة جادة في صفوف الحركة الوطنية العراقية لا بدّ وقد التقى بالشيوعيين في ميادين النضال وسوح الكفاح.

فأين سمعنا بالحزب الشيوعي العراقي؟

أول ما سمعنا به في وثبة كانون ١٩٤٨ المجيدة، عندما كُنا فتياناً عرفناه من خلال قيادته للتظاهرات ومن خلال شعاراته العلمية وخطاباته التنويرية، تلك الوثبة التي قبرت معاهدة بورتسموث الاسترقاقية التي توخت تجديد ربط العراق بالاستعمار البريطاني وتعميق تبعيته له.

ومتى عرفنا الحزب الشيوعي العراقي؟

لم نتعرف عليه في موسكو أو بودابست، وإنّما في لندن، قلعة الامبراطورية التي كانت لا تزال الحاكم الفعلي في العراق كُنا طلاب بعثات الحكومة العراقية، وكُنا نفكر كيف نتشبه (بالجنتلمان) الانكليزي بلبس (السموكينك) وربطة العنق القوسية ووضع محبس الألماس في الاصبع وغير ذلك. ولكن الشيوعيين العراقيين كانوا أول من همس في آذاننا قائلين أنّ هناك وطناً ينتظرنا وشعباً يتطلع إلينا، وأنّه حري بنا أن نقتدي بالثوريين في العالم بدلاً من التشبه (بالجنتلمان). فتأسست جمعية الطلبة العراقيين ورابطة الطلبة العرب وجمعية الطلبة الأكراد وغيرها. وأصبح الطلبة الذين أرسلتهم الحكومة الرجعية آنذاك لاعدادهم كوادر (متغربين)

يخدمون حكمها، أصبح هؤلاء بدلاً من ذلك بؤراً للأفكار الوطنية والتقدمية، ورافداً من روافد الحركة التحررية. وهذه الجمعيات الطلابية وأمثالها ما زالت تعمل وتزدهر في أوروبا وأمريكا، وقد قادت بالأمس القريب تظاهرات ضخمة بمناسبة حلول ذكرى كارثة حلبجة.

وكلما انتقلنا إلى الجبال، كنا نرى مناضلي الحزب الشيوعي إن عاجلاً أو آجلاً بجانبنا حاملين السلاح بوجه الطغاة الذين سلبوا حرية شعبنا.

وعندما تساقطت القنابل النابالمية والفسفورية والعنقودية وعندما نفخ نيرون العراق في رياح الموت الكيمياوية ليقضي بها على شعبنا بعد أن عجز عن القضاء على ثورته لم يكن الحزب الشيوعي بمنأى عن ذلك.

هكذا ترون أيّها الرفاق والأصدقاء الأعزاء كم مشتركة مصائرنا نحن في الحركة الوطنية العراقية.

وإذ تجدوننا اليوم في دمشق، دمشق الصلابة الوطنية والكرامة القومية، دمشق حركات التحرر الوطني لشعوب منطقتنا كافة، لم نأتِ لأغراض سياحية، بل لنجلس جميعاً سوية ونبحث ونتدارس إقامة جبهتنا الوطنية.

صحيحٌ لم تكتمل العملية الجبهوية العراقية بعد، ولكن صحيح ومهم أيضاً أن قوى المعارضة الوطنية العراقية اليوم، أقرب إلى بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى منذ زمن جبهة الاتحاد الوطني التي أقيمت عام ١٩٥٧ وبهذه المناسبة نقدم جزيل شكرنا وامتناننا لسورية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد على رعايته للمعارضة العراقية وكل القوى الوطنية والتقدمية في منطقتنا ونقدّر كامل التقدير دور هذه القيادة الحكيمة والشجاعة على نطاق المنطقة العربية كلها.

ومن على هذا المنبر نحيي الشعب الفلسطيني الشقيق وانتفاضته الباسلة وأطفال الحجارة الذين أصبحوا رمزاً نضالياً عالمياً. ونستلهم الدروس والعبر من هذه الثورة العظيمة.

فعام ١٩٨٢ ليس ببعيد عندما اجتاح العدو الصهيوني جنوب لبنان ودبّ اليأس والقنوط في نفوس الكثيرين. ولكن الشعب الفلسطيني اهتدى إلى هذا الاسلوب في النضال الفعّال، من خلال تراكم تجاربه وخبره الكفاحية الكثيرة والمتنوعة فالحجارة موجودة في فلسطين منذ الأزل والضفة الغربية وقطاع غزة محتلان منذ سنة ١٩٦٧ واسرائيل دوماً كانت معرضة للضغوط. تعلّم الأخوة الفلسطينيون هذا الاسلوب من النضال من خلال تجاربهم الخاصة وعندما تم لهم ذلك بقيت اسرائيل شبه عاجزة أمامهم. فثورة الحجارة تجربة ثورية جديدة،

تؤكـد مرة أخرى أن كل شعب محتل أو مقهور، أو محكوم بالقوة الغاشمة، سيهتدي، إن عاجلاً أو آجلاً، إلى سلاح فعّال لمقارعة أعدائه ويجبرهم على الانحناء أمام ارادته ويلحق بهم الهزيمة.

فكل الدعم وكل التضامن مع الشعب الفلسطيني الشقيق وثورته الباسلة من أجل العودة وحقه في تقرير مصيره على أرضه وتشكيل دولته الوطنية المستقلة، بقيادة منظمة التحرير ممثله الشرعي والوحيد.

وماذا عمّا يجري في عراقنا الحبيب؟

لا أريد أن أتحدث عن السجون والمعتقلات، وتعذيب الأطفال بعد تعذيب الرجال والنساء، ولا أن أتحدث عن اخلاء الريف الكردي بأكمله من السكان، ولا عن الموت الجماعي الذي سببته رياح الموت الصدامية، ولا عن مئات الألوف من معوقي الحرب، ومئات من الألوف الأخرى من أبناء شعبنا المهجرين، والمشردين الذين يعيش بعضهم حتى الآن في الخيام. فالأخوة والأخوات الحاضرون هنا من المطلعين على كل هذه الأمور، وسبقني الأخوة المتحدثون إلى ذلك أيضاً.

ولكن أتحدث فقط عن ادعاء الذئب بأنّه سيخرج من جلده! ادعاء النظام الدكتاتوري الدموي بأنّه في طريقه إلى الانفتاح وإلى التعددية والديمقراطية! في الواقع، حسم النظام الوضع الاقتصادي لصالح الرأسمالية والرأسماليين حيث باع ولا يزال يبيع مشاريع القطاع العام، المنجزة بأموال الشعب، إلى القطاع الخاص. وأول ما نجم عن ذلك موجة من الغلاء الفاحش تكوي الجماهير الكادحة وذوي الدخل المحدود. ومعلوم أن القطط السمان في مثل هذه الأحوال تستحوذ على ما يلذ لها ويطيب. والنظام الاقتصادي الرأسمالي يتطلب نظاماً سياسياً ليبرالياً كما حدث في بعض بلدان العالم الثالث. فأراد قادة النظام أن يوحوا بأنهم سائرون في هذا الطريق

ولكن كل ما تمّ في هذا المجــال في العـراق، رغم مرور شهـورٍ عديدة، على هذا الادعاء، هو عفو عام مبتور، نصح الصليب الأحمر الدولي الأكراد المقيمين في الخيام في تركيا بعـدم الاستفـادة منـه لأنّـه لا يقدم الضمانات الكافية. يضاف إلى ذلك تصريحات حذرة وضبابية من رأس النظام وأتباعه بخصوص التعددية الحزبية وحقوق الانسان وانتخابات عامة.

أمّا على أرضية الواقع فلم يتغير أي شيء. وهناك عوامل خارجية أيضاً ضاغطة على النظام الصدامي للتظاهر بأنّه يسير في هذا المنحى. حيث أنّ نسائم الديمقراطية تهب على

مختلف مناطق العالم، والعلانية أصبحت ذات شعبية كبيرة، ولم يعد بالامكان انتهاك حقوق الانسان بصورة صارخة، والاختفاء وراء ستار (عدم التدخل في الشؤون الداخلية) فهو يُريد أن يُظهر للرأي العام العالمي بأنه سائر مع التيار. وهو يبغي من وراء دعوته الديماغوجية هذه الحصول على المزيد من القروض والمساعدات فوق السبعين مليار دولار من القروض المتراكمة من الحرب. ويسعى إلى تحسين صورته أمام الرأي العام العالمي، تلك الصورة القبيحة المقترنة بعشرين سنة من الاستبداد، وثماني سنوات من حرب عدوانية وبتعذيب الأطفال وبحلبجة وغيرها وغيرها.

إنّ الذين يقدمون له القروض يريدون أن يقولوا للعالم أنّ الرجل قد تغيّر، ولكن لم يحصلوا على ذلك. . فكل التقارير الصحفية من بغداد وغيرها تؤكد أن النظام السياسي البالغ القسوة في العراق والذي تُحصي أجهزة أمنه أنفاس المواطنين غير قادر على التكيّف والانسجام حتى مع التوجه الاقتصادي الرأسمالي الذي يريده صدام. .

ولا تفوتنا الاشارة إلى دور هذا النظام في لبنان فإذا كانت المدافع الصهيونية، اليوم، بيمين الزمر الرجعية والعميلة في لبنان، فإن مدافع صدام بشمالها، ولم يَقُمْ مدعي العروبة زوراً وبهتاناً بذلك، لازعاج سورية فقط، بل ليثبت للامبريالية والصهيونية بأنه لا يزال بمقدوره تقديم الخدمات لهم ولأعوانهم بمقياس لايجرؤ أعتى العملاء على القيام بها. فبذلك يستجدي عطفهم لاسناد حكمه وتقديم الدعم له للاستمرار والبقاء.

فنظام صدام شبيه بنظام الشاه المقبور، بل أقسى منه، وقد كان رأسمالياً تماماً وطفيلياً واستمر يخدم الامبريالية في المنطقة ودكتاتورياً في الداخل حتى عصفت به الثورة الشعبية.

فلا نعتقد أنّ الذئب سيخرج من جلده.

فإلى توحيد صفوف قوى المعارضة الوطنية في جبهةٍ عراقية شاملة.

وإلى تصعيد النضال من أجل الاطاحة بالدكتاتورية الفاشية، وإقامة البديل الوطني الذي يحقق الديمقراطية لشعبنا العراقي والحقوق القومية المشروعة لشعبنا الكردي، ويعيد العراق للصف التحرري العربي والعالمي.

وأخيراً وليس آخراً أقول إنّ المبادىء تكلف أصحابها غالياً ولكن هي المنتصرة في النهاية.

والسلام عليكم. .

كلمة القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي القاها الرفيق عبد الله الأحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي

ايها الرفاق

يطيب لي في هذه المناسبة الغالية، مناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي الشقيق، ان اتقدم، باسم قيادة حزبنا وامينه العام الرفيق المناضل حافظ الأسد، إلى حزبكم المناضل، في جميع ارجاء القطر العراقي الشقيق، بأحر التهاني واطيب التمنيات.

ان الحزب الشيوعي العراقي قد جسد، خلال السنوات التي مضت، نموذجاً حياً للنضال الجماهيري، وقد كان منذ تأسيسه ولا يزال، فصيلاً اساسياً من فصائل النضال في القطر العراقي، كما انه يعد فصيلاً اساسياً من حركة التحرر الوطني العربية. ان مسيرة هذا الحزب لهي مسيرة مليئة بالنجاحات والاخفاقات، كما هي شأن مسيرة أي تنظيم أو فصيل تحرري وطني على الساحة العراقية أو الساحة العربية عموماً، إلا ان ما يميز نضال هذا الحزب هو انه استطاع ان يمثل أو يجسد تآخي القوميات بين صفوفه، ففي القطر العراقي الشقيق كما هو معروف تعيش أكثر من قومية، من عرب وكرد واقليات قومية أخرى، وقد تآخت هذه القوميات وتعايشت في صفوف الحزب الشيوعي العراقي واعطت نموذجاً للطريق الذي يوحد الوطن، تلك الوحدة التي يهددها النظام الفاشي الدكتاتوري اليوم بتصرفاته الرعناء وسياسته، التي لا تمت إلى ماضي الشعب العراقي ونضاله البطولي النموذجي في صفوف امتنا العربية، ولا تمت إلى أي نضال تحرري آخر بأية صلة. وقد تميز نضال الحزب الشيوعي العراقي أيضاً، وبالرغم من ظروف التناحرات، التي سادت في بعض المراحل اوساط الفصائل والقوى الوطنية على الساحة العراقية أو سواها، بالدعوة المستمرة إلى العمل المشترك بين فصائل القوى الوطنية العراقية والعربية، وان جهده الأخير من أجل اقامة اوسع عمل وطني في إطار جبهة شاملة، تشمل كل التيارات وكل التنظيمات بين اوساط المعارضة العراقية، لهو مثال حي على حقيقة استطاع الحزب الشيوعي العراقي ان يجسدها في السنوات الماضية ولا يزال.

لست الآن بصدد ان اعطي امثلة أخرى على نضالات الحزب الشيوعي العراقي، فكلمة اللجنة المركزية لهذا الحزب التي استمعنا اليها، في بداية هذا المهرجان الاحتفالي، قد أشارت إلى نماذج حية من هذه النضالات، اننا ومن أعماق قلوبنا نؤكد ان المناضلين في العراق

وفي سورية وفي فلسطين وفي لبنان وفي كل اقطار الوطن العربي الأخرى، شيوعيين ويساريين، بعثيين وقوميين، اكراد واقليات أخرى في العراق يجسدون فصائل حركة التحرر الوطني العربية في سائر الاقطار ينصهرون اليوم في إطار واحد، إطار النضال المشترك من أجل اهداف مشتركة، باتت تمثل قواسم اساسية لا يمكن التراجع عنها، وبات العمل والنضال من أجل تحقيق اهدافها الهم الأول والشغل الشاغل لكل القوى القومية العربية في مختلف اقطار الوطن العربي.

ان مقاومة الامبريالية والصهيونية والرجعية العميلة لهاتين القوتين... وان مواصلة النضال من أجل انهاء الظلم والعبودية والاستغلال عن اوسع الجماهير العربية سواء كان يتمثل ذلك باستغلال داخلي أو خارجي، وظلم داخلي أو خارجي، بات من المهمات المشتركة لمختلف هذه القوى. وحزبنا، حزب البعث العربي الاشتراكي، قد دعا منذ مؤتمره القومي الثالث عشر، في عام ١٩٨٠، إلى اقامة اوسع جبهة وطنية قومية عربية، تضم سائر القوى الوطنية والقومية التقدمية في مختلف الاقطار العربية، لأن مثل هذه الجبهة باتت تمثل الآن امراً ملحاً ومطلوباً في مواجهة التحديات التي تتعاظم وتزداد وتجسد أيضاً الحل العملي والمنطقي لعملية النهوض والاستنهاض المطلوبة لجماهيرنا العربية في مختلف اقطارها، ضد الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة، وضد المشاريع التصفوية لقضية نضالنا المركزية، قضية فلسطين، وضد كل اشكال المقاومة للنضال الوطني في هذا القطر أو ذاك، سواء كان هذا النضال يتجسد ضد فئات انعزالية رجعية، ربطت نفسها بالاجنبي وبالتبعية، أو ضد سلطات دكتاتورية فاشية، لم تعد تعبأ بالشعب، وانما اصبح همها ان تعمل كل ما يحلو لها، من أجل ان تبقى هي ولو ابيد الشعب بكامله. ان هذا الأمر اصبح أمراً ملحاً، في هذا المجال، ومن هذه الزاوية، نحن ننظر إلى الجهود التي تقوم بين القوى الوطنية في هذا القطر العربي أو ذاك على انها جهود على هذا الطريق. ان جهود القوى الوطنية العراقية من أجل اقامة جبهة وطنية شاملة، تضم سائر التيارات والقوى والتنظيمات، التي تعمل في اوساط الشعب العراقي هي جهود ليست باتجاه تعزيز وحدة الشعب العراقي ضد الفاشية والدكتاتورية فحسب، وانما تمثل أيضاً خطوة على طريق اقامة الجبهة القومية التقدمية العربية.

كما ان الجهود التي تتمثل بتعاون القوى الوطنية والتقدمية في لبنان الشقيق، ضد الانعزالية وضد الصهيونية وضد قوى التقسيم والتفتيت، الجهود، التي تتعمد اليوم بالدم من خلال التعامل المشترك، هي جهود أيضاً من أجل الدفاع عن عروبة لبنان وعن سيادته ووحدته، ومن أجل تعزيز العمل المشترك، وصولاً إلى الجبهة القومية التقدمية العربية، كما ان المحاولات التي تتم الآن في عدد من الاقطار الأخرى، وان كانت محاولات مبتدئة، لهي محاولات في هذا السياق، واننا، في هذا الاحتفال، ومن هذا المكان، نؤكد مجدداً، ان السبيل

العملي لنصرة قضايانا وتحقيق اهدافنا في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وعلى امتداد الوطن العربي، وصولاً للوحدة والتحرير والتحرر والتقدم والسلام، ان ذلك كله مرهون بعمل عربي جماهيري منظم، اساسه عمل جبهوي يعبيء الطاقات ويوحدها، من أجل ان تستعيد الجماهير العربية فعاليتها وتأثيرها وقدرتها، لكي تبعد الانحراف الذي بات يظهر هنا وتقف سداً في وجه محاولات التفريط التي تظهر هناك وطوداً شامخاً في وجه محاولات التصفية التي يحاول البعض ان يفرضها تنفيذاً للمخطط الصهيوني الامبريالي هنا وهناك.

ايها الاخوة: رغم ما نعاني وما نلحظ في واقعنا العربي من ضعف لم نألفه في المواقف العربية، كمحاولة الهروب من مواجهة العدو والتخلي عن المناضلين الذين يقدمون التضحيات يومياً في فلسطين، في الأرض المحتلة في الضفة والقطاع، في جنوب لبنان، في الجولان، في العراق ضد النظام الفاشي. رغم كل ما يقدم هؤلاء المناضلون من تضحيات نجد هناك محاولات للتخلي عنهم بل لطعنهم من الخلف، ومحاولات لنصرة المخطط المعادي للامة العربية بهذا الاسلوب أو ذاك.

ان الاعداء يوحدون جهودهم ويدفعون إلى أرض المواجهة بقوى احتياطية كانوا يخبئونها لمثل هذه الايام، ظناً منهم ان ما لم يستطعه السادات سيستطيعه غيره اليوم.

ان ما لم يستطعه السادات يمكن ان يكون صدام حسين قادراً عليه، ولكن التجارب، بالنسبة لامتنا وجماهيرنا، كما هي التجارب بالنسبة للشعوب المناضلة الأخرى، تؤكد على الدوام ان الشعوب لا يمكن ان تقهر، ومسيرتها نحو الظفر والنصر هي مسيرة نحو الامام دوماً، ولا يمكن ان تعود إلى الخلف، ولا يمكن ان تسمح لكل القوى الغاشمة مهما كانت وكان جبروتها ان تعيد القافلة إلى الوراء، بيد ان هؤلاء مصممون على المضي في تنفيذ ادوارهم ظناً منهم ان شعوبنا يمكن ان تستسلم لما يريدون وان امكاناتها لم تعد قادرة على مواجهة مخططاتهم.

ان جماهيرنا تمتلك من الطاقات ومن الامكانات الاحتياطية أكثر بكثير مما يظن اعداء هذه الجماهير، لكن ما نحتاجه اليوم هو القوى المحرضة لهذه الجماهير، القوى المنظمة لها، والمعني بذلك هي القوى الوطنية، هي الاحزاب الطليعية، الاحزاب الوطنية والقومية الطليعية، ان الدور المهم لهذه الاحزاب، هو دور التحريض ودور القيادة، والتمسك بالثوابت وبالمبادىء التي تجسد آمال الجماهير وتطلعاتها، ان تصمد أمام تمسكها بهذه المبادىء، ان لا تستسلم ولا تساوم ولا تفرط بها، وان تعبيء الجماهير حولها، قد تكون هذه المرحلة ليست مرحلة الحسم على طريق تحقيق الاهداف، بالنسبة لقضايانا القومية والوطنية في فلسطين وفي لبنان وفي العراق أو سواها، لكن الحسم لابد ان يكون آت قريباً، فليس الحل بأن نتراجع ونفرط ونستسلم اذا لم نكن قادرين على الحسم اليوم أو غداً، ستبقى قضيتنا حية

مادامت ارادتنا قوية وصلبة، وما دمنا مصممين على تقديم التضحيات المستمرة من أجل تحقيق هذه المبادىء. ان قضية فلسطين، على سبيل المثال، كانت ولا تزال بالنسبة لنا في سورية وفي حزب البعث العربي الاشتراكي، كما هي بالنسبة للشعب الفلسطيني نفسه، وكما هي لكل الفصائل التحررية الوطنية في مختلف أرجاء الوطن العربي، قضية قومية قبل كل شيء، قضية تهم كل المواطنين العرب في كل مكان، وأمام محاولات تقزيم هذه القضية وارجاعها إلى قضية محدودة بين الفلسطينيين والاسرائيليين ينبغي النضال لنؤكد مجدداً ان هذه القضية هي قضية قومية وان المسؤولية في نصرة هذه القضية، وفي استعادة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، ولاسيما حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة على أرض وطنه، هي مهمة لا تخص الفلسطينيين وحدهم، وانما مهمة الثوريين المناضلين العرب جميعاً، ومن هنا فان على جميع فصائل التحرر العربية ان تعي مسؤوليتها في الوقوف إلى جانب اشقائهم الفلسطينيين، في الانتفاضة، الانتفاضة التي تجسد منذ ستة عشر شهراً ولا تزال وستستمر في تجسيد ما يريده الشعب الفلسطيني من تحرير أرضه وعودته إلى وطنه، وتقرير مصيره واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. واذا كنا نحن نعبر عن تضامننا مع امم وشعوب صديقة أخرى لنا في العالم، في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بهذا الاسلوب أو ذاك فان تعبيرنا عن تضامننا مع شعبنا العربي الفلسطيني يجب ان يتجسد بالمسؤولية الكاملة في نصرة هذه القضية ونصرة هذا الشعب المكافح باعتباره هذه القضية قضيتنا القومية وقضيتنا الوطنية بوقت واحد.

وان نقف سداً منيعاً في وجه محاولات تصفية واحتواء الانتفاضة الشعبية هذه الانتفاضة اذ غيرت مسار المخطط الامبريالي الصهيوني الذي كان معداً لها قبل قيامها لتصفية القضية الفلسطينية واذا اعادت المسار إلى طريقه الصحيح ودفعت إلى الامام نضال هذا الشعب ونضال الامة العربية باتجاه تحقيق الاهداف المرجوة بعودة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، فان محاولات جادة وحثيثة بل ومكشوفة باتت واضحة للجميع تريد ان تركب موجة هذه الانتفاضة من أجل ان تسير في طريق المساومة على تصفية القضية المركزية للنضال العربي وابعاد الشعب الفلسطيني عن الوصول إلى كامل حقوقه المشروعة، ولاسيما عودته واقامة دولته المستقلة. ان وعي الجماهير العربية وتنظيمها، لتوضيح هذا الأمر، وللوقوف مع الانتفاضة، مع استمرارها، مع نصرتها، مع تطوير اساليبها، مع منع احتوائها من أي جهة كانت يمثل دفاعاً عن الحقوق الفلسطينية، التي هي حقوق قومية للامة العربية... ان الانتفاضة الفلسطينية التي باتت تمثل اليوم أيضاً أحد أوجه المقاومة العربية الشاملة للمخطط الامبريالي الصهيوني، هي الامتداد الطبيعي للمقاومة الوطنية اللبنانية، التي عبرت ولا تزال، منذ الغزو الصهيوني للبنان ١٩٨٢ عن انها الطريق الصحيح للشعب اللبناني كما هي

الانتفاضة بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني، كما هي الطريق الصحيح لأي شعب يبتلى بغزو كالغزو الصهيوني الاستيطاني الذي يريد الأرض ومن عليها، خيرات الأرض وتفتيت شعبها والسيطرة والهيمنة على طريق بلوغ مخططه البعيد المدى في بناء دولة اسرائيل الكبرى. ان المقاومة الوطنية اللبنانية هي أخت الانتفاضة الشعبية للشعب العربي الفلسطيني ان هذه المقاومة التي يرعاها المناضلون اللبنانيون في مختلف تنظيماتهم واحزابهم قد حققت انتصارات جمة إلا انها هي الأخرى قد ابتليت بمحاولات لاجهاضها والالتفاف عليها، وابلغ هذه المحاولات اليوم تأتي من قوى الردة والانعزال من القوى المتصهينة التي باتت تقامر بمصير لبنان واستقلاله، خدمة للمغامرين ومن أجل تحقيق اهدافهم الدنيئة والصغيرة، ولو أدى ذلك إلى تهديم لبنان وتمزيقه، وتنفيذاً للمخطط الصهيوني، الذي ما فتىء يريد تمزيق لبنان وتقسيمه، لأن المصلحة الأولى في تقسيم لبنان هي مصلحة اسرائيل ثم مصلحة الامبريالية، لأنه من خلال تقسيم لبنان وتمزيقه يمكن العبور لتفتيت البلدان العربية الأخرى، هؤلاء المناضلون الآن هم الذين يدافعون عن وحدة وسيادة لبنان، الوطنيون اللبنانيون باحزابهم وتنظيماتهم وبمختلف فعالياتهم، الذين يواجهون العدوان البربري الوحشي الذي طال الابرياء في مختلف مناطق لبنان مسلميه ومسيحيه في بيروت والجبل والبقاع، لن تفرق بين انسان وآخر، سواء كان يقطن في هذه المنطقة أو تلك، ان المواطنين اللبنانيين يستحقون الدعم والتأييد، أولاً من اخوانهم العرب. وثانياً من اصدقائهم في كل مكان، اذ ان الزمرة الانعزالية المتصهينة لم تكتف بصب جحيم نارها على الوطنيين والمواطنين في كل أرض لبنان، وانما تتبع اساليب ديماغوجية في اظهار نفسها بانها المدافعة عن لبنان وانها تمثل الشرعية في لبنان وانها تحاول ان تضلل الرأي العام في العالم باسره، فالمطلوب اذن ان لا تبقى القوى الوطنية في لبنان لوحدها في المعركة، لأن من يضربها ويضرب اللبناني اليوم سيتحول إلى ضرب بقية العرب غداً اذا استطاع وتمكن من هذه القوى اليوم، اذ هذه القوى التي تدافع عن عروبة لبنان اليوم هي في الوقت ذاته تدافع عن الامة العربية، فالدفاع عن عروبة لبنان هو دفاع عن الامة العربية، وان نصرة هذه القضية لا يكون فقط باعلان التضامن السياسي والاعلامي معها، بل ان نتبنى قضيتها في العالم باسره، ان نقف في وجه المزيفين والمضللين الذين يزيفون حقيقة المعركة في لبنان الذين يحاولون ان ينسفوا تاريخ لبنان العربي وان يجعلوا منه جزءاً تابعاً للغرب الاستعماري، سواء كانت تقوده هذه الدولة الاستعمارية أو تلك اولئك الذين يريدون ان يجعلوا منه فلكاً يدور في إطار التبعية للصهيونية والامبريالية، كما ان شعب لبنان، الذي اكتوى بنار الحرب الاهلية، التي ستدخل عامها الخامس عشر، لابد من ان يجد العون والدعم والنصر من كل اخوانه، فمعركة لبنان، كما صورها الرفيق المناضل حافظ الاسد في خطابه بمناسبة ثورة الثامن من آذار هي معركتنا جميعاً، هي معركة العروبة بكل ابنائها، ولن

نتخلى عن لبنان لأن نصرة لبنان هي نصرة الامة العربية، واذا كان الصهاينة يريدون تمزيق لبنان ومن الطبيعي ان ينصروا اداتهم التي تعمل من أجل تنفيذ مخططهم وهي الزمرة العميلة المتصهينة التي يقودها عون، اذا كان ذلك مفهوماً فكيف تفهم الجماهير العربية اليوم ان يأتي نظام عربي كالنظام العراقي، نظام الفاشية والدكتاتورية ليأخذ مكانه إلى جانب هذه القوى ويمدها بالدعم العسكري والسياسي والمالي وكل الامكانيات التي يحتاجها شعب العراق لبناء ما هدمه هذا الطاغية عبر ثمان سنوات من حربه المجنونة المدانة وغير المبررة فلم يكد وقف اطلاق النار ان يبدأ بين العراق وايران وهو الأمر الذي شكل ارتياحاً للشعبين العراقي والايراني وللامة العربية باسرها وفي العالم عند الذين اعتبروا ان وقف اطلاق النار لابد ان يشكل بداية العمل لتحقيق سلام يحقق علاقات حسن الجوار والاحترام المتبادل والصداقة بين شعبي العراق وايران والمنطقة باسرها بعيداً عن إطار التبعية للصهيونية والامبريالية أقول، لم يكد يبزغ هذا الأمل حتى دفع النظام العراقي لاشعال معركة جديدة عبر الزمرة الانعزالية المتصهينة في لبنان، من خلال الوقوف إلى جانبها، من خلال مدها بالامكانيات وما يقوم به نظام صدام اليوم هو ابلغ دليل، بل هو الدليل الاضافي الجديد، على سلوك هذا النظام الاجرامي ليس فقط ضد الشعب العراقي، الذي اكتوى بناره، خلال سنوات الحرب مع إيران، بل قبل ذلك بكثير، فمذ جاء هذا النظام إلى الحكم في العراق كانت له مهمات أساسية، لضرب القوى الوطنية العراقية، ربط العراق بالنظام الامبريالي الرأسمالي، اخراجه من ساحة المواجهة مع العدو الصهيوني. واذا نظرنا الآن بتجرد إلى هذه الاهداف، نرى ان هذا النظام قد حققها جميعاً، ومخافة ان يستعيد شعب العراق دوره الطليعي كشعب له دوره الذي يعرفه ابناء امتنا جميعاً، وتنظيماته الثورية المناضلة بلا استثناء يعرفون دور الشعب العراقي وكفاحه ضد مشاريع الاحلاف، ضد السيطرة الاستعمارية ضد الاستغلال والظلم، ضد كل المحاولات التي كانت تبتغي تفتيت العراق وقهر شعبه، ضد كل المحاولات التي كانت تريد النيل من الامة العربية ومن اعادتها إلى إطار التبعية للاستعمار والامبريالية. ان شعب العراق الذي قدم بمختلف ابنائه ومختلف تياراتهم ومختلف تنظيماتهم واحزابهم، قدم الكثير والكثير ولا زال يقدم من الشهداء هذا الشعب لم يستكن، ولم يتمكن هذا النظام ولن يتمكن من اخضاعه، ولكنه الآن يريد، ان يشغله وان يبدد امكاناته في معارك جديدة، كالمعركة التي يوظف فيها امكانات العراق في لبنان، ضد الوطنيين اللبنانيين وضد لبنان وضد سورية وضد العراق وضد الامة العربية بأسرها، لكن شعبنا العراقي وفي الطليعة منه قواه الوطنية والتقدمية، التي فهمت اساليب النظام والادوار التي يرسمها لنفسه أو الذي يطلب منه تنفيذها ضد شعب العراق وضد الامة العربية، لن تتوقف لحظة واحدة عن النضال من أجل حشد قواها وتوفير كل ما من شأنه استنهاض الهمم وتقديم التضحيات من أجل انتصار

القضية المشتركة قضية العراق، قضية لبنان، قضية فلسطين تلك القضايا الموحدة التي يعني الانتصار في احداها طريقاً إلى الانتصار في الثانية، وهذا أمر، كما نعرفه نحن، تعرفه اطراف المخطط المعادي لنا، لذلك باتت تجند الآن، بين صفوفها وفي إطار تحركاتها كل القوى من أجل فتح كل المعارك، من أجل تفجير صراعات لا علاقة لها بالصراع الاساسي والغاية هي تشتيت الامكانيات وهدر القوى لعل ذلك ان يؤخر الطريق أمام الجماهير في تحقيق اهدافها، لانهم يدركون ان طريق الشعوب هو طريق النصر لا محالة، وان طريق الهزيمة هو طريق الامبرياليين والصهاينة والرجعيين مستعبدي الشعوب، هذا الأمر لابد ان يتم آجلاً أم عاجلاً ومهما رأينا أمامنا من نكسات، فالنصر قريب، ان ارادة المناضلين هي الطريق لتوحيد امكاناتهم، وان التضحيات التي تقدم على ساحة النضال، وان الشهداء الذين يمثلون مشاعل لهذا النضال المستمر، هم من نجسد من خلاله نضالنا ونعبر من خلاله إلى تحقيق اهدافنا.

مرة أخرى اقدم التحية باسم قيادة حزبنا، إلى الشيوعيين العراقيين في مختلف ارجاء العراق وإلى اشقائهم وحلفائهم في كافة التنظيمات والاحزاب العراقية، التي تعمل من أجل نصرة العراق واسقاط الفاشية والدكتاتورية، وبهذه المناسبة أحيي المناضلين الذين يقدمون التضحيات يومياً في الضفة الغربية وقطاع غزة، والجولان وجنوب لبنان، اليهم جميعاً نقدم التحية ونقول لهم اننا معكم وإلى جانبكم ولن نتخلى عنكم، نصركم نصرنا، ونصرنا نصركم، ولابد اننا واصلون إلى هذا النصر، سينتصر شعب فلسطين وسينتصر شعب لبنان وستظل سورية، سورية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والقائد العربي المناضل حافظ الاسد، ستظل قلعة لكل المناضلين، قلعة للصمود العربي، قلعة مفتوحة لكل المناضلين العرب، ستظل قلعة حصينة أبية على كل من ينال منها أو من المناضلين العرب، وستظل الطريق والمعبر إلى وحدة امتنا العربية وإلى تحرير ارضها المحتلة وإلى بناء النظام الاشتراكي العربي في دولة عربية موحدة، وإلى العودة إلى اسهام امتنا وجماهيرنا بمسيرة حضارية، تتعايش وتتفاعل معها ومن خلالها، مع الشعوب الأخرى في العالم الشعوب التي تناضل من أجل السلام والتقدم وفي الطليعة منها اصدقاؤنا في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى.

إلى مزيد من الانتصارات على تحقيق اهدافكم ايها الشيوعيون العراقيون وإلى تحقيق اهدافكم ايها المناضلون العرب في كل ارجاء الوطن العربي، تحية لكم ولاحزابكم والنصر لنا والخزي والعار لاعدائنا الامبرياليين والصهاينة.

والسلام عليكم.

مهداة الى الحزب الشيوعي العراقي في عامه الخامس والخمسين

من تجارب التنظيم السري والعمل الحزبي في الاسلام

هادي العلوي

كانت قد مرت قبل غار حراء اربعين سنة اذا حذفنا العشرة الاولى منها بقيت المدة التي يتعذر شطبها من حياة القادة الذين تقترن بنشاطهم تحولات تأريخية عاصفة. لكن الثلاثين سنة مرت بالفعل دون ان يعرف عنها التاريخ شيئاً. وهي بلا شك لم تكن من مهملات الزمن، وانما غابت فيه لكي تهيء في غيبتها شروط انبعاث تلك المفاجأة التي انبعثت وهي في كامل نضجها كمولود اتم اليوم الاخير من شهره التاسع.

ينبغي اذن ان تكون الثلاثين سنة السابقة من حياة مؤسس الاسلام قد اندرجت في ميزان عمل مكتوم: عمل لان النقد التأريخي لا يقر بعنصر المفاجأة في الظهور عندما يكون الامر متعلق بنتائج بعيدة المدى كالتي ترتبت على تلك المفاجأة. ومكتوم لان المفاجأة كانت هي الشكل التأريخي للظهور تبعاً لخيارات المؤسس وخططه المقتضاة من ظروف حياته وعمله، فضلاً عن موقعه الجغرافي ومرحلته التأريخية.

ومما يثير الخيال في هذه المدة الغائبة نسيانها المطلق من تاريخ السيرة، وهو نسيان لا يرجع الى رواة السيرة وانما الى صاحبها نفسه. واني لافترض تبعاً لذلك انها كانت مفصل اساسي من حياة حركة اتسمت منذ لحظة الظهور بخصائص الفعل السري المنظم، اي ذلك الفعل الذي ينهض على تكتل فئة من الناس، يبدأ خفياً ثم ينتشر فيعلن عن نفسه.

واذ كنا لا نملك اي مفتاح لولوج ساحة ذلك الغيب فان معالجتنا لهذا الفعل الذي انتهى الى تلك الحركة التاريخية العاصفة تبدأ فقط من حيث كانت المفاجأة. وقد زودتنا مصادر السيرة بمادة كافية

في هذا المضمار ولا تختلف هذه المصادر حول المجموعة الاولى التى جرى الظهور على يدها؛ وهم محمد وخديجة زوجته، وأبو بكر صديقه. وهناك رابع هو علي بن ابي طالب، ولا يمكن عدّه في المؤسسين بهذا الحصر لانه كان في اوائل عشرياته، لا يزيد عمره وفق اكثر الروايات على الثلاث عشر، ولا شك انه قام بالدور الذي يقوم به من هم في سنه في الاحداث الكبيرة، لاسيما الذين يتمتعون بالشجاعة الاستثنائية التي عُرف بها هذا الفتى.

انفردت حركة محمد عن معظم الدعوات الدينية بالعمل السياسي المباشر المرتهن باهداف الوصول الى السلطة والغالب على الاديان وما في حكمها انها تأخذ في البدء شكل تحرك وعظي يؤديه النبي علناً، بحسب الطريقة التي سلكها زرادشت وبوذا والمسيح وكونفوشيوس. ويلاحظ ان هؤلاء لم يقطفوا ثمار دعواتهم في حياتهم بسبب اقتصارهم على الصيغة الدينية للعمل. ويمكن ان نرى في هذه الخصوصية مضمون دعوة محمد كتحرك موجه لاقامة مجتمع سياسي موحد للعرب سيكون فيما بعد نواة لاقامة عالم جديد فوق تلك الرقعة الشاسعة التي امتدت اليها دولة الاسلام. وقد ظهر محمد منذ البدء كزعيم لجماعة سياسية موعودة: بان ترث الارض بمفهوم الورث السياسي المتضمن في اصطلاح «ائمة» - الآية ٥ من سورة القصص.

كان محمد قد قدر سلفاً انه سيصطدم بمعارضة الملأ المكي، فاشتغل تحت القاع في بدء الدعوة. واستمر على ذلك ثلاث سنين كان الاتصال اثناءها بالناس يتم عن طريق فردي. واتخذ للحركة مقر سري في غير منزل محمد أو صاحبه ابو بكر عرف فيما بعد انه «دار الارقم» وهو رجل من بني مخزوم - من عشائر قريش المتنفذة - اسلم مبكراً فجُعلت داره مكان اجتماع واتصال للمهتدين الجدد. وكان عددهم حين اسلم الارقم ستة فقط.

في هذه السنوات تزايد عدد المهتدين ببطء شديد حتى بلغ الاربعين في نهاية السنة الثالثة. وكان آخرهم عمر بن الخطاب. فانتقلت الدعوة الى العلن. ولا شك ان محمد قدّر ان هذا العدد يكفي لمجابهة الملأ المكي. وهو في ذلك يستند الى عاملين، أولهما حجم الرد المتوقع من أهل مكة، وهو لم يكن ليصل الى ضربة استئصال لهذه المجموعة، بحكم ان المجابهة ليست مع دولة ذات اجهزة قمعية قادرة على ملاحقة خصومها واعتقالهم واعدامهم. والمعروف ان مسلمي مكة لم يتعرضوا إلا في استثناءات الى حوادث قتل، واقصى ما جرى حينذاك هو تعذيب المستضعفين منهم. العامل الثاني هو تركيبة مسلمي دار الارقم التي نجد فيها ثلاث عناصر رئيسية: افراد ينتمون الى عشائر متنفذة في مكة أو حلفاء لهذه العشائر (الحليف في نظام القبيلة العربية يكون عضو كامل الحقوق بقدر ما يمس العلاقة مع القبائل الاخرى) وافراد لهم وزنهم الشخصي في المعشر المكي من امثلتهم البارزة عمر بن الخطاب. أما الصنف الثالث فهم المستضعفين من العبيد ومن في حكمهم. ولم يكن ممكن التعرض لابناء العشائر المتنفذة أو حلفائها لان العشيرة ملزمة بالدفاع عن ابنائها، مظلومين أم ظالمين، ولا التعرض لشخص متنفذ بحكم الهيبة والوجاهة التي يحسب لها حسابها في معشر أو مجتمع يقوم على التراتب الاجتماعي. وقد استفاد محمد من هذه المزايا لحماية نفسه واتباعه في آن واحد. وفي الحالات التي تمكن فيها المكيين من اضطهاد اتباع محمد من الضعفاء، كان صمود هؤلاء ضامن لتماسك الكتلة

وعدم انهيارها أو تفككها بالتراجعات. ولم يسجل تاريخ الفترة المكية اي حادثة ردة تحت ضغط الاضطهاد.

كانت مجموعة دار الارقم هي نواة الكتلة التي شكلها محمد لتقوم معه بالدعوة. وهي التي اصطُلح عليها فيما بعد بالصحابة. وكان الانضمام الى المجموعة مشروط بالايمان بنبوة محمد واداء الفرائض التي اقتصرت في مكة على الصلاة. ولم يوضع شرط آخر للمهتدين من قبيل المتَّبع في التنظيمات الحزبية الحديثة. فقد ضمت كتلة الصحابة في مكة رجال ونساء وشباب وكهول وفقراء واغنياء وعبيد واحرار، كما ضمت معوقين كالعميان واناس من ميول ومشارب مختلفة.

لكن محمد اظهر ميل ملموس الى نوعيات تتمتع بصفات معينة كالشجاعة والهيبة والوجاهة والكفاءة السياسية وطلاقة اللسان والقدرة ع المحاجة وما اليها من كفاءات كانت دعوته تحتاجها في ظروف مكة. وقد تضمن القرآن واقعة لها دلالة هامة في هذا المنحى، خلاصتها ان محمد كان يتكلم مع «رجل من عظماء المشركين» طمع في اسلامه فجاءه رجل أعمى من ضعفاء اتباعه يسأله عن قضية، فانزعج محمد وعبس في وجهه لانه قطع حديثه مع المشرك المذكور وثمة لوم للنبي على هذا التصرف في سورة كاملة من قصار السور المكية هي سورة «عبس وتولى». فقد كان اهتمامه بنوعية المنضمين الى حركته يوازي اهتمامه بتكثيرهم. وقد نجح في استصباء العديد من الكفاءات القريشية وغيرها قبل الهجرة. واستمر في هذا المسعى الى ما بعد فتح مكة، فتمكن من الحصول على كوادر تنظيمية وعسكرية ساهمت في ادارة صراعاته بكفاءة عالية.

ان تجربة العمل السري في مكة هي اول اختبار تنظيمي من هذا النمط يمارسه العرب. وكانت التجربة بسيطة، ابتدائية، لم تقترن بقواعد للتخفي او تعليمات مشددة لكتمان الاسرار. فقد ظهر التنظيم المحمدي كما قلنا في وسط عديم الدولة لا يملك جهاز قمع ولا جهاز مخابرات. فكان الباعث الارأس على التستر قلة الاتباع وضعفهم وبالتالي عدم قدرتهم على تحمل رد الفعل من الملأ المكي. لهذا السبب لا نجد انعكاسات ملحوظة لفترة العمل السري في القرآن أو الحديث عدا الوصايا المألوفة بكتمان السر، وهي أدخل في منحى الاخلاق وصيانة وضع الفرد أو العائلة منها في العمل السري.

ان قصر مدة العمل السري في الدعوة المحمدية يرجع من جهة اخرى الى الاستراتيجية الكلية لصاحب الدعوة. وهي استراتيجية تقوم رئيسياً على مبدأ الهجوم. فرغم ان محمد عرف بطول الاناة وعدم التهور فقد صدر في مجمل نشاطاته عن روح مبادرة كانت تضع خصومه دوماً في موقع دفاعي. وكثيراً ما نفذ خطط من هذا القبيل بامكانات بسيطة. فقد خرج الى النشاط العلني في مكة باربعين مؤمن وخاض اول معركة مع قريش بثلاثمئة مقاتل اغلبهم مُشاة وباسلحة رديئة. وهذه المعركة لم تُفرض عليه وانما اختارها هو وحدد بنفسه مكانها وزمانها. وتحرش بالامبراطورية البيزنطية بجيش صغير وفي وقت لم يكن في مجموع قوته قادر على احتواء رد الفعل البيزنطي. وقد حققت هذه الاستراتيجية نجاحات هامة لصاحبها، اذا جعلت لدعوته الكلمة الاولى في العَرَبيا في غضون اقل من عشر سنوات، ثم هيأته للاندفاع خارجها. وهي مرحلة حال موته دون انجازها على يديه فنهض بها خلفاؤه المباشرين.

فيما يتعلق باطار العمل، لا يمكن القول ان محمد قصد الى ايجاد شكل من التنظيم الحزبي لم يكن معروف في زمانه. لكننا نلمس اوليات تكتل قيادي يبدأ كما لاحظنا من دار الارقم ويستمر في الادوار التالية محوراً واداة للعمل السياسي والايديولوجي والعسكري، ثم يتبلور في جماعة «المهاجرين والانصار» التي اعطيت مفهوم اضيق من مفهوم الصحابة، وتحدد دورها بعد وفاة النبي بوصفها الكتلة القائدة التي تتولى اختيار الخليفة عن بنيها، كما تبقى حول الخليفة لتقوم بدور «اهل الشورى» الذين يساهمون مع الخليفة في صياغة السياسات المختلفة للدولة.

* * *

اسفر الانشقاق حول الخلافة بعد رحيل النبي عن ظهور علني للاجنحة المختلفة في جماعة الصحابة. وكانت بعض هذه الاجنحة موجودة في حياة النبي، ويستدل من مصادر السيرة انها كانت تتألف من جناحي المهاجرين والانصار مع جناحين ضمن المهاجرين يضم الاول ابو بكر وعمر ومجموعتهم القريشية التي لعبت شوطها المعروف في السقيفة، ويضم الثاني علي بن ابي طالب وافراد من المهاجرين والانصار وغيرهم. ويمكن الاستنتاج مما جرى قبيل وفاة محمد في السقيفة ان مجموعة ابو بكر وعمر قد زاولت شيء من التنسيق الغير معلن في حياة محمد، ثم اسفرت عن نفسها بعد وفاته في هيئة قيادية جيدة التنظيم وشديدة التماسك. أما تجمع علي واصحابه فقد تمايز هو الآخر منذ السقيفة. وتتضمن مصادر الشيعة ما يدل على انه قد تبلور حينذاك في قيادة مؤلفة من سبعة ذكرت بعض الروايات منهم: ابو ذر الغفاري، سلمان الفارسي، المقداد بن الاسود، عمار بن ياسر، حُذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود. ولم يذكر السابع (المجلسي ١٠/٦٠، الكشي / الرجال ٤ ـ ٥، الدرجات الرفيعة ٢٠٩) والرقم الحقيقي يجب ان يكون خمسة لان عبد الله بن مسعود لا علاقة له بالتشيّع، وولاؤه لعلي غير مؤكد. أما السابع فقد لا يكون له وجود أصلاً. ومن الارجح ان يكون النص على سبعة محض ارتكاس للرقمية الاسلامية التي يشغل العدد ٧ مكانة خاصة فيها.

من الجدير بالملاحظة عدم انتظام الانصار في تكتل متمايز رغم مطالبتهم بالخلافة ونضالهم من اجلها في السقيفة. ويتكرس هنا الفارق بين الشخصية التجارية ـ قريش ـ والشخصية الزراعية ـ اهل المدينة. وقد انحاز فريق كبير من الانصار الى علي بعد ان خسروا الخلافة، وظهر من ابنائهم في وقت لاحق بعض القادة الاكفاء بتأثير الوسط الاجتماعي والسياسي النشيط الذي عاشوا فيه، واعتمد عليهم علي في معاركه ضد الامويين.

لم يستمر تكتل ابو بكر وعمر كمجموعة متمايزة؛ فقد استلم الخلافة وايدته الاكثرية الساحقة من الصحابة فلم تكن لديه حاجة الى التنظيم لتثبيت وضعه. بينما اتجه علي واصحابه الى التضام في صراعهم من اجل الخلافة التي خسروها. وتتحدث مصادر الشيعة عن افراد من أشياع علي سمّتهم الاركان الاربعة وهم ابو ذر وسلمان وعمار وحذيفة أو المقداد. ويشير الاسم الى دورهم في التأسيس الى جانب علي. وقد بدا من الواضح ان تياراً متمايزاً عن خلافة الاكثرية قد اخذ بالاستقطاب حول الامام الاول للشيعة على انه لم يكن تيار سري طيلة الخلافة الراشدية. وقد سعت المصادر المناوئة للشيعة الى اضفاء ارتباطات مشبوهة على نشأة التشيع باختلاق حكاية عبد الله بن سبأ، اليهودي الذي جمع بين

نهج اليهود التآمري والفكر الغنوصي السري، فبذر نواة التشيع في حياة علي. ويصدر هذا الاختلاق عن اتجاه سائد في العمل السياسي حتى الوقت الحاضر، حيث تُتهم الحركات المعارضة بانها مدفوعة من الخارج. وقد طُبق ذلك ليس فقط على الشيعة الاوائل بل وعلى تفرعاتهم اللاحقة لاسيما الاسماعيلية، كما انسحب على الفلاسفة والمتكلمين الذي غالباً ما واجهوا اتهامات سلفية باخذ افكارهم من مصادر اجنبية: فلسفة الاغريق أوعقائد الصابئة أو الوثنيين، أو اليهود. وهي اتهامات تقوم على الخلط بين التعلم والاستلهام وبين مخططات الكيد الايديولوجي يمكن ان نلاحظ، على اي حال، ان علاقات علي واركانه الاربعة كانت علنية، كما لم تأخذ شكل تنظيم بالمستوى الذي عرفته الدعوة في بدايتها. لكن المجموعة تمايزت عن سائر المسلمين في ولائها لعلي كما في افكارها الاجتماعية المناوئة لارستقراطية قريش الجديدة. فشكلت بذلك نواة فرقة اسلامية لا شك انها كانت اولى الفرق الاسلامية نشوءاً. وقد خاضت هذه الفرقة صراع متزايد الحدة في غضون خلافة عثمان بدأته بتحرّك سياسي تذرون في صولات ابو ذر الغفاري في المدينة والشام، ثم انفجر عن حركة مسلحة تصدرها عمار بن ياسر، وهو الوحيد الذي بقي حياً حينذاك من الاركان الاربعة. وانتهى الامر بمقتل عثمان ووصول الفرقة الى السلطة ممثلة في امامها الاول. وفي هذا الطور ازداد وضوحاً تمايز الشيعة مقابل فئة اخرى من المسلمين ضمت انصار الامويين وعدد من كبار الصحابة الذين عارضوا سياسة علي في الاموال. على ان الفرقة الاولى ما لبثت ان انشقت على نفسها حيث ظهر الخوارج رداً على رفض علي ايقاف القتال في صفين ثم رداً على قبوله التحكيم. والخوارج هم ثاني تنظيم سياسي في الاسلام. وسأتحدث عنهم في مفصل لاحق.

سلطة الشيعة الاولى لم تدوم طويلاً كما نعلم. فبعد اربع سنوات من استخلاف علي عاد الحكم الى الارستقراطية القرشية ممثلة في معاوية. وعاد الشيعة الى المعارضة. وكان العراق ساحتهم الارأس، وفيه بدأوا تحركهم ضد الامويين. وكانت نشاطاتهم اول الامر شبه علنية نظراً لتساهل المغيرة بن شعبة الذي ولّاه معاوية حكم العراق بعد ان استتب له الامر. ومرت ثلاث سنوات كانت تحركات المعارضة الشيعية والخارجية تتصاعد فتهدد سلطة الامويين، فلجأ معاوية الى عزل المغيرة وتولية زياد بن ابيه ثم ابنه عبيد الله وهما من اقدم مُشرعي الارهاب الرسمي في الاسلام. وقد جوبه زياد بانتفاضة قادها حجر بن عدي الكندي فاستطاع اخمادها وبدأ على اثرها مطاردة الشيعة والخوارج. وفي هذه الظروف العسيرة لجأ الشيعة الى العمل تحت القاع، مدشنين مفصل جديد تماماً في تاريخهم، كما في مجمل التاريخ السياسي للاسلام. وقد اضطرهم زياد بمسلكه الارهابي المنفلت الى التشدد في السرية. وليس لدينا تفاصيل كافية عن شكل التنظيم الخفي الذي اتبعوه سوى استخدامهم النساء للتستر على مقراتهم السريّة. وقد ذكر الطبري اسماء ثلاث نساء كانت منازلهن اوكار للشيعة. واحدة في البصرة وتدعى مارية بنت سعد ـ أو منقذ (٤ / ٢٩٤) والثانية هند الناعضية والثالثة ليلى المُزنية وكانتا في الكوفة (٤/ ٥٦٦).

واستحدث الشيعة في مساق شغلهم السري مبدأ التقية. ويسمح هذا المبدأ بكتمان الانتماء عن العدو وانكاره عند الاستجواب. كما اجيز للشيعي شتم علي واولاده اذا توقف عليه نجاته من الموت.

ولكن لا تجوز له البراءة بأي حال. وهذا التوجيه منسوب الى علي بن ابي طالب، ومروي في نهج البلاغة على الوجه التالي: اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه. الا وانه سيأمركم بسبّي والبراءة مني. فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة. وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة (الجزء الاول من شرح محمد عبده ص ١٥٨ - ١٥٩ من ط دار التعارف، بيروت ١٩٨٢). ونسبته الى علي غير مقبولة من وجهة نظر النقد التاريخي لان فيه نبوءة مستحيلة بتغلّب معاوية على الخلافة فضلاً عن ان علي كان حتى اليوم السابق لمقتله واثق من الانتصار وكان قد اخذ في ايامه الاخيرة يسترجع سيطرته على الوضع السياسي والعسكري ويتأهب للزحف على الشام. وينبغي ان يكون هذا التوجيه قد وضع على لسانه لاعطاء مبدأ التقية اساس شرعي. والتقية من اساسيات العمل السري لاي حركة. وقد ميز فيه الشيعة بين مسلكين بحسب هذا التوجيه: التظاهر بعدم الانتماء الى حد شتم الامام وهو جائز، والبراءة من الفرقة في شخص قائدها وهو ممنوع. والشاتم لا يفقد عضويته في الفرقة لكن المتبرىء يفقدها ويعتبر مارقاً.

يفترض مبدأ التقية سلوك سياسي وايديولوجي غير مصحوب بالعمل المسلح، لان رفع السلاح يعني الخروج الى العلن وانتفاء الحاجة الى التكتم. ولذلك تحسس منه الخوارج لغلبة النشاط المسلح عليهم، كما اهمله الزيديون الاوائل من الشيعة لنفس السبب، اذ كان زيد بن علي يقول باولية رفع السلاح واعتبره من شروط الامامة.

لم تأخذ الشيعة في اول امرها صيغة دعوة وانما بقيت في حدود الشغل السياسي والعسكري. وكانت قيادتها العليا في المدينة تتمثل رسمياً بالحسن بن علي وفعلياً باخوه الحسين، الذي انفرد بالقيادة بعد اغتيال الحسن عام ٥٠ هـ. وكانت تحركات الحسين في الحجاز مكشوفة واتصالاته بالعراقيين مكتومة. وكانت بعض قيادات العراق معروفة الاسماء وتضم شخصيات اجتماعية وعشائرية بارزة، لكن ذلك لم ينقذها من زياد وابنه عبيد الله، فقد قتل زياد اثنين منهم وسجن آخرين وتخفى الباقين. الا ان هذا لم يقطع خيوط الاتصال فيما بينهم. وقد تمكنوا بعد وفاة معاوية من الظهور والسيطرة على الكوفة. ثم راسلوا الحسين فتوجه اليهم وحدث ما هو معروف بعد ذلك، حيث قتل الحسين وتشتت القادة العراقيين مرة أخرى بين السجن والاختفاء. وبعد وفاة يزيد بن معاوية واضطراب الوضع في العراق عاود الشيعة الظهور وقاموا بحركتين مسلحتين: حركة التّوابين التي ضمت صفوة الزعماء المقاتلين من شيعة العراق. وكان هدفها تكفيري خالص بسبب ما اعتبرته تقاعس عن نصرة الحسين. وقد اصطدمت هذه الجماعة بالجيش الاموي في شمال العراق وقتل معظم افرادها الاربعة آلاف. الحركة الثانية هي التي قادها المختار بن عبيد الثقفي تحت شعار الاخذ بثأر الحسين. وكان لهذه الحركة ارتباط بفرقة شيعية جديدة عرفت بالكَيسانية نشأت في الكوفة واشتغلت تحت القاع، قبل ان تستولي على السلطة فيها بقيادة المختار. وقد تبنّت الكيسانية مذهب المهدوية. وكان مهديها هو محمد بن الحنفية الابن الثالث لعلي. ونسبت المصادر الغير شيعية الى الكيسانية اقوال غنوصية دارت حول المختار يصعب توثيقها. لكن مهدويتها تشير الى تأثر مبكر بالمذاهب القديمة، السابقة لظهور الاسلام

الذي لا تحتوي نصوصه الاصلية على اشارات موثقة بشأن هذا المذهب. وبعد سقوط حكم المختار عادت الكيسانية الى الكتمان غير ان نشاطها لم يتسع لاكثر من التبشير بخروج محمد بن الحنيفة. وكان من اتباعها البارزين الشاعر كثير عزة وهو من شعراء عبد الملك بن مروان واولاده. وكان يجاهر بآراء فرقته دون أن يتعرض للقمع مما يدل على انحسار الاثر السياسي للكيسانية واقتصارها على العقائد.

بعد المختار تخلخل الوضع التنظيمي للشيعة وظلوا عملياً دون قيادة مركزية، لان الامام الرابع زين العابدين والخامس محمد الباقر مالوا الى العزلة وجحدوا علاقتهم السياسية بأهل العراق. وقد انصرف الاول للعبادة كرد فعل لما شاهده بعينيه في كربلاء، والثاني الى الفقه. ومرت خلافة عبد الملك وابنائه الوليد وسليمان ويزيد دون ان تكون للشيعة حركة. وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق، التي دامت عشرين سنة، كانت المعارضة المسلحة للخوارج في المقام الاول. كما امتحن الحجاج بثورة عارمة غير منتمية لفرقة قادها الرحمن بن الاشعث، وهي اخطر ما تعرض له الحكم الاموي في هذه الحقبة.

بعد موت الحجاج ظهرت بوادر حركة جديدة للشيعة كانت هذه المرة بقيادة زيد بن علي بن الحسين وليس لدينا تفاصيل عن نشاط زيد الذي سبق تمرده في العراق عام ١٢٠ هـ، حيث عالجته المصادر كما لو كان نزوة شخصية تسببت عن خلاف بين زيد وهشام بن عبد الملك. وهو افتئات دأب عليه الرواة حين يتناولون امثال هذه الاحداث باحالتها الى اسباب آنية. لدينا مع ذلك سابقة هامة في حياة الشيعة السياسية، قبل خروج زيد، نجدها في شعر الكميت بن زيد الاسدي. وقد برز هذا الشاعر في المدة الفاصلة بين وفاة الحجاج وحركة زيد، وكتب عدد من المطولات السياسية التي عرفت بالهاشميات، مع قصائد اخرى تعكس في جملتها حالة الغليان التي عاشها العراق تلك المدة. والكميت شاعر سياسي بكامل تفكيره وانتمائه وبمجمل نتاجه الشعري. وقد وزعت قصائده في الخفاء، وتداولها الناس حيناً طويلاً قبل ان ينكشف صاحبها في خلافة هشام بن عبد الملك الذي حكم بقطع لسانه. لكن الشاعر نجا من هذا الحكم بقصيدة مدح فيها هشام. وكان تداول الهاشميات بمثابة آصرة تنظيمية في ظروف التخلخل التي كان عليها الشيعة آنذاك. كما ساهمت الهاشميات في الهاب مشاعر المعارضة للامويين. وتعطي تجربة الكميت هنا دليل على الدور الهام الذي يمكن للمثقف ان يؤديه في اوقات الجزر السياسي. ويمكننا في الحقيقة اعتبار هاشميات الكميت واشعاره الاخرى التمهيد الذي ارهص بظهور زيد بن علي. كما يمكن ان نفترض وجود علاقة ما بين الرجلين، مباشرة أو غير مباشرة، لان الكميت ردد بعض آراء زيد في ثنتين من هاشمياته القصار. وعلى اي حال، فان الصلة بين انتاج الكميت الادبي وتحرك زيد تلقي بعض الضوء على المخاض السابق لهذا التحرك، وتنفي كونه مجرد رد فعل آني كما يؤخذ من كلام الرواة عنه.

بعد اخفاق زيد ومقتله تحولت حركته الى فرقة عرفت باسمه، ولكن من دون ان تتمايز عن الفرقة الام، كتنظيم مستقل، وانما كانت حتى نهاية الامويين واوائل العباسيين اشبه بالجناح المسلح للشيعة. ثم استقلت في غضون الثالث الهجري بعد ان استقر خط الشيعة الاثني عشرية مقابل فرق الشيعة الاخرى. ونظراً لاتباعها نهج العمل المسلح كأساس، لم تزاول الزيدية نشاط سري يتجاوز الاعداد

لتمرداتها المسلحة. كذلك لم تكن للزيدية ايديولوجية خاصة بها تستدعي نشرها في الخفاء. كانت في قضايا العقائد تتبع المعتزلة التي لم تواجه حظراً على نشاطها الفكري منذ اواخر الامويين. وفي القضايا السياسية كانت آراؤها وسط بين التشيع وجمهور الفقهاء؛ فرغم انها تمسكت بأحقية اهل البيت في الخلافة لم تتبرأ من ابو بكر وعمر خلافاً لسائر الشيعة، مما جعلها مقبولة من عامة المسلمين. وقد اتبع زعماء الزيدية اسلوب الاستتار دون العمل السري، وهي مرحلة كانت تسبق قيادتهم لاي تمرد. ومن تطبيقات هذا الاسلوب ما نجده في حركة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن واخوه ابراهيم. كان النفس الزكية قد تهيأ للخروج على العباسيين لحظة اعلان دولتهم بمبايعة ابو العباس السفاح، فتوارى عنه. وعاش متستراً طيلة خلافة السفاح وشطراً من خلافة المنصور حتى ظهر فجأة في المدينة واستولى عليها. واستتر اخوه ابراهيم ايضاً حتى ظهر في البصرة بُعيد ظهور اخيه في المدينة. وقد تعذر على المنصور ان يعثر عليهما رغم كفاءة اجهزته فلجأ الى حبس والدهم ورجال آخرين من اسرتهم لاستجوابهم. وكانوا على علم بمكان الاخوين. ويقول ابو الفرج في «مقاتل الطالبيين»: «انهما كانا يأتيان والدهما في زي الاعراب ويتداولان معه في امر الخروج» (ط القاهرة ١٩٤٩ ص ٢٢٣) وكان والدهم عند اعتقاله في الثالثة والسبعين، فعذبه المنصور حتى الموت دون ان يحصل منه على شيء بخصوص ولديه. وحبس معه حوالي العشرة من افراد الاسرة قتلوا كلهم أو ماتوا في السجن. وحسب رواية لابو الفرج كان محمد مستتر في بعض جبال الحجاز اما ابراهيم فاختبأ في البصرة في بيوت انصاره. وثمة رواية عن اتقان ابراهيم للتنكر تزعم انه كان يحضر مائدة المنصور فيأكل معه وهو لا يدري به! وهي بلا شك من نسج الخيال الشعبي الذي اعتاد على تضخيم قدرات ابطاله.

من امثلة الاختفاء الشديد الاتقان ايضاً اختفاء عيسى بن زيد. وكان من اتباع ابراهيم. هرب بعد فشل حركته في البصرة وعاش مستتراً حتى مات في خلافة المهدي بن المنصور. وقد تزوج في مخبئه واخفى هويته عن زوجته واهلها. وبعد وفاته جاء احد اصحابه بولده احمد الى المهدي فتعهده وانزله في دار الخلافة. ولما شب احمد بدأ يزاول السياسة على طريقة والده فاعتقله هارون الرشيد مع علوي آخر. وتبعاً لرواية في مقاتل الطالبيين (ص ٦٢٠) افلت الاثنين من السجن بعد ان تمكن اتباعهم من تخدير السجانين باكلة فالوذج وضعوا فيها البنج. وعاش احمد متخفياً حتى مات في عهد المتوكل. وتزوج في مخبئه وولد له ولد اسمه محمد هو والد علي بن محمد صاحب الزنج، بحسب احدى سلاسل النسب التي اوردها المؤرخين عنه.

طبق الشيعة في طور لاحق اسلوب جديد للعمل السري المنظم يتمثل في عقيدة الامام الغايب. وقد سبقت اليها الكيسانية كما رأينا. لكنها اخذت هنا شكل مغاير اكثر تعقيداً. ابتدع هذا الاسلوب فرقة الاثني عشرية. ولست متأكد ان كان هذا العدد قد ظهر بتأثير الرقمية، والاثني عشر من الاعداد المقدسة عند المسلمين وهو عدد نقباء واسباط بني اسرائيل وحواريي المسيح: اسلاف التقاليد اليهمسلامية، ام انه جاء مصادفة لان الامام الثاني عشر لم يولد له ولد يخلفه. مهما يكن، فالذي حدث هو انه بعد وفاة الحسن العسكري اضطر خلفه محمد بن الحسن (المهدي) الى الاختفاء وهو لايزال غلام. وكانت الامامية الاثنى عشرية قد تمايزت كما قلنا كفرقة لها اتباعها وتنظيماتها مما اعطى

اختفاء محمد بن الحسن وضع يختلف عنه لدى عيسى بن زيد وولده، اذ كان اختفاؤهما لمجرد النجاة بنفسيهما. وقد ترتب على محمد المهدي ان يبقى على اتصال باتباعه ولكن عن طريق شخص واحد من مقدميهم يعرف مخبأ الامام ويلتقي به شخصياً ثم ينقل توجيهاته الى الآخرين. وسمي هذا الشخص الوكيل والسفير. وتشتمل مصادر الشيعة على نصوص صريحة بان الامام محمد المهدي مختبىء وليس غائب، ويحذّر من السؤال عن مكانه لان في ذلك اباحة لدمه (فرق الشيعة للنوبختي ص ١٠٨/ ط بيروت) وينسب اليه كلام عن حاله في مستتره جاء فيه: ابي ابو محمد عهد الي ان لا اجاور قوماً غضب الله عليهم. . .وأمرني ان لا اسكن من الجبال إلا وعرها ومن البلاد إلا قفرها (الكنى والالقاب للقمي ص ١١٩) وهو كلام من استتر ولم يغيب لان الغايب لا يخاف. ويؤكد مؤلف اثني عشري معاصر ان محمد بن الحسن ارادوا قتله بعد ابيه فاختفى خوفاً من القتل. (محمد نور الدين الموسوي - فائدةٌ في فضل علي وخبث معاوية - مخطوط في الفاتيكان برقم ١٧٣٩) والمتفق عليه عند الاثني عشرية ان محمد بن الحسن لم يُخلّف ولد فهو آخر الايمة، رغم النظرية الطريفة للموصلي الطويل العمر عبد الغني الملاح حول بنوة المتنبي للمهدي. . وقد استمر مستتراً طيلة حياته وبلغ وكلاؤه اربعة، وهم معروفين ولكل منهم مرقد قائم في بغداد، وكان آخرهم علي بن محمد السَمَري وقد توفي عام ٣٢٩ هـ. وحسب رواية للعلامة الحلي ان السمري لما حضرته الوفاة سئل ان يوصي - اي ان ينصب سفير للامام من بعده - فقال: لله امر هو بالغه (خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ص ١٣٤ من ط طهران ١٣١٠ هـ) وتتعين وفاة السمري كبداية للغيبة الكبرى التي لا يعود فيها الاتصال بالامام ممكن. ومن الجلي هنا ان الامام الثاني عشر قد توفي قبل وفاة سفيره الرابع. وكان حينذاك في حدود السبعين، وهو عمر طبيعي للموت لاسيما عند الفقهاء الذين لم يستهلكوا حياتهم بالملذات. ولما لم يكن هناك من يخلفه من ابنائه فقد اعتبر غائباً حتى لا يتشتت تَنظيم الفرقة بانعدام الامام. ويوفر العدد ١٢ عنصر تصديق ايماني بان الغايب هو آخر الايمة الذين تحدد عددهم بامر الهي وفق رقمية يهمسلامية جعلت كما لاحظنا نقباء بني اسرائيل وحواريي المسيح اثني عشر، وانه بالتالي حي لان موته يعني انقطاع سلسلة الامامة وهو غير جائز في اصل الدين، لان المسلم لا يجوز ان يبقى بلا امام.

تتضمن دوغما الغيبة مستوى معقد من العمل السري اخذت في شطرها الاول - الغيبة الصغرى - حالة استتار متقنة ابقت الامام بعيد عن متناول السلطة دون ان تقطعه عن اتباعه. وقد اعطت طريقة السفارة ايحاء للاتباع بان الامام المستتر ليس مجرد هارب من السلطان بل غايب يعيش في الحرز الالهي، مما يشدد من تعلق المؤمنين به ويخفف في نفس الوقت من لجاجة السؤال عن مكانه لشعورهم باستحالة الوصول اليه وهو في ذلك الحرز. اما الشطر الثاني - الغيبة الكبرى - فهو تغطية لوفاة الامام وعدم وجود من يخلفه اريد بها المحافظة على استمرار الفرقة وتضامّ اعضائها تحت قيادة «موقتة» لا يشترط فيها ان تتألف من اهل البيت. وبفضل هذه الدوغما - التكتيك حافظت الاثني عشرية على كيانها حتى العصر الحاضر.

في اوان مقارب لاوان الغيبة كان فريق آخر من الشيعة قد انتظم في حركة واسعة النطاق عمت مشرق الاسلام ومغربه، ذلك هو الاسماعيلية. وترجع نشأة هذه الشعبة الى أواخر القرن الثاني.

وقد اتبعت اسلوب جديد في التنظيم والنضال السري حيّر في زمانها ولايزال يحير المؤرخين حتى اليوم.
ويبدأ الاشكال مع الشخص الذي حملت الحركة اسمه، وهو اسماعيل بن جعفر الصادق، الذي تتناقض الاخبار عنه فتجعل من الصعب البت بقرار مريح فيما يخص علاقته بالحركة. ومن المتفق عليه مع ذلك انه توفي خلال حياة والده فانتقلت الامامة الى اخوه الاصغر موسى حسب الاثني عشرية والى ولده محمد حسب ترتيب الاسماعيلية. ويبدو ان المنظم الفعلي للفرقة هو محمد بن اسماعيل، لان الاسماعيلية رغم تمسكها بامامة اسماعيل تعترف بوفاته شاباً في حياة ابيه ولا تنسب اليه دور ملموس في التأسيس. ويرتكس اقرارها بوفاته قبل والده في مادة من منظومتها العقائدية تنكر انتقال الامامة من الاخ الى الاخ بعد الحسن والحسين. وهي تهدف من ذلك الى ابطال امامة موسى بن جعفر، واعتبار محمد بن اسماعيل هو الامام. ويلقب محمد بالمكتوم، لانه حسب بعض المصادر الاسماعيلية استتر في زمان هارون الرشيد، وكان يقود الفرقة من مخابئه التي تراوحت ما بين دُنباوند وفرغانة في آسيا الوسطى، أونيسابور في خراسان. واستمر اولاده من بعده في الاستتار حتى نجحت الدعوة في المغرب على يد عبيد الله حفيده الثالث، حيث تأسست الخلافة الفاطمية. وفي سلسلة النسب بين عبيد الله ومحمد المكتوم خلاف يرجع الى سرية الحركة.

اتبعت الاسماعيلية فضلاً عن اسلوب الاستتار الذي شاركتها فيه فرق الشيعة الاخرى، تنظيم تحت القاع يقوم على الاسس التالية:

١ ـ قيادة مركزية عليا تتمترس في موقع حصين ومستور يتصدرها الامام الاسماعيلي.

٢ ـ قيادة اقليمية يتولاها الدعاة المعينين من طرف الامام. والداعية هو عصب التنظيم في اقليمه، وغالباً ما يكون هو القائد الفعلي للفرع الذي يتولاه أو الحاكم عند اقامة سلطة. وهو حال حمدان بن الاشعث (قرمط) داعية السواد وصاحبيه عبدان والاهوازي والحسن بن الصّباح داعية آلموت في ايران.

٣ ـ تتخلل هذين الطرفين ـ الامام والداعية ـ حلقات اتصال تختلف المصادر حولها كثيراً. وقد عدد النعمان المغربي في الرسالة المذهبية ستة هم: المؤمن، المحرِّم، المحل، المأذون، الجناح، والحجة. (الرسالة المذهبية منشورة في إضمامة لعارف تامر بعنوان خمس رسائل اسماعيلية) والحجة بحسب الغزالي هو الداعية نفسه (فضائح الباطنية ص ٤٢) لكن النوبختي فرق بينهما وجعل الداعية اقدم من الحجة، كما اضاف «اليد» وعرّفه بانه رجل له دلائل وبراهين يقيمها (فرق الشيعة ص ٧٥) ولعله يقصد باليد الجناح وهو بتعريف الغزالي الواسطة أو الرسول بين الداعي والامام، يرفع اليه الاحوال عن الداعي ويأخذ منه التوجيهات اليه. أما المأذون فهو من اعوان الداعي أو الحجة. ولم اعثر على تعريف للمحرم والمحل. وتضم سلسلة الاعضاء المستجيب والمؤمن. والاخير هو المرتبة التالية للمستجيب. وطبقاً لهذا النسق يكون المستجيب مرادف للمرشح في التنظيمات الحزبية الحديثة. والمؤمن هو العضو الكامل العضوية فيها. ومن الجدير بالملاحظة هنا ان معظم الفرق الاسلامية اعتادت على اطلاق اسم مؤمنين على اعضائها، تمييزاً لهم عن اتباع الفرق الاخرى الذين يعتبرون في نظر بعضهم البعض مسلمين لا مؤمنين. واستعمل بعض الاسماعيليين للاشارة الى اعضاء الحركة من المؤمنين اسم رفيق وصيغة الجمع

رفاق وليس رفقاء كما هو القياس.

٤ ـ التدرج في تثقيف المدعوين للانضمام وعدم مكاشفتهم بعقائد الفرقة جملة واحدة. وقد وضعت بحسب المصادر السنية، كتب لهذا الغرض تتدرج في كشف العقائد حتى تنتهي بالبلاغ السابع الذي يتضمن المكاشفة الكاملة وفي هذا الطور الاخير يطلع العضو على مذهب الاسماعيلية في نسخ الشريعة بالاستناد الى التأويل الباطني للقرآن. ونسخ الشريعة يعني الغاءها بشريعة أخرى يأتي بها نبي جديد. وهذا النبي عند الاسماعيلية هو محمد بن اسماعيل بوصفه الناطق السابع. والكتب مكتومة. ومن المحتمل انها لم تكتب فعلاً وانما كانت تعاليم شفوية تلقى على العضو في تدرجاته. وانا ارجح هذا الحكم حتى يظهر الاسماعيليين المعاصرين كتبهم التي يدعون انها محفوظة لديهم لنعرف ان كانت لديهم مدونات بالبلاغات السبعة. أما اهداف الحركة فتشرح للمستجيب والمؤمن وهي تدور حول نقطتين: اعادة الخلافة الى اهل بيت النبي، وانصاف الفقراء من الاغنياء.

٥ ـ يستند التنظيم الاسماعيلي الى ايديولوجيا كونية ذات نسق نيو افلاطوني. نجد ذلك في منظومة الاصول الاربعة وهي: السابق والتالي والناطق والاساس. والسابق والتالي سماويين الاول يقابل العقل والثاني النفس التي تفيض عنه تبعاً للقاعدة النيو افلاطونية: الواحد لا يصدر عنه الا الواحد. أما الناطق والاساس فهما المقابلان الارضيان للسابق والتالي. والناطق هو النبي الذي تفيض عليه من العقل، بتوسط النفس، قوة قدسية تُسمى النبوة. وينتقل جزء من النبوة الى الاساس وهو الوصي الذي لا تكمل رسالة النبي الا به. والناطق والاساس يتسلسلان من آدم حتى محمد بن اسماعيل وهو الناطق السابع واساسه عبد الله بن ميمون القداح. والسابع هنا ليس صدفة تأريخية بل هو مقابل ارضي لاصول كونية تشمل الكواكب السبعة والسماوات السبعة والارضين السبعة والثقوب السبعة في الجسد.

ومن هنا تأتي المكانة الخفية للامام الاسماعيلي بوصفه كما يقول ابن هانيء، شاعر الاسماعيلية الاوحد:

هو علة الدنيا ومن خُلِقت له
ولعلةٍ ما كانت الاشياء

والامام داخل في الحدود العُلْوية التي تشمل النطقاء والاسس والايمة والتي تتصل بها من حيث تنتهي الحدود السفلية وادناها المؤمن الذي يترقّى عبر خمس مراتب حتى يصل الى الحد السادس وهو الحجة أو الداعي.

وهكذا تأخذ الاسماعيلية بعد كوني يضفي على تنظيمها من اعلاه الى اسفله غلالة غنوصية يلتف الاسماعيلي في شبكتها المقدسة فلا يفلت منها الا شهيداً أو حاكماً. وهو في ذلك قد خرج من ذاتيته ليذوب في المشيئة المطلقة للوجود، مع ما يلازم هذه الحالة من الهوس الايماني ـ العقائدي المعطّل للعقل. ويرتبط الفرد الاسماعيلي بالفرقة من خلال عقيدتين متكاملتين: عصمة الامام والتعليمية. ويقصد بالاخيرة الانقياد لقول المعصوم وعدم الاجتهاد فيما يقرره. ويتشكل من تكامل هاتين العقيدتين شكل صارم من المركزية الغير ديمقراطية، يكون فيه عضو التنظيم منفذ أعمى لقرار الامام والدعاة. ولو ان هذا لا يقع بالقسر لان الانقياد طوعي ويتحدد بمركز المؤمن في المنظومة الكونية الشاملة.

٦ ـ التأويل الباطني واستخداماته في العمل السري: يُقصد بالتأويل تجاوز المعنى الظاهر للنصوص والاحكام الشرعية الى معاني واغراض اخرى يورّى عنها بظاهر النص. وهو ركن هام في الايديولوجيا الاسماعيلية. وله تعلق وثيق بكل من غاياتها ووسائلها. وبقدر ما يتعلق بالعمل السري، اتجه التأويل الى اعطاء بعض النصوص والاحكام الشرعية معاني تدل على وجوب التقيّد بالكتمان. ومن ذلك الصيام؛ معناه الظاهر هو الامتناع عن الاكل والشرب، ومعناه الباطن الامساك عن كشف السر، أي انه أمر بكتمان اسرار الدعوة (الرسالة المذهبية للنعمان المغربي ص ٣٥) واعطوا طقوس الجنّابة تأويل غريب لتلبية نفس الاغراض، فقد نقل عنهم ابن المرتضى المعتزلي في «المنية والامل» ان الجنابة هي اظهار العلم الى غير اهله. ويعني ذلك افشاء العقائد لمن لم يبلغ رتبة الاستحقاق. ويرد هذا التأويل عند الشاطبي في «الاعتصام» وهو من مصادر اهل السنة. ويضيف اليه انهم يعتبرون الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك (١/ ٣٤٠) ويقول الغزالي انهم اولوا الاحتلام ـ القذف اثناء النوم ـ على انه سبق اللسان الى افشاء السر في غير محله والاغتسال منه يعني تجديد العهد، وليس هو الاستحمام المعروف (فضائح الباطنية ٥٦). وتحتاج هذه التأويلات الى تدقيق لورودها في مصادر غير اسماعيلية.

واخطر الاسرار الباطنية هو السر المتعلق بأشخاص القادة، وهم حسب تراتبهم: الناطق والاساس والامام والقائم. وقد تضمنتها آية من آيات الحج اولها النعمان في الرسالة المذهبيّة على هذا الوجه:

ـ يا ايها الذين آمنوا لا تُحلوا شعائر الله: لا تكشفوا حدود الله وهي اسرار الدعوة.

ـ ولا الشهر الحرام: ولا الناطق حتى يُظهِر دعوته ويتم امره.

ـ ولا الهَدْي: ولا تكشفوا اساسه أي وصيه.

ـ ولا القلائد: يعني الايمة المستورين.

ـ ولا آمّين البيت الحرام: وهو القائم أي المهدي.

٧ ـ التنكر والاسماء الحركية:

تشترط الاسماعيلية على الداعي ان يتقن التخفي والتنكر وان لا يطيل المكوث في بلد واحد بل يتنقل من وقت لآخر حتى لا يؤدي طول اقامته في مكان واحد الى كشفه. وقد مرَّ بنا وقائع عن استخدام الشيعة للتنكر، وكيف نسج الخيال الشعبي عن بعضها حكايات تشير الى شدة اتقانه مع رباطة جأش القائمين به، وهم يتنقلون بين عيون السلطة وعلى مقربة احياناً من مراكزها الخطرة. وقد استدعى العمل السري هذا الاسلوب رغم انعدام الرسم والتصوير في ذلك العصر بسبب قوة جهاز المخابرات في الدولتين الاموية والعباسية، ذلك الجهاز الذي جعل الهاربين من السلطة لاي سبب يلجأون الى الفيافي الموحشة الخالية من البشر لئلا تقع عليهم عيون المخبرين.

والجديد في التنكر عند الاسماعيلية استعمال الاسماء المستعارة. ومع ان بعض الدعاة العباسيين استعملوا هذه الاسماء من قبل، فان الاسماعيلية توسعت بها وجعلتها من لوازم الاستتار التي تعمّ اعضاء الحركة بما فيهم الامام. وثمة خلاف حول الشخص الذي استخدم هذا الاسلوب لاول مرة:

هل هو محمد بن اسماعيل ام احد اولاده؟ كما نشأ بسببه خلط بين محمد وداعيته أو اساسه عبد الله بن ميمون القداح، حيث قيل احياناً ان عبد الله هو محمد نفسه. الكن مصادر الشيعة تؤكد وجود شخص بهذا الاسم وقد روى عنه الكُلَيني في «اصول الكافي» الذي ألف في زمان الغيبة الصغرى. (انظر مثلاً ج ١/ ٣٢ وج٢/ ١٠٢ من ط ايران ١٣٨١ هـ الكليني). وهناك رواية اسماعيلية تفيد ان اول من استتر هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الرسالة الكافية / ضمن رسائل عارف تامر ص ١٢١). واستتار الامام يوجب تبديل الاسم كما يلزم ذلك الداعي وغيره من مراتب الحركيين. وكل اسماعيلي يمكن ان يحمل اسم مستعار اذا اقتضت ذلك ظروف نشاطه. والاسم غير ثابت بالضرورة، ويستحسن تغييره مع الانتقال الى بلد آخر. ومن الاسماء التي استخدمها الدعاة: مبارك، ميمون، سعيد، نصر، وبركان. اما الايمة في دور الستر فتسمى جميعهم بمحمد. وهي خطة جيدة ـ للتعمية لان كثر المتسمين بهذا الاسم من المسلمين يجعل تمييز اصحابه عسيراً.

ان اسلوب التنكر والاسماء الحركية والتشدد في الكتمان قد جعل اكتشاف قيادات الاسماعيلية وكوادرها من الامور الصعبة على الاجهزة. وقد سلم الايمة المستورين كلهم حتى ظهورهم في المغرب. كما سلم الدعاة الكبار في جملتهم. ولم يقع في يد العباسيين الا القليل من الكوادر الادنى مرتبة.

تنظيمات الخوارج ونشاطهم:

ظهر الخوارج لاول مرة في معركة صفين عند رفع المصاحف. وكانوا في جملتهم من القراء ـ فئة رجال الدين في صدر الاسلام ـ فتوقفوا عن القتال تديناً وفرضوا على علي بن ابي طالب ايقافه. وبعد التحكيم انشقت فئة اخرى عن علي متهمة اياه بالمساومة على مبادئه حين قبل بالتحكيم. وانشقاق الخوارج في الحالتين ذو طابع عسكري. وقد خاضوا معركة مبكرة مع خليفتهم اسفرت عن مقتل اربعة آلاف من رجالهم. وبعد انفراد الامويين بالسلطة توزعوا على مجموعات صغيرة نسبياً ليخوضوا حروب متحركة شبيهة بحروب العصابات. ونظراً لطغيان العمل المسلح عليهم لم تتبلور لديهم تقاليد عمل سري. ولم يهتموا كثيراً بالدعاية لمذهبهم الذي بدأ سياسياً بحتاً. وكانوا يعتبرون تجمع اربعين شخص كافي لاعلان تمرد. ولم توافق مجموعاتهم الاولى على التقية لتعارضها مع طبيعة صراعهم المستغرق في القتال. على انهم لم يستطيعوا الابتعاد كلياً عن العمل الفكري. ونظراً لوجود تجمعات كبيرة منهم في البصرة ومحيطها فقد صبأ عدد من رجالهم نحو الدراسات الفقهية والكلامية والتي كانت ناشطة في تلك المدينة. وكان من هؤلاء ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي، المعاصر للحجاج الثقفي. ويعتبره الخوارج من مؤسسي مذهبهم. وهو فقيه ومحدث مرموق تخرج عليه عدد من نشطاء الخوارج بينهم عبد الله بن إباض التميمي مؤسس الاباضية اكبر فرق الخوارج (والوحيدة الباقية منها الى الآن) وابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، وهو زنجي الاصل تصدّر حركة الخوارج بعد شيخه جابر وتخرج عليه عدد من قادتهم في المغرب وعمان. ومن عبد الله بن اباض وابو عبيدة بدأ التحرك الواسع للخوارج بعيداً عن موطنهم الاصلي في

العراق. فقد ذهب خمسة من تلامذة ابو عبيدة الى المغرب، ومثلهم الى عمان، ونشروا هناك افكار الخوارج مستفيدين من بعد تلك الاصقاع عن مركز الخلافة في دمشق. وقد تغلغل دعاة الخوارج واتباع عبد الله بن اباض في ارياف المغرب واستطاعوا تعبئة جماهير غفيرة من البربر لمقاومة مظالم الامويين. ويبدو ان هذا ما كانت تعنيه ملاحظة للطبري تقول ان اهل المغرب كانوا من اطوع الناس لانهم كانوا يعتقدون ان الخلفاء الامويين لا يعلمون بما يفعله ولاتهم، حتى جاءهم دعاة اهل العراق فاستاروهم واعلموهم ان هؤلاء - يعني الولاة - انما يعلمون بامر اولئك، يعني الخلفاء (ج ٣/ ٣١٣). وحقق الخوارج نجاحات مرموقة في المغرب فأقاموا ما سماه الراحل المرحوم احمد صادق سعد «جمهوريات تيوقراطية» في انحاء شتى من تلك البلاد وعلى امتداد القرون الاولى من تاريخ الاسلام.

وفي كل هذه الصراعات لم يجد الخوارج حاجة ماسة الى العمل السري، فاذا تركنا جانباً غلبة القتال على اصولهم في المشرق طوال القرنين الاول والثاني، فان عملهم في المغرب بين جماهير البربر وفّر لهم كسباً سريعاً مكنهم من توطيد اقدامهم في تلك البقاع. وهو ما تمّ لهم ايضاً في عمان التي سرعان ما صارت اشبه بمنطقة مقفلة للاباضية. واختار افراد الخوارج طريق المجابهة المكشوفة مع الاستعداد لدفع الثمن لقاء ذلك. وكان سلوكهم مع الولاة والخلفاء انتحاري في الغالب. وكان زعماؤهم الاوائل، جابر بن زيد وعبد الله بن اباض وبلال بن مرداس وغيرهم، يواجهون الخلفاء والولاة الامويين بهذه الطريقة مشافهة أو مكاتبة. وتحتفظ مصادر الاباضية بمذكرة لعبد الله بن اباض كتبها لعبد الملك بن مروان بلغة فدائية عديمة الرتوش. ونجد لهذا السلوك اصداء في مؤلفات الخوارج. وقد اطلعت في مكتبة المتحف البريطاني على مخطوطة في التاريخ لمؤلف اباضي بعنوان «الكشف والبيان» عالج فيها احداث التاريخ الاسلامي بمنهج خالي من التقية تماماً، ووزع اتهاماته على العديد من الصحابة الكبار، تبعاً لآراء الخوارج فيهم، ولو ان جرأته توقفت عند حرمات النبي فتورع عن نقد عائشة لدورها في حرب الجمل بينما ندد بصاحبيها طلحة والزبير. (رقم المخطوطة or.2606).

العمل السري في الثقافة:

يتردد في تاريخ الادب العربي اصطلاح «المكتمات» ويُشار به الى قصائد تداولها الناس ايام الامويين وفيها هجاء لهم أو دفاع عن خصومهم. وعرف من المكتمات قصيدة لاعشى همدان رثى فيها قتلى التوابين الشيعة. واخرى يؤيد فيها حركة ابن الاشعث ضد الحجاج. وقد بقيت اشعار الاعشى متداولة سراً ولا يعرف صاحبها حتى اشترك في حركة ابن الاشعث واخذ يجاهر بأشعاره المناوئة للامويين. وقد كلفه ذلك حياته، اذ وقع اسيراً بيد الحجاج. ومن المكتمات هاشميات الكميت المار ذكرها.

وكان المتكلمين الاوائل ينشرون افكارهم بعيداً عن رقابة الامويين الذين تبنوا الجبرية وكافحوا ما عداها من اطروحات علم الكلام. على ان قدرة المتكلمين على التستر لم تكن كقدرة السياسيين. وقد وقع معظمهم في قبضة السلطات الاموية وقتلوا. واضطر لاهوتي كبير هو الحسن البصري الى

المداراة والتقية، وأحياناً الى الاختباء للتخلص من مطاردة الامويين. وكان اذا اراد الاستشهاد بعلي بن ابي طالب ذكره باسم ابو زينب. ولجأ مرة الى شتمه ومهاجمته عندما أحس بوجود مخبرين في مجلسه. ولما فرغ المجلس سأله احد اصحابه عما بدر منه في حق علي فقال: كلمة باطل حقنّا بها دماً!

ونزل المعتزلة الى التعليم سراً في عهد المتوكل لتحاشي عقوبته بعد مرسوم الحظر الذي اصدره ضد الفلسفة وعلم الكلام. لكن كبار المتكلمين والفلاسفة كانوا يجدون الفسحة في معظم الاحوال لمعالجة قضاياهم في المواقع العامة والمجالس الشخصية ع السواء. وبالطبع فقد كان عليهم تغليف عباراتهم في النقاط الحرجة، ولو ان طبيعة البحث الكلامي والفلسفي تضمن في حد ذاتها عدم فهم المقصود منها لافراد السلطة أو عامة الفقهاء أو الجمهور.

وشهد العصر العباسي تجربة جليلة في التعليم المكتوم قامت بها مجموعة اخوان الصفا. وهي حركة مجهولة المكان والاسماء. وقد عرفت وانتشرت موسوعتها الفكرية المسماة «رسائل اخوان الصفا» دون ان يعرف مؤلفها على وجه التحقيق. فأخوان الصفا من الشيعة، ويميل معظم المؤرخين المعاصرين الى اعتبارهم اسماعيلية. وهو اعتبار وجيه لتقارب افكارهم ولشدة الشبه في تكتيك الكتمان الذي أنتج مثل هذه الموسوعة الضخمة وابقاها مجهولة المنشأ على امتداد التاريخ.

- الرقمية NUMIROLOGY نزعة تضفي على بعض الارقام دلالة سحرية أو دينية. وهي مشتركة لدى معظم الشعوب القديمة.
- الفرقة اصطلاح اسلامي يرادف اصطلاحين معاصرين: حزب اذا كانت الجماعة المقصودة طرفٌ في الصراع السياسي، واصطلاح مدرسة اذا كان المقصود اتباع مذهب فلسفي أو ديني. مثال الاولى الشيعة والخوارج والخُرَّمية ومثال الثانية المعتزلة والظاهرية. والمدلول الاول للفرقة يصدق على اطراف الصراع السياسي في العصور الاسلامية، غير ان مدلوله اخذ بالتغير مع انحسار النشاط السياسي للفرق حيث اختفى الاصطلاح بالتدريج ليحل محله اسم طائفة لما تبقى من الفرق الاسلامية.
- الجنابة اصطلاح فقهي يشير الى الدنس الناشىء عن خروج المني من الرجل نتيجة الجماع أو ما في حكمه كالاستمناء والاحتلام، وهو بالنسبة للمرأة نتيجة بلوغها الذروة في حالة مماثلة. وتوجب الشريعة الاغتسال للتطهر من الجنابة قبل اداء العبادات ودخول المساجد ولمس القرآن. والجنابة في اصولها السامية الابعد تدل على الاثم والاقتراف.
- استخدمت في بعض الجمل حرف ع المختزل من حرف الجر على لاجل الاختصار وتيسير القراءة وهو استعمال قديم يرجع الى صدر الاسلام. وقد ورد في شعر لقطري بن الفجاءة جاء فيه قوله:

غداة طفت ع الماء بكر بن وائل

وعجنا صدور الخيل نحو تميم

- كتاب المُنْية والامل الذي اقتبسنا منه التأويل الباطني للجنابة مخطوط في نسختين بالمتحف البريطاني تحت رقم or. 3937 و or. 3772 . المُنْية.

الجد والحفيد في حزب واحد

اعداد: استيبا وابو نسرين

٥٤ عاماً تفصل بين الرفيق الكبير (أبو علي) الذي بلغ ٧٢ سنة من العمر قضى ٤٥ منها في صفوف الحزب، والنصير الشاب (كامران)، وهو في عمر حفيده، فقد دخل تواً عامه الـ (١٨).

سنوات كثيرة من الخبرة والنضوج وتتالي التجارب تفصيل بينهما (الجد والحفيد).. وكيف تتسع مسيرة جيلين متفاوتين داخل الحركة السياسية العامة في بلادنا وداخل الحزب، هذان اللقاءان يقدمان فكرة سريعة، أقرب إلى الشهادة، على أمل أن نواصل التجربة في أعداد لاحقة.

ابو علي

ـ هل تحدثنا قليلاً عن عائلتك؟

ـ اهلي فلاحون، ولكن والدي تحول، دون اخوته وعشيرته، للعمل حرفياً، ومن ثم كاسباً وتاجراً، دون ان يقطع صلته بالزراعة. ورغم كونه امياً إلا انه كان يعتبر في وسطه متنوراً.

ـ وعن الدراسة؟

في البداية تعلمت في الكتّاب، واحياناً في المدرسة بشكل متقطع، بسبب تعارض عملي في الزراعة مع الدراسة. وبعد تعلمي القراءة وختم القرآن دخلت المدرسة وعمري عشرة اعوام. تركتها في الصف الخامس الابتدائي، بسبب ظروف العائلة الاقتصادية. كان ذلك ابان الازمة الاقتصادية الكبرى.

لكنني بقيت متعلقاً بحب التعلم، وبعد بضع سنوات، انهيت الابتدائية من خلال المدرسة المسائية. وداومت في المتوسطة، فترة قليلة، ثم تركتها والتحقت بمدرسة صناعة القوة الجوية.

ولكنني لم انقطع عن الدراسة والتعلم، وعندما عرقلت الاوضاع الاقتصادية والسياسية هذه الرغبة، استكملتها مع نفسي، فدرسنا منهاجيّ الثانوية للغتين العربية والانكليزية. ولاحقاً، في السجون، انتظمنا في صفوف لتعلم اللغتين بمستوى أعلى.

وحظيت في الاتحاد السوفييتي بالدراسة الجادة في المدرسة الحزبية العليا ذات الاربع سنوات. درست خلالها وساعدت رفيقاً كان يدرس معي، لم يكن قد دخل المدرسة سابقاً. كنت محكوماً بالاعدام غيابياً، فلم استطع العودة بعد التخرج فعملت في قسم اللغات الاجنبية في مكتبة اكاديمية كازخستان، وقبلت للدراسة العليا، للقيام ببحث حول الفارابي، ولكني انصرفت بكليتي للترجمة فأكملت ترجمة «آراء أهل المدينة الفاضلة» و «احصاء العلوم». كما ترجمت بعضاً من «رسائل اخوان الصفا» والحسن ابن الهيثم. وعملت على ترجمة «كتاب الموسيقى الكبير» للفارابي كل ذلك شغلني عن الاهتمام باطروحتي، ثم قطعت الدراسة وعدت الى الوطن بطلب من الحزب.

ـ وهواياتك

منذ الطفولة كنت اهوى السباحة وركب الخيل. وفي شبابي، شغفتني الرياضة، وخاصة الركض، ولعبة الشطرنج، والعاب التسلية الاخرى كالطاولة والورق بأنواعه. . واعتبر نفسي هاوياً للقراءة والترجمة. وقد مارست الترجمة حتى قبل الذهاب للدراسة.

ـ يبدو انك عملت في عدة مهن؟

ـ في طفولتي عملت في الزراعة مع والدي. ثم اصبحت عاملاً اجيراً. وقبل دخولي مدرسة القوة الجوية، عملت عام ١٩٣٦ فلاحاً بكل معنى الكلمة. وبعدها اصبحت عاملاً براداً في القوة الجوية لاكثر من عشرة اعوام. وعندما سألني عبد الله النعساني، رئيس المحكمة العسكرية، عن مهنتي افتخرت باني عامل براد.

ـ وماذا عن الاسرة؟

ـ تزوجت عام ١٩٤٢، من امرأة طيبة، كانت امية. عشنا منسجمين رغم حياتي غير

المستقرة. انجبنا ثلاث بنات واربعة اولاد رافقوا شقاءنا. لم يستطيعوا مواصلة التعلم في المدارس ما عدا الاصغر الذي انهى الابتدائية. ولي الآن حفيدات واحفاد كثر.

ـ ماذا عن نشأتك السياسية؟

ـ قبل معرفتي بالحزب والشيوعية، شدتني التطورات السياسية العاصفة، التي بلغت ذروتها في حرب ايار ١٩٤١، والتي اعتبرتها اكثرية جماهير الشعب العراقي، حرباً تحررية ضد الانكليز. فقطعت آنذاك دراستي من اجل المساهمة فيها بحماسة، بل احياناً بشكل مغامر. وعند احتلال المستعمرين بغداد رحلت الى سوريا لمواصلة الكفاح المسلح وعندما احتل الفرنسيون والانكليز سوريا، بقيت في حلب، وكانت الموقع الاخير المستهدف من قبلهم. ثم رجعت الى وطني بعد اعلان العفو.

وكان الشخص الذي نال اعجابي في حداثتي محمد يونس السبعاوي بنشأته العصامية المتواضعة وكفاحه السياسي المتألق، وكذلك رجل الدين الشاب بشير الصقال، ذو النشأة العمالية. وكلاهما عملا في صفوف حزب الاخاء الوطني.

ـ وكيف جئت الى الحزب؟

ـ عام ١٩٤٤ توطدت علاقتي برئيس العرفاء علي عباس. وكان يعطيني جريدة «وحدة النضال» رغم انه لم يكن يعمل في صفوفهم وكان صديقاً لوديع طليا وعبد الله مسعود وربما انشق معهما عن الحزب اواخر ١٩٤٢.

وعندما عرض عليّ الجندي فاضل رشم، المعروف بانه شيوعي، الذهاب الى محاضرة لاحد المحامين، اخبرت علي عباس بذلك، فادرك بان المحامي هو داود الصائغ، وطلب مني ان اسأله عن سبب انشقاقه عن الحزب. رد الصائغ بانفعال مبرراً الامر بخشية الرفيق فهد من المنافسين على القيادة.

وكان الصائغ يكرس ساعات تمتد احياناً حتى الصباح لتثقيفنا سياسياً. وعند انتقالي الى الموصل وقع على كاهلي، وكنت مرشحاً، تنظيم وقيادة عدد متزايد من جنود وضباط صف الطيران، يساعدني في ذلك العريف خلف يوسف. واستطعنا، باجتماعنا بعدد من عمال النسيج والقيام بتثقيفهم نقابياً وسياسياً، الحصول على اجازة لفرع نقابتهم في الموصل عام ١٩٤٥.

ـ شاركت ايها الرفيق في العديد من النضالات الوطنية البارزة، فهل تحدثنا عن احدها؟

ـ توفرت للحزب في الموصل في كانون الثاني ١٩٤٨ الظروف الذاتية والموضوعية لتنظيم الوثبة. فاندماج رابطة الشيوعيين بالحزب، ومنظمتها القوية هي الوحيدة التي سلمت من الضربة في الموصل، اعطى الحزب جماهيرية وقوة. الى جانب ذلك كان قد تولى

سكرتارية اللجنة المحلية احد قادة اضراب كاور باغي، الرفيق يوسف حنا، بما يمتلكه من خبرة حزبية وجماهيرية ثورية. علاوة على وجود احد عمال نفط كركوك عضواً فيها، هو الرفيق خيري بطرس.

تتبع الحزب مظاهر سخط الجماهير على معاهدة بورتسموث، وعوامل نهوضها. من تحشد طلاب الثانوية المركزية ورغبتهم في التظاهر يوم ١/٢١ واعتقال احدهم، وكان شيوعياً، ثم اطلاق سراحه بعد ضغط المحامين على المحكمة، ثم محاولة التظاهر يومي ١/٢٢ و١/٢٣، وكانت الاخيرة عقب صلاة الجمعة، وبتأثير خطبة بشير الصقال.

كل ذلك جعلنا نقرر اقامة تظاهرة يوم ١/٢٤، ثم اجلت الى اليوم التالي، في الموعد المقرر بالضبط بوغتت الشرطة اذ رأت قائد التظاهرة يقفز ويهتف، فيهب الشباب المتجمعون في المقاهي (المحيطة برأس الجادة). اخترقنا شارع نينوى هاتفين بسقوط معاهدة بورتسموث وصاع جبر، الخبز والكساء والعمل للعاطلين، والحريات الديمقراطية والنقابية. اكتسحنا سيارات الشرطة وصولاً الى دار المتصرفية، ثم رجعنا الى مركز الشرطة العام وارغمنا الشرطة على اطلاق سراح عبد الرحمن القصاب. ثم تواصل السير الى ان تفرقنا بعد مضي ثلاث ساعات.

في اليوم التالي، انطلقت الجماهير مارة بالقنصلية السورية لتقدم شكرها للحكومة السورية على مساندتها للوثبة.

وفي يوم ١/٢٧ منعتنا الشرطة السرية من التظاهر في ساحة الساعة، ولكن الجماهير انطلقت امام الدوائر الحكومية. وفي ذروة الانتفاضة انسحبت الشرطة واقفلت على نفسها الابواب هلعاً. وبقيت الجماهير مسيطرة على الشارع وفرضت على ممثل الجيش، المقدم عمر علي، الذي جاء للقاء الجماهير، الهتاف بسقوط المعاهدة.

وهكذا استمرت التظاهرات والندوات الجماهيرية لحين بدء هجوم الرجعية على الحركة في الموصل. وآنذاك دعاني الحزب للرحيل الى بغداد لانقاذي من المطاردة. وتهيأت لي بذلك فرصة لحضور مهرجان ساحة السباع الشهير.

- الآن، وبعد هذا النضال الطويل، ماذا عن الشيوعية؟

- انا سعيد بشيوعيتي رغم ما تعرضت اليه خلال نضالي من ملاحقة وعذاب. لم احلم إلا بالتحرر والسعادة لشعبنا وللشعوب الاخرى.

- اكيد ان هذه السيرة النضالية تخللتها فترات السجن والاعتقال؟

- مررت بالعديد من المعتقلات واللجان التحقيقية والمحاكم والسجون والابعادات، وحصلت على عدد كبير من الاحكام بضمنها احكام بالاعدام غيابياً. واضربت في المواقف عن الطعام اكثر من مرة. بل وهربت من ايدي الشرطة كذلك. كل ذلك وفر لي خبرة غير

قليلة في كيفية المناورة للافلات من يدهم، هذا طبعاً بالاضافة الى محاربتي في الرزق دوماً.

وخبرة الافلات من رجال الشرطة والامن ساعدتني مرة اخرى عام ١٩٧٠ عندما كنت اعمل في تنظيم كردستان. فكنت اتجول في الاقضية، وانا مثقل بالعديد من الاحكام الغيابية، ولم تستطع الشرطة في حينها القبض عليّ ولا مرة.

- وماذا تقول عن حزبنا في عيده؟

- عندما دخلت الحزب، آليت على نفسي ان لا انفك عنه مهما كلفني ذلك، وان ابذل كل جهدي في تطوير الحزب وصيانة وحدته.

والآن كلي ثقة بان حزبنا امتلك من الخبرة ما يجعله يتخطى الصعاب لتحقيق اهدافه واحلال البديل الديمقراطي والتقدم نحو الاشتراكية.

- وماذا عن شباب اليوم؟

- اني معجب بشباب هذا الجيل. شباب جيلي عانى الجهل والبطالة وانعدام التنظيم السياسي والاجتماعي تقريباً. واذا كنت احس بالمرارة فلأن الدكتاتوريين في العراق حرموا شبابنا من بناء وطنهم.

- مادام الحديث عن الشباب. فما الذي تنصح شباب الحزب به؟

- اخشى ان اقول ان شبابنا بما بعثوه فيّ من اعجاب لا يحتاجون الى نصيحة، وامنيتي ان يتعلموا ويتعلموا ثم يتعلموا، كما اوصى لينين.

وارجو لشبابنا استيعاب خبرة الحزب الثمينة في مكافحة الانتهازية والانشقاق والعمل بيقظة وشعور عال بالمسؤولية، وبابداع الشباب ومواهبهم. وبذلك نضمن النصر لقضية شعبنا.

- الرفيق ابو علي. بعد هذا العمر الطويل، لو خيرت في حياتك، اكنت ستختار نفس الطريق؟

- لي صديق هو (رفيق العمر)، وقد اصبح شيوعياً مثلي، كان يداعبني بالقول: كنت سلفياً، ثم وطنياً، وها انت شيوعي وسايرناك، فماذا بعد ذلك من تطور. وكنت اجيبه: وراء عبادان لا توجد قرية...

غريب على التفكير من جديد بالخيار. فانا سعيد، كما قلت، باختياري للشيوعية، واذا كنت اعاني من شيء فهو ما لدي من جوانب سلبية. لكني اسعى للتخلص منها، وان كنت قد جاوزت السبعين من العمر...

كامران

كامران شاب، خجول وهادىء جداً. يقول عنه اصدقاؤه ومعارفه بانه يستطيع البقاء صامتاً في جلسة عامرة بالنقاش والضجيج ساعات طويلة: وعندما يسألونه عن سبب صمته يقول: انتم تتكلمون وانا اسمع . . . وبسبب طبيعته هذه عانينا كثيراً في سحب الكلمات من فمه. فقد كان يجيب بكلمة او بكلمتين على كل سؤال. . مما استوجب سؤالاً وآخر الى ان توصلنا الى المادة التالية :

- هل تحدثنا عن نفسك قليلاً وعائلتك؟

- أنا من مواليد ١٩٧١، اهلي فلاحون، من ريف اربيل. توفي والدي عام ١٩٨٠. فضاقت بنا سبل العيش، خاصة بعد اعتقال اخي الاكبر وارساله محكوماً الى ابو غريب، وصعود اخي الآخر الى الجبل للالتحاق بالبيشمركه. لم يبق لنا آنذاك غير اختي الكبيرة. كانت تدرس في الجامعة وتعمل في نفس الوقت لاعالتنا، امي وانا وعدد من الاخوة الصغار. وكنا نعرف في حينها بانها على صلة مستمرة بالحزب وتؤدي مهمات له.

- متى سمعت بالحزب لاول مرة؟

- ربما كان عمري حينها حوالي ١٢ سنة عندما بدأت اسمع بالشيوعيين. . فقد كان لزيارة الانصار الشيوعيين لقريتنا بين الحين والحين ومبيتهم عندنا وقع خاص، خلافاً للحكومة الجائرة، التي ترتكب كل ما هو وحشي يومياً. كانوا مثالاً في الهيبة والشجاعة والتحدي. كنت، ومن كان بعمري من الاطفال، نحاول ان نقلدهم في كل شيء: مسيرهم، والبنادق على اكتافهم، ملابسهم المشدودة على اجسامهم، عملياتهم. . وغيرها.

- ومتى قرأت اول مطبوع شيوعي؟

- في البيت كنا نستمع الى القسم الكردي من (صوت الشعب العراقي) باستمرار. وتصلنا كذلك ريكاي كوردستان، ولكن في تلك الايام لم اكن افهم منها إلا القليل.

- ما هو اهم حادث اثر فيك؟

- عام ١٩٨٥ فجعت عائلتنا بمصيبة. استشهدت اختي.اعتاد الناس في كردستان على الموت. لكن فقدان اختي اربك امور حياتنا المعاشية كثيراً، فاضطررت الى ترك المدرسة وانا في الخامس الابتدائي.

وجودها في البيت، بعد غياب اخويّ الاكبرين، كان يضفي بعض السعادة والاطمئنان على البيت، بالاضافة الى طيبة علاقتها بأمي، وبنا نحن الصغار. كانت امي تقول لها دائماً انت «رجل البيت». وكانت زيارتي الاولى لمقرات الانصار مع اختي.

ـ كيف؟

ـ ربما عام ١٩٨٣ أو ١٩٨٤، لا اتذكر تماماً، اصطحبتني معها عند صعودها الى احدى المقرات. كانت تحمل بريداً حزبياً الى هناك لتعود برسائل واشياء اخرى الى المدينة. كانت الزيارة سريعة. . فرحت بالسفرة، ثم بايصال البريد الى البيت المطلوب في المدينة. كنت احس بمخاطرة كبيرة في ذلك. ولكن ثقة اختي بنفسها وهدوءها جعلاني اتصرف بشكل طبيعي مما ساعدنا على تجاوز السيطرات ونقاط التفتيش الحكومية. فاوصلنا الامانة الى المكان المطلوب. وكنت اعرف انها تفعل الكثير من ذلك بين فترة واخرى.

ـ متى التحقت بالانصار؟

ـ اواخر ١٩٨٦. فبعد استشهاد اختي بفترة قصيرة ذهبت لزيارة اخي في احد مقرات الانصار. وجدت عالمهم جميلاً. . طلبت في حينها ان ابقى ولكنهم لم يوافقوا لصغر عمري. عدت الى البيت وبقيت الحّ على اخي بين فترة واخرى ليوافق على التحاقي بهم. واخيراً، في اواخر ١٩٨٦، ارسل يبلغني بالصعود الى الجبل. ربما حينها كان يخاف ان تنتقم السلطة مني، بعد ان اشتهر اسمه كنصير شجاع ومنفذ لعدد من العمليات.

ـ كيف كانت تصوراتك عن الحزب؟

ـ الكثير من تصوراتي عن السياسة والحزب كانت بسيطة جداً، وربما لازالت كذلك. في المدرسة كنا اطفالاً صغاراً، وحتى لو اردنا الحديث في السياسة كان الخوف يمنعنا. ولكن نجاح أي عملية للانصار في المنطقة كانت تجعل السنتنا تنطلق لننسج من العملية القصص والاساطير ونحاول تقليدها. وجود اخي مع الانصار كان يعطيني شعوراً خاصاً بالفخر وبنوع من الارتباط بهم.

أما معرفتي عن الاشتراكية في ذلك الوقت فلم تكن غير ان الاشتراكية تساعد القضية الكردية والناس المضطهدين.

ـ وهل تشعر بانك تغيرت؟

ـ نعم، فبعد الالتحاق بالانصار وبفضل المحاضرات التي كانت تقام بالمقر بدأت افكر. تعلمت الكثير من الامور. كما كنت اسأل الكثير عن الامور التي لا افهمها. تعلمت لماذا يجب على الانسان ان يحترم المرأة، وان يحترم الآخرين، وكيف يتعامل معهم. عرفت لماذا نناضل، ومعنى الالتزام، ومعنى الاخوة العربية الكردية. حيرني ان يكون الجاش واكراد آخرين الى جانب السلطة في اضطهادنا وان يكون هناك مقاتلين عرب بيننا. ولكني بدأت افهم هذه الامور بشكل افضل.

ـ رأيك بالبيريسترويكا؟

ـ لا اعرف الكثير عنها. إذا كانت تخدم الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وفي العالم كله،

فاني معها، طبعاً.

ـ وعن حياتك في الانصار؟

ـ بعد التحاقي بشهرين، استشهد اخي النصير. كان فقدانه قاسياً عليّ. ولكن بفضل رعاية الرفاق وحبهم تحملت الفجيعة. اذكر على وجه الخصوص رعاية هاوري ابو احلام، وسيار، وبختيار، فقد كانوا رفاقاً شجعاناً وكلهم اصدقاء لاخي. كانوا يأتون أحياناً معه الى البيت. بعد استشهاده اصبحوا يتعاملون معي وكأن كل منهم اخ اكبر لي. كما ان اول عملية عسكرية شاركت فيها قادها هاوري ابو احلام وكان سيار الى جانبي فيها.

ـ حدثنا عن هذه العملية.

ـ اردت ان اكون ضمن مجاميع الاقتحام. ولكنهم رفضوا قائلين: لا تستعجل. شيئاً فشيئاً. وهكذا وضعوني ضمن مجاميع الاسناد. وكانت العملية اقتحام احدى ربايا السلطة. في العملية الثالثة اصبحت في مجموعة الاقتحام، وكذلك في الرابعة، حين اصبت بجرح. فارسلني الحزب للمعالجة في الخارج.

ـ ما شعورك وانت تذهب للمشاركة في عملية؟

ـ لا استطيع ان انسى ذلك الشعور. اخوة ورفاق يجمعهم هدف واحد وتحقيق انتصار جديد للحزب، وكسب غنائم عسكرية له لكي يستطيع الحزب زيادة انصاره.

ـ والخوف؟

ـ برفقة الرفاق لم اشعر به. ما الذي نخافه؟ بنادقنا بأيدينا ونحن المهاجمون.

ـ اذن لديك شهيدان اخت واخ؟ هل تحدثنا عنهما؟

ـ أخي لم يكن يكبرني كثيراً بالعمر. ولكنه نضج سريعاً في الانصار واصبح محبوباً من رفاقه، ومهاباً من العدو. استشهد وعمره لم يكن يزيد عن ١٨ أو ١٩ عاماً في عمل بطولي. لا استطيع ان اعطي الآن تفاصيل استشهاده. كنت احبه كثيراً. أما صدمتي باستشهاد اختي فكانت اكبر، ربما لانها بنت، وربما لان اخي كان في العمل العسكري وامر متوقع ان يصاب او يستشهد. للآن اذكر اختي بالحزن الشديد.

ـ لننتقل الى موضوع آخر: ما هي هواياتك يا كامران؟

ـ الرياضة وبشكل خاص لعبتي الطائرة والقدم. لكني لا استطيع ان امارسها حالياً. امضي بعض الوقت حالياً في تعلم اللغة الروسية.

ـ وطموحاتك؟

ـ اطمح ان ادرس واتعلم، وان ادخل الحزب. فقد علمني الحزب ما هي الحياة وقيمة الانسان وغيرها.

ـ وبمناسبة عيد الحزب. ما الذي تتمناه؟

- طبعاً اتمنى ان نصل الى الاهداف التي نناضل من اجلها.
- وكيف ترى مستقبل العراق؟
- اتمنى ان يزول الاضطهاد والدكتاتورية عن كل الشعب.
- هل تعتقد ان هناك امكانية للتفاهم مع النظام؟
- نه خير*!
- ولماذا؟
- النظام فاشي ولا يخدم حقوق الانسان ويضطهد الشعب كل الشعب فكيف سيتغير فجأة ويمكن التفاهم معه؟
- كامران، ذكرت رفاقاً اثروا فيك وكلهم شباب وربما لا يزيدونك في العمر كثيراً، ماذا عن الشيوخ؟
- في الانصار، لم ار شيوخاً! كلهم وحتى كبار العمر فيهم شيء شاب لا تناله الشيخوخة.
- سؤال اخير يا كامران: متى وكيف احتفلت اول مرة بعيد الحزب؟
- الحقيقة لم اكن اعرف ما هو ٣١ آذار. ولم اعرف به إلا اثناء توجه سريتنا لتنفيذ عملية بهذه المناسبة. اثناء الطريق الى موقع العملية حدثني احد الرفاق الكثير عن الحزب وعيد تأسيسه ونضاله -لا اذكر تماماً، ربما كانت تلك العملية الاولى التي شاركت فيها.
- وهذه السنة كيف واين ستحتفل؟
- سأحتفل مع الحزب.

---

* نه خير: كلا.

ملف الذكرى ٥٥ لتأسيس حزبنا

شعارات الذكرى ٥٥ لتأسيس حزبنا

- المجد للحزب الشيوعي العراقي في ذكرى ميلاده الـ ٥٥ .
- من أجل تحويل وقف القتال إلى سلم عادل ووطيد واسقاط الدكتاتورية الفاشية واقامة حكومة ديمقراطية ائتلافية .
- المجد لمؤسس حزبنا فهد ورفاقه الخالدين حازم وصارم وسلام عادل .
- المجد المخلد لشهداء الحزب والشعب .
- المفاوضات السلمية لا المجابهة العسكرية هي الطريق لحل النزاع العراقي ـ الايراني .
- نطالب بتطبيق كامل بنود القرار ٥٩٨ .
- نناضل من أجل انسحاب القوات والأساطيل الأجنبية من الخليج .
- نطالب بالغاء الأوضاع والقوانين الاستثنائية .
- نطالب بالعفو عن الهاربين ورافضي الحرب ووقف ملاحقتهم والتصدي لمساعي الانتقام من جنودنا الأسرى ممن أبدوا موقفاً معارضاً للنظام .
- نطالب بعودة المهجرين والمهاجرين إلى الوطن وضمان حقوقهم .
- نطالب بمعالجة أوضاع منكوبي الحرب من أسر الضحايا والمعوقين .

- نطالب بتصفية فرق المطاردة والاعدام وازالة جميع مظاهر العسكرة وعودة الجيش إلى قواعده وثكناته .
- لتتوقف الحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي في العراق .
- كردستان ستبقى قلعة للنضال من أجل الديمقراطية والحقوق القومية .
- الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان .
- نطالب بتقليص الانفاق العسكري والتوجه لاصلاح ما خربته الحرب بما يخدم الجماهير الشعبية لا البرجوازية والطفيلية والرأسمال الأجنبي .
- نطالب باعادة النظر بعقود التسلح والديون والالتزامات المالية المجحفة والالتزامات العسكرية والأمنية والحدودية المبرمة مع الدول الرجعية والامبريالية .
- نناضل من أجل حل المسألة الكردية سلمياً .
- لن ننسى مأساة حلبجة الشهيدة .
- الأنصار الأبطال أقوى من همجية النظام الدكتاتوري .
- نناضل من أجل اقامة الجبهة الوطنية العريضة .
- نناضل من أجل اطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين .
- طالبوا بإيقاف حملات الاعدام الجماعي .
- نطالب بالكشف عن مصير المفقودين من المناضلين والمواطنين الأبرياء .
- نحيي المناضلين الصامدين في زنازين الفاشية .
- نحيي مناضلي العمل السري الأبطال .
- تحية لمنظمات حزبنا ورفاقه في كل مواقع النضال .
- لنعزز منظماتنا الحزبية ودورها الكفاحي .
- لتتنوع أساليب العمل من أجل تعزيز التنظيم الحزبي وتوسيعه .
- لنتوجه إلى الجماهير في محتشداتها .
- لنضع مطاليب الجماهير في شعارات ملموسة ومحفزة .
- لنعزز روابط المهجرين والمهاجرين والمنفيين، بالوطن ونعبئهم في النضال من أجل العودة المشرفة .
- لنعزز عملنا في صفوف القوات المسلحة .
- لنعبىء جماهير المجمعات القسرية في كردستان في النضال من أجل العودة

إلى قراهم ومدنهم، وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار.

- لنشدد العمل من أجل كسب منتسبي الأفواج الخفيفة إلى جانب شعبهم الكردي.
- لنطور حركة الأنصار ونكيفها مع الظروف الجديدة.
- ليستمر النضال من أجل تحقيق نتائج جديدة على طريق التحالف الوطني الواسع.
- نناضل من أجل الحقوق الثقافية والادارية للأقليات القومية.
- نناضل من أجل العودة إلى مجانية التعليم وتأمين الخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى.
- نناضل من أجل ايقاف حملات تغيير الواقع القومي لاقليم كردستان.
- ليتعزز التآخي بين الجيش والشعب في النضال من أجل الاطاحة بالدكتاتورية.
- لنعبىء مبدعي شعبنا في النضال من أجل الثقافة الوطنية الديمقراطية.
- ليتعزز التضامن مع نضال الشعب الكردي وحركته القومية التحررية في كردستان العراق.
- ندين سياسة القمع والارهاب ضد الأقليات القومية ونحيي كفاحها في سبيل حقوقها العادلة.
- أيها الشيوعيون: ضاعفوا الجهود المبدعة في سبيل تطبيق سياسة الحزب.

- أيها العمال والفلاحون: تصدروا النضالات الجماهيرية ضد الدكتاتورية الفاشية.
- ليتعزز حلف العمال والفلاحين ضمانة النضال من أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي.
- أيها العمال: ناضلوا من أجل استعادة حقوقكم المغتصبة.
- يا شبيبة وطلبة بلادنا: قاوموا اجراءات الفاشية وناضلوا في سبيل حقوقكم.
- يا نساء العراق الباسلات: ناضلن من أجل حقوقكن المشروعة.
- ناضلوا ضد الغلاء والمصاعب المعيشية.

- أيها العسكريون الشرفاء: شاركوا قوى شعبكم في النضال للخلاص من الدكتاتورية.
- لتتعزز الأخوّة بين الشعبين العربي والكردي والأقليّات القومية في الكفاح ضد الدكتاتورية واجراءاتها القمعية والشوفينية ومن أجل الديمقراطية والحقوق القومية.
- عاشت حركة الأنصار الباسلة الذراع المسلح للحركة الوطنية الديمقراطية.
- ليتعزز التضامن العالمي مع شعبنا ونضاله العادل.
- يا قوى السلم والتحرر والتقدم في العالم: ارفعوا أصوات الاحتجاج ضد استخدام الأسلحة الكيمياوية ومن أجل ايقاف الارهاب والقمع وانتهاك حقوق الانسان في العراق.
- تحية النضال لحلفائنا في الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) وفي الجبهة الكردستانية العراقية وكل قوى شعبنا الوطنية.
- تحية للأحزاب الشيوعية والعمالية الشقيقة في البلدان العربية طليعة النضال من أجل السلم والحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي.
- تحية الكفاح لفصائل حركة التحرر الوطني العربية.

- الظفر لانتفاضة الشعب الفلسطيني البطل ونضاله في سبيل العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد.
- تحية لنضال اليمن الديمقراطية في سبيل السير قدماً في طريق البناء والتقدم الاجتماعي.
- تحية لسورية الصامدة بوجه الامبريالية والصهيونية وأعمالها العدوانية.
- تحية للجماهيرية الليبية في تصديها للعدوان الامبريالي.
- تحية لشعوب الخليج والجزيرة العربية في نضالها من أجل الحرية والديمقراطية.
- تحية لنضال الشعب المصري من أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والغاء اتفاقيات كمب ديفيد.

- نتضامن مع الشعب اللبناني وحركته الوطنية، وندين تدخل نظام صدام حسين في شؤون لبنان الداخلية، ودعمه للقوى الانعزالية.
- لتتوطد الصداقة والتضامن بين حزبنا وحزب لينين العظيم.
- لترتفع راية الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية.
- ندعم جهود الاتحاد السوفييتي في النضال من أجل السلم.
- نناضل من أجل عالم خال من السلاح النووي.
- نناضل في سبيل تجريم الأسلحة الكيمياوية.
- نتضامن مع الشعب الأفغاني ضد الامبريالية والرجعية ومن أجل المصالحة الوطنية الضامنة لاستقلاله وسيادته الوطنية.
- النصر للشعوب المكافحة في سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي.
- تحية الامتنان لكل من تضامنوا مع حزبنا وشعبنا.

خيار النظام.. والخيار المطلوب وطنياً

مهدي حبيب(*)

تبذل الدوائر الحاكمة في السعودية جهوداً هائلة لوسم بلادنا بـ «الهدوء والاستقرار»، واظهارها امام العالم الخارجي وكأنها استثناء في هذا العالم المشحون بنزعات التغيير، وعصية على قوانين التطور الاجتماعي. غير ان واقع الحال في البلاد هو عكس ذلك تماماً، حيث تختمر وتتفاعل، في عمق المجتمع، مختلف الاتجاهات والعوامل الموضوعية المتناقضة، التي افرزتها طبيعة ومستوى تطور مجتمعنا، ويحتدم، انعكاساً لذلك، «على السطح» صراع لا سابق لحدته في الآراء والطروحات المتضاربة للقوى الاجتماعية المختلفة حول قضايا عديدة تمس، صميم الواقع القائم في البلاد ونمط الحياة الاجتماعية فيها وطبيعة نظام الحكم وتشريعاته واخلاقياته وما الى ذلك.

ويوماً بعد يوم تتسع دائرة هذا «الجدل الاجتماعي» والقوى المشاركة فيه. رغم الاجواء السياسية غير المؤاتية ابداً لذلك، السائدة في البلاد ـ والذي بات من الصعب على النظام تطويقه وتدجينه بالوسيلة التقليدية: القمع، مما يجعلنا نتطلع فعلياً الى امكانية تبلوره ونشوء الصيغ والتعبيرات السياسية والتنظيمية الواضحة بهذا القدر أو ذاك بهذه الكيفية أو تلك عنه، والتي اخذت بعض علائمها بالبروز (عدد من التشكيلات والتجمعات المهنية والاجتماعية،

السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في السعودية

التي كانت محظورة في السابق أو على الاقل موضع ريبة لدى النظام، كاللجان الشعبية للمهندسين ومختلف الجمعيات والروابط داخل الاندية الرياضية والتيارات المختلفة في الساحة الادبية والفنية وغير ذلك). على ان هذه العملية، وكما هو واضح تماماً، ستطول كثيراً وستكون مؤلمة اشد الايلام بسبب تعسف النظام وتسلطه.

ويمكن محورة الآراء المتداولة في الساحة المحلية في مجموعتين: ما تطرحه قوى التغيير (أو القوى الجديدة أو الصاعدة) ـ ان صح التعبير ـ وهي قوى واسعة كل السعة، ومتفاوتة جداً من حيث المواقع الطبقية ومن حيث الرؤى السياسية والفكرية، وتمتد من الليبرالية البرجوازية حتى الماركسية، مروراً بأوساط واسعة من الجماهير، التي اوصلتها معاناتها اليومية الى رفض الواقع القائم. وتشغل قوى المعارضة الوطنية العلمانية، ومن بينها حزبنا، والدينية، موقعاً متميزاً في هذا الصف، بالنظر لامتلاكها، بدرجات متباينة، للبرنامج السياسي الواضح والمنطلق الفكري الصريح ونشاطها المنظم. وما تطرحه القوى المحافظة سواء التقليدية منها، اللصيقة تاريخياً بالنظام السعودي، التي تعارض بشدة أي تغيير، والتي تستمد قوتها من ذلك الالتصاق وبحكم الارث الديني (الوهابي) وتأثيره في اوساط اجتماعية واسعة، خصوصاً وسط القبائل والعشائر البدوية، ام الحركات السلفية «الجديدة»، المعارضة للنظام من زاوية ابتعاده عن الاصول الاسلامية، والتي تنادي بالعودة الى عهد «السلف الصالح». ويلعب النظام لعبة «خاصة» داخل هذا الصراع، سنتوقف عندها لاحقاً.

ومما لا شك فيه، ان هذا الصراع وهذا التنوع الكبير في الآراء له اساس موضوعي مرتبط باللوحة «المبرقشة» للبنية الاجتماعية ـ الاقتصادية المتعددة الانماط وغير المتجانسة، والتركيبة الطبقية الناشئة عنها بكل تلاوينها المتنافرة. فالطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة تحاول في هذه الفترة الصعبة بالتحديد، بلورة مواقفها المعبرة عن مصالحها وطموحاتها وتبحث عن مختلف التعليلات لها، بما فيه نبض الماضي.

لقد لعبت جملة الظروف المتكونة حديثاً في البلاد خصوصاً الأزمة الاقتصادية واتساع عمليات القمع، وقبلها، واهم منها، التناقض الموضوعي العميق بين مجل التطورات الكبيرة التي شهدها مجتمعنا خلال العقدين الاخيرين، وبالاخص تسارع عملية البرجزة. وعدم اجراء التغيرات المطلوبة والمواكبة لذلك في الاسلوب السياسي، دوراً هاماً في تغذية هذا الصراع. والى جانب ذلك، لا يمكن الاستهانة بتأثير العامل الخارجي في هذا الميدان. فمنطقتنا، وداخل كل دولة فيها، تعيش مخاضاً حاداً مرتبطاً بالاحداث الكبيرة التي مرت بها، بدءاً من الثورة الايرانية وما تلاها من حرب مروعة بين العراق وايران وتواجد كثيف للاساطيل الحربية الاطلسية بالخليج وصولاً الى الانتفاضة الباسلة للشعب الفلسطيني، وغيرها من تجليات اشتداد الصراع بين القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية من جهة، وحركة

التحرر الوطني في المنطقة من جهة اخرى. وعلى نطاق العالم عموماً، تفعل فعلها القوي تلك العملية الجارية بوضوح فيه، ونعني بها عملية تشابك وترابط البلدان بصورة لا سابق لها، رغم التناقضات القائمة فيها بينها، وشيوع الطابع الاممي في العلاقات الاجتماعية بسبب تدويل الانتاج واتساع الروابط عن طريق المواصلات ووسائل الاتصالات الحديثة وحركة المعلومات السريعة وغير ذلك. وهنا لا بد من الاشارة الى دور «البيريسترويكا» والتفكير السياسي الجديد في تحفيز هذه العملية بأكملها. وهذا يجري في وقت آخذ فيه شعبنا بالانفتاح الواسع (من خلال السياحة والدراسة في الخارج وغيرها) على الشعوب الاخرى والتعرف على قضاياها وهمومها، ولم يعد بالامكان فرض عزلة على البلاد، كما كان في السابق.

ولايضاح ابعاد وعمق الصراع المذكور يمكن التوقف عند احد محاوره البارزة، وهو الموقف من مسألة «تحديث» أو حتى اجراء تغييرات جوهرية على نظام الحكم في البلاد وتشريعاته وسياساته، بمعنى انهاء طبيعته الملكية المطلقة في نهاية المطاف. فهذا المطلب الديمقراطي الحاد كفّ الآن عن كونه حكراً على قوى المعارضة الوطنية وجماهيرها وبعض الوجوه المثقفة والاقليات الطائفية المضطهدة، كالشيعة والزيديين، بل اخذت تتطلع اليه بصورة متزايدة، خصوصاً منذ بداية الثمانينات، اوساط جديدة ومؤثرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد.

ولعلها ذات دلالة خاصة في هذا المضمار تصريحات الامير طلال بن عبد العزيز(1)، وهو احد اقطاب النظام، هذه التصريحات المتكررة لوسائل الاعلام والصحافة الاجنبية خلال السنتين الاخيرتين (لمكتب الانباء الكويتية بروما في ١٣ أيار ١٩٨٦، ومجلة «الشراع اللبنانية» تموز ١٩٨٦، وغيرها) والتي عبر فيها عن تصوراته حول امور عدة، من ابرزها: قلقه ازاء الوضع الداخلي، واصفاً اياه بان البلاد «تمر بازمة مخيفة»، واستياؤه من سياسة السلطة وارتباطاتها «المطلقة» بالدول الغربية. وشدد طلال في احاديثه على «المطالبة بالديمقراطية وحرية الرأي...». وهذا الامير ليس الوحيد في الاسرة الحاكمة ممن يطرح، لاغراض مختلفة مثل هذه القضايا اليوم.

اما البرجوازية السعودية وبالاخص البرجوازية الوطنية ـ ونعني قبل كل شيء الفئات الوسطى واقساماً من البرجوازية الكبيرة، التي تستثمر رؤوس اموالها بشكل اساسي في القطاعات الانتاجية ـ فقد اخذت تعبر عن همومها وتطرح مطالبها بصورة اكثر صراحة وعلانية، سواء عبر «الغرفة التجارية الصناعية» و«مجلس ادارة» هذه الغرف، التي اضحت الهيئة التنظيمية، المعترف بها رسمياً، لتوجيه نشاط البرجوازية والتعبير عن مصالحها، ام عن طريق مؤتمرات رجال الاعمال السعوديين، التي تعقد مرة كل عامين. فمنذ مؤتمرهم الاول، المنعقد في مدينة (الدمام) بالمنطقة الشرقية في الفترة ما بين ١٢ ـ ١٤ آذار ١٩٨٣، والتي تتوافق

وبروز اولى بوادر الركود في الاقتصاد الوطني، باشر رجال الاعمال في بلورة رؤيتهم للاوضاع السائدة في البلاد فتقدموا بالعديد من المطالب، من بينها: اعادة النظر في الأنظمة المتصلة بنشاط القطاع الخاص وتطويرها، وتعزيز دور الغرف التجارية الصناعية في اعداد خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وتفضيل الشركات الوطنية على غيرها عند ترسية العقود الحكومية، والتركيز على الاستثمار داخل البلاد والاتجاه نحو الاستثمارات الطويلة المدى في مجالات التصنيع (وخاصة البتروكيمياوية) والتعدين والزراعة[٢].

اما في المؤتمر الاخير (الثالث) المنعقد في مدينة (ابها)، عاصمة منطقة عسير (في جنوب غرب السعودية)، في الفترة ما بين ١٥ ـ ١٨ آذار ـ أي في ظروف تفاقم الازمة الاقتصادية في البلاد ـ والذي حضره ما يقارب ٥٠٠ من رجال الاعمال السعوديين وعدد كبير من المسؤولين الحكوميين، فقد طرحت الامور بصورة اكثر صراحة وحدة.

لقد تقدم ممثلو البرجوازية السعودية هذه المرة بما يشبه البرنامج «البديل»، في بعض عناصره، أو على اقل تقدير «المعدّل» لبرنامج النظام السعودي، وان كان الكثير من هذه العناصر عبارة عن ردود و«التفافات» على الوضع المأزقي الذي تعيشه البرجوازية في ظل الركود وواقع السياسة الاقتصادية للنظام وتشريعاته التي لا تستجيب، بل وتتناقض في العديد من جوانبها مع مصالح البرجوازية الوطنية. وفي مجمل عرضهم لتصور البرجوازية حول الاوضاع القائمة في البلاد، اشار رجال الاعمال المؤتمرون الى «استمرار حالة الركود الاقتصادية» والى ان «جميع المؤشرات توضح ان الانكماش الاقتصادي لم يبلغ منتهاه بعد»[٣].

كما وجهوا انتقاداً مبطناً لسياسة النظام الاقتصادية خلال السبعينات، والمحوا الى مسؤوليتها في التدهور الاقتصادي الحالي. وهو تقييم صائب، سبق لحزبنا ان طرحه في العديد من وثائقه منذ بداية الازمة.

وتركزت اطروحات رجال الاعمال في هذا المؤتمر على القضايا التالية:

١ ـ التمويل الحكومي والبنكي وقضايا الافلاس ـ وتم التطرق هنا الى توقف «أي شكل من اشكال المساعدة الحكومية» للقطاع الخاص و«تحفظ البنوك في تقديم القروض» له، وما ترتب عليه من معضلات حادة جابهت وتجابه هذا القطاع في الوقت الحاضر. كما جرى التوقف عند قرار الحكومة القاضي «بتمديد الجدول الزمني لتنفيذ المشاريع العامة التي سبق التعاقد بشأنها» بين الدولة ومؤسسات القطاع الخاص، والعواقب المترتبة على هذا القرار، وخصوصاً مشكلة الافلاسات التي لحقت بشركات كثيرة.

٢ ـ مشكلة النظام القانوني والقضائي ـ واشير هنا الى التخلف الشديد لهذا النظام. وكذلك الحال بالنسبة للنظام القضائي، الذي «يعتبر غير ملائم الى حد بعيد لحل مشاكل الاعسار».

٣ ـ مشاكل توفير الحماية للصناعة الوطنية ـ وقد نوقشت هذه القضية من مختلف جوانبها، وجرى التأكيد على قصور قوانين الحماية وغموضها «ولذلك فهي موضع تفسيرات مختلفة»، كما اشير هنا ايضاً الى «ان الرسوم الجمركية غير كافية».

٤ ـ قضايا التسويق الخارجي ـ وتم التعرض هنا لمصاعب الخروج الى الاسواق الاجنبية، «وخاصة اسواق الشرق الاوسط وافريقيا»، بسبب انعدام الخبرة لدى القطاع الخاص وصعوبة مزاحمة الشركات الاحتكارية وضعف الدعم الحكومي.

وطرح رجال الاعمال جملة من المطالب، من اهمها: استئناف الدعم الحكومي للقطاع الخاص، وتعديل الاجراءات المتعلقة بتقديم المساعدات المالية له، اصلاح النظام القانوني، وتعديل النظام المصرفي وايجاد البنية القانونية للتعامل مع حالات الافلاس التي تواجه الشركات، والتسوية الفعالة للمنازعات التجارية، وتطوير قوانين الحماية للصناعة الوطنية واعادة بناء الهيكل التنظيمي لادارتها، وتعزيزه بالكوادر المؤهلة والمتحمسة لذلك، وصياغة سياسة جمركية مناسبة لمجابهة الاغراق في السوق المحلية بواسطة المنتجين الاجانب، ودعم الصادرات من قبل الدولة وربط المساعدات الى الدول النامية بشراء المنتجات السعودية، وغيرها.

وفي حينها عبر حزبنا عن ارتياحه لطروحات رجال الاعمال هذه، واكد على «ان جميع الدلائل تشير الى ان النظام سيستجيب مجبراً خلال الفترة القادمة، الى العديد من مطالب البرجوازية بسبب تفاقم ازمته وحاجته الماسة لمساندة هذه القوى الاجتماعية الهامة، إلا ان هذه الاستجابة ستكون انتقائية ومتحفظة، ولن تلبي بأي حال من الاحوال مطالبها الاكثر جذرية»(٤). وهذا ما تأكد لاحقاً بالفعل. وطالب الحزب «بافساح المجال امام الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة لطرح مطالبها والتعبير عن همومها، التي هي أكثر حدة»(٥).

واوضح بما فيه الكفاية ان هذه المطالب للبرجوازية لا تمس السياسة الاقتصادية للنظام السعودي وحدها، بل تطال بقدر كبير طبيعة النظام ذاته، وبعض مرتكزاته، وخاصة قاعدته الحقوقية المغلفة بغشاء ديني وارتباطاته الوثيقة بالنظام الرأسمالي العالمي.

ومما لا شك فيه ان البرجوازية السعودية (الوطنية) بطرحها هذه المطالب تنطلق من مصالحها الطبقية المحددة ومن بحثها الدائب للخروج من الضائقة التي هي فيها، غير ان مطالبها هذه تتسم في الظرف الراهن، بالتأكيد، والى حد بعيد، بطابع وطني عام، وتلامس بالعديد منها مصالح الشعب بأسره. وهنا يتأكد صواب موضوعة حزبنا، الواردة في برنامجه الوطني، حول ضرورة اشتراك، اقسام هامة من البرجوازية الوطنية الى جانب «العمال والفلاحين وجماهير البدو والمثقفين الثوريين» في انجاز مهام المرحلة الحالية التي تمر بها بلادنا: «استكمال مرحلة التحرر الوطني المرتبطة بتحقيق كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية»(٦).

وهنا ايضاً لا بد من الاشارة الى الاهمية الكبيرة لاطروحات البرجوازية السعودية في حاضر ومستقبل بلادنا السياسي، بالنظر الى انسجامها الكبير مع مجرى التطور العام للبلاد، السائرة على طريق التطور الرأسمالي، ونظراً لثقل البرجوازية البارز في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسعودية.

مما تقدم يمكن ملاحظة ان الازمة الاقتصادية قد اثرت تأثيراً ملحوظاً على قاعدة النظام الاجتماعية: حيث ان العديد من القوى الاجتماعية، ومن بينها البرجوازية الوطنية التي كانت لوقت قريب متمصلحة مع سياسة النظام الاقتصادية، باتت توجه سهام نقدها الحاد الى هذه السياسة. على انه يجب التأكيد هنا، وهو ليس بالامر الجديد، على ان الفعالية السياسية لهذه القوى، والحد من تذبذبها، وانتقالها الواضح والقاطع الى الصف المناوىء للملكية المطلقة وكل بقايا الاقطاع والداعي الى اقامة حكم وطني ديمقراطي في البلاد، يتوقف بصورة حاسمة على حركة الجماهير ومدى نضجها سياسياً وتنظيمياً. وفي الوقت ذاته، من الهام ملاحظة ان الفئات الطفيلية والبيروقراطية من البرجوازية المحلية والشريحة الكمبرادورية الكبيرة، الحليفة التقليدية للنظام، والتي اضحت منصهرة بشكل عميق داخل الاتحادات الاحتكارية المالية والبزنس العالمي، تبقى كما كانت في السابق، الدعامة الاجتماعية الاساسية للنظام، الى جانب الاوساط التقليدية والقوى الدينية المتنفعة.

وكما اسلفنا، فان ما عبرت عنه البرجوازية السعودية من تطلعات، على محدوديتها، فانه ليس بعيداً عن طموحات طبقات وفئات اخرى واسعة في المجتمع. فالجماهير الشعبية وفي مقدمتها طبقتنا العاملة، ذات التاريخ النضالي المجيد، والتي كانت دائماً وابداً طليعة النضال من أجل الديمقراطية والتحرر الوطني في بلادنا، والقوة الرئيسية للتحركات الشعبية، والتي غالباً ما تحولت نضالاتها المطلبية الى نضال سياسي واضح، خصوصاً في الخمسينات والستينات، تعمها اليوم نقمة واستياء شديدان ازاء الاوضاع القائمة في البلاد. فعلى كاهل هذه الجماهير بالذات القيت الاعباء الاساسية للازمة الاقتصادية، وعلى حساب مستوى دخلها ومعيشتها يتم بشكل اساسي تغطية العجز في موازنات الدولة، حيث يجري تقليص الاجور وزيادة التعرفة على الخدمات العامة ورفع اسعار السلع الضرورية (حوالي ٥٠ في المئة منذ بداية عام ١٩٨٨)، وتخفيض الدعم الحكومي للبرامج الاجتماعية وغيره. كما تعاني من تفاقم ظاهرة البطالة التي اخذت تستشري بصورة مخيفة في السنوات الاخيرة.

وازاء هذا الوضع تخوض الطبقة العاملة والجماهير الكادحة نضالاً مطلبياً باستمرار، حيث يقوم العمال والموظفون بتقديم العرائض الفردية والجماعية الاحتجاجية ورفض التوقيع على اتفاقيات العمل «الجديدة» المجحفة بحقوقهم، والتي تعرضها بانتظام الشركات المختلفة، وتتسع حركة الاضرابات العمالية في مؤسسات الدولة والقطاع الخاص، ولا تندر

حالات التضامن بين العمال في مؤسسات الفرع الاقتصادي الواحد. وتتكرر حشود الباحثين عن العمل امام مكاتب العمل الحكومية ـ علماً بان التجمع من الامور المحظورة في البلاد ـ الذين جوبهوا غير مرة بانزال قوات الامن لتفرقهم قسراً.

ويترافق هذا النضال بتنامي الوعي الديمقراطي للجماهير، المعارض للممارسات الارهابية للسلطات السعودية وسياسة تكميم الافواه وانتهاك حقوق الانسان ومصادرة الحريات الديمقراطية لشعبنا. وتجري على نطاق واسع حملات التضامن مع المعتقلين السياسيين ومن اجل وقف التعذيب الوحشي بحقهم والافراج فوراً عنهم، وتشكل الوفود الرجالية والنسائية لمقابلة رموز النظام وتقديم مذكرات الاحتجاج على ذلك. وتلعب القوى الوطنية، ومن بينها حزبنا، والاتحادات والمنظمات النقابية والديمقراطية، رغم معوقات العمل السري (حيث انها جميعاً محظورة اطلاقاً) دوراً هاماً في تنظيم الحركات الشعبية وبلورة مطالبها وتعميق مضمونها. ولعل وجود التمثيل السياسي والنقابي لهذه الجماهير، خصوصاً للطبقة العاملة، في شخص الحزب الشيوعي في السعودية واتحاد العمال في البلاد، وبغض النظر عن مقدار الجماهيرية في الوقت الراهن، هو من ابرز السمات التي تميزها مقارنة بالبرجوازية السعودية.

ولا ننوي الاستطراد في عرض هموم مختلف قطاعات المجتمع، إلا انه من الضروري القاء الضوء على واقع فئة المثقفين والمتعلمين وشجونها، بالنظر لما لها من تأثير هام ومتزايد في الحياة الاجتماعية للبلاد. فخلال سنوات السبعينات والثمانينات، وبالارتباط مع النمو السريع للعلاقات الرأسمالية وما اقتضاه من توسع في ميدان التعليم تضاعف عدة مرات اعداد المتعلمين وخريجي وخريجات الجامعات (توجد في البلاد في الوقت الحاضر ٧ جامعات، يتخرج منها سنوياً اكثر من عشرة آلاف جامعي)، الذين تغيرت نظرتهم الى الحياة بدرجة ملموسة، واخذوا يتبوأون مواقع مرموقة في المجتمع. والى جانب ذلك، انهى الوف آخرن دراستهم في الخارج، وبالدرجة الاولى في الجامعات الامريكية والاوربية الغربية، ليعودوا الى الوطن بتصورات ومعتقدات جديدة في الغالب. ولم تعد مقبولة بالنسبة لهؤلاء جميعاً شروط الحياة التقليدية وممارسات السلطات المختلفة تحت أي ستار، كـ «طبيعة مجتمعنا الاسلامي»، كما يردد النظام. اضافة الى ذلك، فقد تردت، في فترة الركود الاقتصادي، اوضاعهم المعيشية بشكل حاد، وضاقت امامهم فرص العمل، حيث تفيد بعض التقارير شبه الرسمية (مجلة «الرياض»، العدد ٣١٣، ايلول/ ١٩٨٨) بان عدد الخريجين الجامعيين سيبلغ خلال الخطة الخمسية الرابعة (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠) اكثر من ٥٥ الفاً، امامهم ٣ أو ٤ آلاف فرصة عمل فقط. وهذا ما خلق استياء واسعاً في اوساطهم.

وعلى صعيد آخر، ادت تلك العوامل، والتغير الملحوظ الذي طرأ على الواقع

الاجتماعي والانفتاح الواسع على العالم الخارجي الى رفع مستوى ثقافة ووعي الجماهير بشكل عام، والى تزايد اعداد المثقفين. ولا يمكن اغفال دور حزبنا والقوى الوطنية الاخرى في تنمية هذا الوعي وتطويره. وقد اسفر ذلك كله، من بين ما اسفر، عن نشوء حركة ثقافية (فكرية وادبية وفنية، بصفة رئيسية) واسعة نسبياً في البلاد، تعج بشتى التيارات المتصارعة. ويمكن حصرها بشكل اساسي في اتجاهين: «الاتجاه السلفي» ـ وهو اتجاه شديد الرجعية والتخلف، يقف على رأسه عدد من الشيوخ المتزمتين والكتاب التقليديين والمتزلفين، ذوي الصلة الوثيقة بالنظام. واتجاه ما اصطلح على تسميته في البلاد بـ «الحداثة»، ويتشكل من تيارين رئيسيين «التيار الواقعي» ـ وهو تيار ديمقراطي ـ تقدمي، تشارك فيه كوكبة من المع الكتاب والنقاد والمفكرين السعوديين، وقد اخذ يكتسح الساحة الثقافية في السنوات الاخيرة، ويحظى بشعبية كبيرة في البلاد، وهو ما يثير ضغينة السلطات السعودية تجاهه. «والتيار البنيوي» ـ ويمكن تصنيفه كتيار برجوازي ليبرالي.

والسؤال هنا، اين يقف النظام السعودي من هذا الصراع، ومن الصراع الاجتماعي سالف الذكر وطروحات مختلف القوى الاجتماعية بشكل عام؟

وللاجابة عن هذا السؤال بقدر كاف، لا بد من تتبع تحركات النظام في الفترة الاخيرة، وعلى اكثر من صعيد، واستشفاف مراميها. ففي ما يتعلق بالبرجوازية، تفتح السلطات السعودية امامها المجال اكثر لتنظيم نشاطها، وتسمح بعقد مؤتمراتها وتصغي لمطالبها، بل وتستجيب لبعضها: كالقرار الذي اعلن عشية انعقاد المؤتمر الثالث لرجال الاعمال، باعفاء القطاع الخاص من دفع التأمينات الاجتماعية لفرع المعاشات على العمال الاجانب، ورفع الرسوم الجمركية على السلع المستوردة، المماثلة للمنتجة محلياً، منذ بداية العام ١٩٨٨، وتحويل قضايا «الاسعار» من المحاكم الشرعية (التي تعتمد الاحكام الدينية، والتي تحرم الربا) الى ديوان المظالم التابع للملك، تمهيداً لنقلها الى لجنة متخصصة تتبع مؤسسة النقد العربي السعودي (البنك المركزي) أي نقلها الى هيئة مدنية، وغيرها. وفي الوقت ذاته، تفسح المجال، وبالادق تدفع بالقوى الدينية المتخلفة، الحليفة لها، وعلى رأسها عبد العزيز بن باز(٧)، الشيخ المعروف بتزمته وتخلفه الذي لا يجارى، للرد على طروحات البرجوازية ـ ولكن بصفة غير رسمية ـ والتشهير بالمدافعين عنها، وارهابهم بتوجيه تهمة «الخروج عن الدين» خصوصاً فيما يتصل بالمطالبة بتعديل النظام القانوني والقضائي في البلاد. ويحاول النظام من خلال ذلك، الايحاء بان تلكأه في اجراء الاصلاحات المطلوبة، لا يعود لعدم رغبته، بل لمعارضة القوى الدينية.

ونفس الاسلوب يتبع على نطاق واسع في الساحة الثقافية، وتجاه المثقفين الديمقراطيين على وجه الخصوص، غير ان التعسف والارهاب يتخذان هنا طابعاً اكثر حدة وسفوراً. فمن

جهة، تقوم السلطات السعودية بفتح الجسور معهم، حيث تتكرر اللقاءات بين بعض اقطاب الاسرة الحاكمة وعدد من الكتاب الديمقراطيين والليبراليين، والسماح لهم بقدر معين من «الحرية» للتعبير عن آرائهم، ومن جهة اخرى تشدد من عمليات الرقابة والمضايقات لهم، وتعمل على تجنيد «الاتجاه السلفي» لشن حملة تشهير رخيص بحقهم، والتلويح بذات التهمة (الخروج على الدين) في وجه أي كاتب مبدع وأية فكرة نيّرة. ولعل من الامثلة القوية على ذلك «الحداثة في ميزان الاسلام»، الصادر مؤخراً عن دار «هجر»، بقلم عوض بن محمد القرني، الذي قدم له الشيخ عبد العزيز بن باز، آنف الذكر. والكتاب نموذج لا نظير له في الظلامية ومعاداة كل ما هو مشرق ورائع واصيل في الادب والفن والثقافة الانسانية، العالمية والعربية والمحلية. وقد حاولت السلطات السعودية التنصل من وقوفها وراء هذا الكتاب ونشره. ويمكن سوق العديد من الامثلة على ذلك.

مما تقدم، ليس من الصعب ملاحظة ان النظام السعودي يحاول البروز بمظهر «المتعالي» على الصراع الاجتماعي، وانه غير منحاز لاحد اطرافه، وان مهمته تنحصر في مراعاة وجهات النظر المختلفة. غير انه يسعى عملياً لابتزاز كافة دعاة «التحديث» و«التغيير» بالتلويح بوجود «قوى» اجتماعية معارضة لذلك، أي اكثر تخلفاً منه، مستخدماً في اطار ذلك ايضاً التهويل بـ «خطر التطرف الديني».

وكل ذلك يأتي ضمن سلسلة المناورات التي دأب النظام على اجرائها في السنوات الاخيرة في محاولة لامتصاص النقمة وتنفيس الجو السياسي والاجتماعي في البلاد، كأطلاق الوعود بتأسيس «مجلس شورى» وعقد اللقاءات المتكررة مع بعض الشخصيات الوطنية والاجتماعية البارزة ومع اعيان الطوائف المختلفة وغيره.

وفي موازاة ذلك كله، تسلط السلطات السعودية سياط القمع والارهاب على جماهير شعبنا وقواه الوطنية بشتى اتجاهاتها، التقدمية والديمقراطية والدينية، وتشدد من اجراءات الامن في البلاد، وتنظم حملات الاعتقال والملاحقة للوطنيين، التي لم تنقطع منذ عدة سنوات. وفي سابقة خطيرة، اقدمت هذه السلطات في الثلاثين من ايلول الماضي، على اعدام اربعة من المواطنين (بقطع رقابهم بالسيف)، دون محاكمة ودون اي شكل من اشكال الدفاع امام هيئة قضائية مستقلة. وقد وجهت اليهم تهمة التخريب والقيام بأعمال تفجير لمنشآت اقتصادية. ومهدت السلطات السعودية لهذا العمل الشنيع باصدار «فتوى دينية» في الثلاثين من آب، عما يسمى بـ «مجلس كبار العلماء»، تقضي بانزال عقوبة القتل على من وصفتهم بـ «المخربين والمفسدين في الارض». وفي الاول من ايلول فسر «مصدر مسؤول» في الدولة معنى الفتوى في كونها تنطبق على «من يدعو الى افكار ومعتقدات ومبادىء وتنظيمات»، مفصحاً عما تبيته سلطات القمع السعودية من نوايا تجاه القوى الوطنية وكل صاحب رأي أو

معتقد معارض للحكم الملكي المطلق. فهذا الحكم الذي لايزال يمارس اشرس الاساليب وحشية، كجز الاعناق وقطع الاطراف ورجم النساء، ويصادر كافة الحقوق الديمقراطية، لن يتردد في اقتراف مثل هذه الجرائم.

وقد ادان حزبنا بشدة هذا التوظيف البشع لاحكام الدين الاسلامي، كما اعلن عن معارضته لاعمال التخريب مهما كان الهدف منها، وفي ذات الوقت عبر الحزب عن استنكاره لاستغلال النظام لهذه الاعمال، والتي كانت بالاساس وليدة سياساته، لتصعيد حملاته القمعية.

وباختصار، يرفع النظام الجزرة بيد لقمع القوى الوطنية وارهاب الجماهير الشعبية وخنق أي نفس وطني معارض في البلاد، ويدير باليد الاخرى مختلف اشكال المناورات الرامية الى الالتفاف على الوضع الاجتماعي الحرج واحتواء نتائج الأزمة الاقتصادية والقفز في ذات الوقت على مطالب الشعب الاساسية. والهدف في كلا الحالتين واضح ومحدد: المحافظة على نظام الحكم كما هو، ورفض اجراء أي تغيير جوهري على طبيعته الملكية المطلقة وارتباطاته الوطيدة بشكل استثنائي بالاوساط الامبريالية، وبالاخص الامريكية.

ان مواقف حزبنا من هذه القضايا وغيرها، معروفة ومعلنة، سواء في وثائقه البرنامجية أم في ادبياته الدورية. وان استنتاجاتنا وتقييماتنا حول طبيعة النظام السعودي وارتباطاته الخارجية، ومسؤوليته ازاء الاوضاع المتردية في البلاد، بسبب سياسته الاقتصادية الهوجاء وغير الوطنية والمسخرة لمنفعة حفنة من الطفيليين المحليين والاحتكارات الاجنبية والتي كرست التشوه في البنية الاقتصادية، وهدرت موارد البلاد المالية الهائلة على مشاريع التسلح الضخمة وتقوية اجهزة القمع، وللتآمر ضد الشعوب وحركاتها التحررية، الى جانب انتهاج القمع كوسيلة للتفاهم مع اية معارضة كانت في البلاد... باتت تشاركنا فيها الآن، الى جانب قوى المعارضة الوطنية الاخرى. اوساط اجتماعية اوسع من ذي قبل، اخذت تفصح عنها علناً، بهذا الشكل أو ذاك. وان التطلب في الانعطاف الديمقراطي في كل ميادين الحياة الاجتماعية، الذي ناضل الشيوعيون في بلادنا في سبيله سنوات طويلة وقدموا من اجله تضحيات كبيرة، ورأوا فيه حاجة حيوية لشعبنا وضرورة موضوعية لتقدم وطننا، اصبح اليوم يتمتع بجماهيرية اكبر. غير ان النضال على هذا الطريق لايزال طويلاً.

من هنا، فان حزبنا يركز في نضاله، في الظرف الراهن، من بين قضايا عدة، على المطالب الاكثر الحاحاً للقوى الوطنية وللاغلبية الساحقة من شعبنا: الافراج الفوري عن جميع المعتقلين السياسيين، ووقف عمليات التعذيب وجميع خروقات حقوق الانسان، واطلاق الحريات العامة، كحرية الرأي والتعبير والمعتقد، وتأمين الحقوق الاساسية للانسان بما فيها حق المرأة في العمل والمشاركة في النشاط الاجتماعي العام. ويعمل الحزب بدأب من

أجل رص صفوف كافة القوى الوطنية، بما فيها الدينية، والمنظمات الديمقراطية والتشكيلات الاجتماعية والشخصيات المستقلة الشريفة من شعبنا، ولفها حول هذه المطالب، التي تحتاجها الجماهير حاجتها الى الهواء.

(١) الامير طلال بن عبد العزيز - اخ الملك، وهو شخصية معروفة، سبق له ان تعاون مع الحركة الوطنية في الستينات، اثناء تواجده في الخارج، حيث كان عضواً بارزاً في حركة «الامراء الاحرار» المعارضة للنظام. وسبق ان شغل منصب وزير المواصلات ثم وزير المالية في عهد الملك الاسبق سعود. ويرأس الآن مجلس الطفولة والتنمية في البلدان العربية.

(٢) انظر وثائق المؤتمر الاول لرجال الاعمال السعوديين، الغرفة التجارية الصناعية للمنطقة الشرقية، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٣) هذه المقتطفات واللاحقة لها، منقولة من وثائق المؤتمر المنشورة في جريدة «الرياض» السعودية، ٢٧ آذار ١٩٨٧.

(٤) «طريق الكادحين»، الجريدة المركزية للحزب الشيوعي في السعودية، العدد ٣٥، نيسان ١٩٨٧.

(٥) المصدر السابق، وكذلك «البيان الصادر عن الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب، كانون الثاني ١٩٨٨».

(٦) البرنامج والنظام الداخلي للحزب الشيوعي في السعودية «المدقق في المؤتمر الثاني آب ١٩٨٤»، ص ٩ - ١٠.

(٧) عبد العزيز بن باز - المدير العام لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في السعودية - وهو رجل دين شديد الرجعية، يحرم عمل النساء وسماع الموسيقى والغناء وحتى «السلام الملكي»، ولايزال ينكر ابسط الحقائق العلمية (كدوران الارض حول الشمس، وغير ذلك).

لبنان على مفترق خطير

جورج البطل(*)

منذ الثالث والعشرين من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٨ تعيش الجمهورية اللبنانية بدون رئيس. وتتنازع على السلطة حكومتان، حكومة الدكتور سليم الحص الشرعية التي انتقلت اليها سلطات رئيس الجمهورية بموجب احكام الدستور لفراغ منصب الرئاسة، وحكومة انقلابية عسكرية مدعومة من القوى الفاشية اعلنت نفسها حكومة شرعية في الدقائق العشر الاخيرة من ولاية الرئيس امين الجميل.

وبوصول الازمة اللبنانية إلى هذه المرحلة الجديدة النوعية والحادة يفقد نظام البرجوازية اللبنانية كل مؤسساته الشرعية الموحدة. وقد حاولت الطغمة المالية المهيمنة في البرجوازية اللبنانية منذ افتعالها الحرب الأهلية في ١٣ نيسان ١٩٧٥ انقاذ نظام حكمها بتوجيه ضرباتها إلى القوى الديمقراطية المناضلة من اجل التغيير الديمقراطي وتحديد هوية البلاد العربية، وتفاعلها مع محيطها الطبيعي. وقد استخدمت الطغمة المالية كل الاسلحة التي في ترسانتها، فاستفادت من التركيب الديمغرافي للبنانيين لاثارة الغرائز الدينية والطائفية وافتعلت المجازر هنا وهناك، ولجأت إلى الدعم الخارجي وصولاً إلى استدراج احتلال اسرائيلي ونزول امريكي واطلسي عام ١٩٨٢ لدعم نظامها المنهار واعادة بنائه على القواعد السابقة. وقد ساعدها

* عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني

الاحتلال الاسرائيلي والوجود العسكري الامريكي الاطلسي في فرض رئيس للجمهورية يحمل برنامجها ويدافع عن مصالحها، إلا ان نضال القوى الوطنية والديمقراطية لا سيما نضال جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي التي اسسها واطلق عملياتها الشيوعيون، قد اجبر المحتلين الاسرائيليين على الانسحاب إلى شريط ضيق على الحدود، والقوات الامريكية الاطلسية الاخرى على العودة إلى بلادها، وادى بالتالي إلى محاصرة الحكم الذي جاء في ركاب المحتلين الاسرائيليين والاطلسيين ومقاطعته ومنعه من تحقيق اهداف الطغمة المالية والقوى الفاشية التي تستند اليها.

وعندما شارفت ولاية هذا الرئيس على نهايتها الدستورية ـ ست سنوات غير قابلة للتجديد ـ كانت نسبة القوى في غير صالح الطغمة المالية وقواها الفاشية. وقد حاولت القوى الوطنية والديمقراطية الوصول إلى تسوية حد ادنى تخرج البلاد من حالة الحرب الاهلية المديدة ونتائجها المدمرة والعودة إلى التقيد باحكام الصراع الديمقراطي واصوله، إلا ان القوى الفاشية ومعها جزء من ضباط الجيش، مشجعة ومدعومة من اسرائيل والولايات المتحدة والفاتيكان والرجعية العربية رفضت كافة هذه العروض وانطلقت تحكم سيطرتها على المنطقة المسيحية التي تسيطر عليها بالقوة والارهاب، مهددة بتقسيم البلاد وانفصال المنطقة التي تسيطر عليها في حال عدم انتخاب رئيس للجمهورية تختاره هي. ونفذت تهديدها باحتجاز معظم النواب المسيحيين وبعض النواب المسلمين ومنعهم بالقوة من الوصول إلى مجلس النواب مما عطل انتخاب رئيس للجمهورية ورئيس للمجلس وهيئة له.

لقد أصبحت الشرائح العليا من البرجوازية اللبنانية الممثلة بالطغمة المالية ـ ذات الاكثرية المسيحية ـ اسيرة لمصالحها الطبقية الضيقة ورهينة للقوى الفاشية التي اطلقتها ونمّتها ومولتها لحماية هذه المصالح. وهكذا، وللمرة الثانية، في خلال الحرب الاهلية المستمرة منذ عام ١٩٧٥، تخون هذه الشرائح العليا من البرجوازية اللبنانية المصالح الوطنية الكبرى دفاعاً عن مصالحها.

انّ الطغمة المالية وادواتها الفاشية قد اعادوا، بعملية الانفصال التي قاموا بها، الازمة اللبنانية إلى بداياتها. وبعثوا في نفس الوقت، مشروعهم الاساس بعد ان تراجع وانكفأ بفعل الهزائم التي منيوا بها طوال الحرب الاهلية المديدة رغم الاسناد المباشر من جانب الامبريالية الامريكية واسرائيل والرجعية العربية، هذا المشروع الذي يقوم على تحويل لبنان إلى دولة دينية عنصرية متصارعة مع محيطها العربي وغريبة عنه. وفي حال عدم التمكن من تحويل لبنان كله إلى هذه الدولة، فيقتطعون جزءاً منه يقيمون فيه دولتهم العنصرية ويوطدون اركانها ويعززون قدراتها بالدعم الامريكي والاسناد الاسرائيلي المباشر والمساعدة الرجعية العربية لينطلقوا فيما بعد، وعند استكمال هذه المهمة، لقضم الاجزاء الاخرى. مثالهم في ذلك ما حصل في

فلسطين خلال القرن الاخير، والاسلوب الذي اتبعه الصهاينة لاقامة دولتهم على جزء من فلسطين ثم ابتلاعها برمتها على مراحل.

ويقوم الفاشيون الان، بعد ان شكلوا حكومتهم العسكرية المسيحية (أي العنصرية بالضرورة بحكم التركيب الديموغرافي الديني للبنانيين، وبحكم نفي الفاشيين لعروبة اللبنانيين وادعائهم قومية خاصة فريدة وممتازة) باحكام سيطرتهم المطلقة على دويلتهم من خلال القضاء على كل ما ميز لبنان خلال عشرات السنين، من تعددية سياسية وثقافية ودينية ومن حريات ديمقراطية، فيما يمارسون القمع المادي والمعنوي ويقضون، بالقوة، على كل محاولة لابداء رأي مخالف أو الاعراب عن وجهة نظر. ويقيمون في دويلتهم التي اصبحت مسيحية صافية بفعل تهجير المسلمين، اكثر النظم تشابها بالنظم الفاشية التي عرفتها المانيا وايطاليا واسبانيا وسواها، باسم المثل المسيحية العليا ايضاً. وهم باسم الدفاع عن المسيحية والمسيحيين في لبنان والمشرق العربي، يجعلون قسماً من مسيحيي لبنان رهائن لمشروعهم الفاشي، ويفتعلون «مسألة مسيحية» ستطال، ان نجح مشروعهم العنصري، ملايين المسيحيين العرب الذين يعيشون بانسجام تام وبمواطنية كاملة مع مواطنيهم العرب المسلمين في مصر والسودان وسوريا والعراق والاردن وفلسطين، ويعرضون مصالح هؤلاء الملايين من المسحيين لخطر شديد، اضافة إلى ما الحقوا من مآسي باللبنانيين بصورة عامة، وبالمسيحيين منهم على وجه الخصوص.

ولفهم التطورات الاخيرة في لبنان لابد من عودة سريعة إلى المرحلة التي سبقت الحرب الاهلية ومهدت لها وإلى بعض الاحداث التي ميزت هذه الحرب، والتداخل الاقليمي والدولي الذي عرفته.

ففي السنوات التي سبقت الحرب الاهلية، خلال الستينات والنصف الاول من السبعينات، حصل في لبنان تطور رأسمالي سريع، بفعل ظروف محلية واقليمية، ادت إلى نمو كبير في الرأسمال المالي تحول معه لبنان إلى مركز مالي كبير وانعكس ذلك بنمو سريع في مختلف القطاعات الاقتصادية، بما في ذلك القطاع الصناعي الذي تضخم حجمه وارتفعت حصته في الناتج الوطني ارتفاعاً كبيراً، رغم فقر لبنان بالثروات الطبيعية، كما سادت في الريف علاقات الانتاج الرأسمالية سيادة تامة، اضافة إلى تحديث القطاعات التقليدية في الاقتصاد اللبناني التي يمكن تسميتها بالقطاع الثالث (التجارة بصورة عامة، والتجارة المثلثة بصورة خاصة، والتوظيف في الخارج، والنقل والترانزيت والخدمات والسياحة الخ) وقد رافق عملية النمو الرأسمالي السريع هذه عملية تركز وتمركز كبيرة للرأسمال بحيث تحولت قبضة قليلة من البيوتات المالية الكبرى إلى مالكة لمعظم الرأسمال الموظف في البنوك والصناعة والزراعة والسياحة والنقل والتجارة في كل مجالاتها.

وقد ادى هذا الانقلاب العاصف في تركيب الطبقات والفئات الاجتماعية، خلال حوالي العقدين من السنين، وفي العلاقات فيما بينها، وما نتج عن هذا الانقلاب من ضمور في عدد ووزن الفئات الوسطى والصغيرة من البرجوازية (المنتجون المتوسطون والصغار في المدن والحرفيون والفلاحون)، أدى هذا الانقلاب إلى حركة واسعة في صفوف السكان وإلى هجرات كبيرة من الارياف ـ البعيدة عن بيروت والمراكز الاخرى، بنوع خاص ـ. وقد بدأت عملية انصهار جديدة بين هؤلاء الوافدين من الريف وبين اقرانهم في الارياف القريبة من المراكز الصناعية وبين عمال الاحياء الشعبية في المدن وضواحيها، واخذ ينمو عوضاً عن الوعي الطائفي والمناطقي البسيط المتخلف الذي كان يسيطر على هؤلاء الريفيين، وعي طبقي، جديد، وبدأت عملية انصهار على اساس هذا الوعي المكتسب في المصانع والورش وفي محيطها في النواحي الكبرى التي نمت حول بيروت والمدن الاخرى.

إلا ان هذا التطور العاصف في نمو الرأسمالية في لبنان وفي تطور الطبقات والفئات الاجتماعية وتغيرها وتمايزها لم يُرَافق بأي تغيير في بنية النظام السياسي اللبناني الاساسية، رغم بعض الاصلاحات المحدودة باتجاه عقلنة هذا النظام ادخلتها رئاسة فؤاد شهاب للجمهورية في مطلع الستينات. فالنظام السياسي ظل قائمًا بمؤسساته على اساس طائفي، أي على تقاسم المناصب والمراكز والمصالح والمنافع بين الطوائف الدينية الـ ١٧ التي يتشكل منها الشعب اللبناني مع امتيازات واضحة للمسيحيين، وللموارنة، بوجه خاص، وضع اسسها الانتداب الفرنسي وترسخت طوال سني الاستقلال.

وقد نشأ نتيجة لهذا التطور، ولاستمرار بنى الدولة القديمة، تنافس حاد بين دينامية هذا التطور وبين المؤسسات والقوانين المتخلفة المعيقة للتطور. ونشأ، اضافة إلى ذلك، تناقض اخذ يتعاظم بين سيطرة الرأسمال الكبير التابع بالكامل للنظام الرأسمالي العالمي والمتأثر بتناقضاته وازماته وبين الاكثرية الساحقة من اللبنانيين الذين تحولوا، في المدينة والريف إلى أجراء في ظل دولة متخلفة في بُناها ومؤسساتها الدستورية والسياسية وقوانينها.

بعد ان اشتد هذا التناقض بفعل آليته الداخلية ذاتها، وبتأثير ازمة النظام الرأسمالي العالمي والتطورات التي شهدتها المنطقة وتحول إلى ازمة حادة تطال كل مجالات الحياة الوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حاولت الطغمة المالية ان تحله عن طريق اللجوء إلى العنف، ذلك ان شعار التغيير قد تحول عشية اندلاع الحرب الاهلية إلى شعار تتبناه قوى طبقية واسعة، رغم اختلافها حول مفهوم هذا التغيير وابعاده. وقد اطلق حزبنا، منذ مؤتمره الثاني عام ١٩٦٨، شعار التغيير الديمقراطي كخيار وحيد قادر ان يخرج النظام اللبناني من ازمته على اعتبار انه الخيار الذي يلبي مصالح اوسع الجماهير الشعبية. وصاغ الحزب برنامجاً للحكم الوطني الديمقراطي، على اساس هذا الخيار، مؤكداً حقيقة انه ليس

برنامجاً للثورة الاشتراكية، هدف الحزب النهائي، بل هو مجرد برنامج تغيير ديمقراطي لا يغير طبيعة النظام بل يوفر امكانية التغلب على الازمة التي يتخبط بها. وقد لاقى هذا البرنامج والشعارات التي اطلقها الحزب، حينذاك صدىً ايجابياً واسعاً في اوساط الطبقة العاملة وسائر الاجراء في المدينة والريف، وفي صفوف شرائح هامة من البرجوازية، وتحول هذا البرنامج وتلك الشعارات إلى برنامج وشعارات قوى سياسية عديدة ونافذة شكلت ما عرف طوال الحرب الاهلية بالحركة الوطنية اللبنانية، وهي تحالف جبهوي عريض بين احزاب وقوى يتراوح تمثيلها بين الطبقة العاملة وشرائح من البرجوازية المتناقضة مصالحها مع الطغمة المالية ونظامها.

وقد تميزت السنوات التي سبقت الحرب الاهلية بحركة مطلبية استثنائية توحدت خلالها الحركة النقابية بعد انقسام مديد، وقد حققت هذه الحركة انجازات كبيرة للطبقة العاملة وسائر الاجراء.

إلى ذلك تم، بفضل ارتفاع مستوى نضال اللبنانيين ووعيهم، تعزيز الحريات الديمقراطية والحريات العامة، وتحول لبنان إلى واحة آمنة لالوف اللاجئين السياسيين وموئل لمعظم حركات التحرير في المنطقة ومركز اعلامي وثقافي كبير.

إلا ان الطغمة المالية امام هذاالوضع الناشيء وامام عجزها عن وقف الحركة الديمقراطية المتعاظمة على الدوام المعبأة حول شعار التغيير الديمقراطي، وامام شعورها بالخطر الداهم الناشيء عن انفضاض اوساط واسعة من الجماهير المتحولة إلى العمل المأجور عن طوائفها وعن الممثلين السياسيين لهذه الطوائف الخادمين لمصالح الطغمة المالية والمتأثرين بامرها، وشعورها بان هذه الاوساط اخذت تكتسب وعياً طبقياً جديداً على انقاض وعيها البسيط الطائفي والمناطقي، وتنخرط في المعارك الوطنية والسياسية والمطلبية على اساس هذا الوعي الجديد المكتسب بفعل تغيير ظروف معيشتها وعملها وسكنها وبفعل المشكلات الجديدة التي اخذت تعاني منها، امام هذا العجز وذلك الشعور بالخطر لجأت البرجوازية، بعد ان جربت القمع واستخدام القوة وفشلت امام تعبئة الجماهير وكفاحيتها، إلى سلاح «لبناني» قديم ـ طالما جربه الاقطاعيون في وجه انتفاضات الفلاحين ـ فافتعلت الحرب الاهلية مستفيدة من تعقيدات داخلية واقليمية، واستخدمت التفرقة الدينية والطائفية باثارتها ـ عن وعي وتنظيم دقيق ومحسوب النتائج ـ مجازر طائفية وتهجير طائفي، الامر الذي زاد من احتدام وتعقيدات الحرب الاهلية المديدة وشوه امام الرأي العام العالمي، طبيعتها الحقيقية الطبقية، واخفى مسؤولية الطغمة المالية والقوى الفاشية عن هذه الحرب ومدى المآسي التي سببتها للبنانيين والخراب الكبير الذي احدثته في البلاد.

واستطاعت الطغمة المالية ايضاً، من خلال الحرب وبفعلها ان تسلب جماهير الطبقة

العاملة وسائر الاجراء كل المكاسب التي حصلوا عليها بفعل نضال عقود عديدة من السنين، فرغم استمرار وحدة الحركة النقابية ورغم النضالات الكبرى التي خاضتها هذه الحركة، في ظروف الحرب، للدفاع عن مكاسب الطبقة العاملة، فان الطغمة المالية ودولتها وجهازها البيروقراطي قد تمكنت، في ظروف الحرب وبالاستناد إليها، من دفع التضخم إلى اقصى مدى يمكن ان تصل اليه، فانخفض سعر صرف الليرة اللبنانية (كان الدولار الامريكي يساوي حوالي ثلاث ليرات ونصف الليرة اللبنانية في عام ١٩٨٢ فاخذ سعر الليرة ينخفض بسرعة هائلة منذ اواخر عام ١٩٨٤ ليتجاوز سعر الدولار الواحد ٥٠٠ ليرة حالياً).

ورغم الزيادات المتتالية على الاجور التي فرضها نضال الطبقة العاملة وجماهير الاجراء فان الحد الادنى للاجور انخفض بمعدل وسطي بلغ ٨ مرات (حالياً يزيد انخفاضه عن عشر مرات)، مع العلم ان اسعار السلع تحدد على اساس الدولار الامريكي، اي أن القوة الشرائية لكل الاجراء، دون استثناء، قد انخفضت في خلال اربع سنوات حوالي العشر مرات. واصبح الحد الادنى للاجور اليوم يساوي بين ٣٠ ـ ٣٥ دولاراً في الشهر. وإلى جانب ذلك جرى التلاعب في اموال صناديق الضمان الاجتماعي المختلفة وتم نهبها واضاعة حقوق الشغيلة، إضافة إلى نهب صغار المدخرين الذين اشتروا سندات الخزينة (دين الدولة الداخلي) فافقدها التضخم معظم قيمتها. كل ذلك قد تم في وقت ازدادت فيه الصادرات اللبنانية، واستعاد الانتاج الصناعي حجمه لما قبل الحرب، رغم ما حصل في بعض قطاعاته من دمار، كذلك الانتاج الزراعي، وفي وقت تمكن فيه المصرف المركزي من تعزيز مخزونه من العملة الصعبة، مليار ونصف مليار دولار، ومن المحافظة على مخزونه من الذهب (تسع ملايين اونصة ذهب)، الامر الذي يؤكد ان هذا الحجم من التضخم ليس ناتجاً عن عجز مالي بقدر ما هو قرار من الطغمة المالية لالغاء كل ما فرضته عليها نضالات الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة والقوى الديمقراطية طوال عقود عديدة من السنين.

وقد أدى هذا الانخفاض الشديد في مداخيل الشغيلة والوضع الامني والفرز الطائفي إلى هجرة عشرات الالوف من العمال المهرة والمهندسين والاطباء والاساتذة والمعلمين والكوادر العالية المدربة في حقول الاعمال البنكية والتأمين والتجارة والسياحة والخدمات لا سيما من مناطق سيطرة القوات الفاشية التي اضيف إلى ما سبق الاشارة إليه من اسباب الهجرة، قمع شديد للحريات العامة والخاصة، ففقد لبنان، في السنوات الاخيرة قسماً هاماً من الثروة البشرية التي كانت تميزه عن غيره من بلدان المنطقة وتضعه في مصاف البلدان المتقدمة وتعوض فقره إلى الثروات الطبيعية.

كما ان سيطرة القوات الفاشية على كل المرافق العامة ونهبها وسلب عوائدها وحرمان الدولة منها قد حصر انفاق الدولة ـ التي باتت مداخيلها محدودة وقائمة على القروض اساساً ـ

في دفع اجور الموظفين التي اصبحت هزيلة بفعل التضخم، واهملت كل مؤسسات القطاع العام والبناء التحتي وتوقفت أية صيانة لها أو تطوير، فاصبحت كلها في حالة شديدة من التردي، وتحول لبنان، بفعل ذلك، من دولة كانت تمتلك بنى تحتية راقية (الصلات السلكية واللاسلكية)، الاذاعة والتلفزيون، شبكة الكهرباء شبكة توزيع المياه، شركة الطيران والمطار، المرافىء والنقل البحري، الطرقات، الخدمات الصحية، الجامعات والمدارس الخ . . .). إلى دولة في غاية التخلف من هذه الناحية.

إلا ان البرجوازية، بصورة عامة، والطغمة المالية بخاصة، عجزت عن حل ازمة نظامها، وادى الوضع الذي اوصلت البلاد اليه إلى انطلاقة جديدة للحركة الوطنية الديمقراطية السياسية والمطلبية. فقد بدأت المشاريع الطائفية المختلفة ـ من المشروع الفاشي الام إلى ردائفه وبدائله ـ تفقد تأثيرها بعد ان وصلت البلاد إلى ما وصلت اليه من حالة متردية، وبعد ان بان انسداد الافاق امام أي حل تحمله هذه المشاريع، وقام في البلاد في السنتين الاخيرتين من عهد اخر رئيس للجمهورية الذي انتهى في نهاية يوم ٢٢ ايلول ١٩٨٨، تحرك سياسي واسع ديمقراطي الاتجاه يطالب بانهاء الحرب الاهلية واجراء الاصلاحات التي توفر الظروف لذلك، وبدأت ترتفع اكثر فاكثر اصوات الديمقراطيين والليبراليين المعتدلين في المنطقة التي تسيطر عليها الميليشيات الفاشية تطالب بوحدة البلاد وسيادة القانون وبرفع وصاية الميليشيات الفاشية وتحكمها وتسلطها، وازداد نفوذ الاحزاب الديمقراطية العلمانية، وفي المكان الاول منها، حزبنا، الحزب الشيوعي اللبناني، ورافق ذلك حركة مطلبية واسعة قادتها الحركة النقابية الموحدة بتأييد ومساندة ومشاركة من الاحزاب الديمقراطية، رفعت في آن، شعارات سياسية تطالب بانهاء الحرب الاهلية وحل الازمة اللبنانية حلاً عادلاً بازالة الاسباب التي ادت إلى هذه الحرب وتؤدي إلى استمرارها، وشعارات تحمل مطالب اقتصادية واجتماعية للتخفيف من اعباء الازمة الاقتصادية والاجتماعية التي وضعت السواد الاعظم من اللبنانيين على حافة المجاعة. وقد تجسدت هذه الحركة في اضرابات محدودة واضرابات عامة ومفتوحة ومظاهرات واعتصامات، وتمكنت، باتساعها إلى كل المناطق، من تحقيق عدد من المطالب الاقتصادية الاجتماعية الملحة.

وقد ادت الانطلاقة الجديدة للحركة الديمقراطية الواسعة مع ما رافقها من تعابير مختلفة عن رغبة الاكثرية الساحقة من اللبنانيين إلى الخلاص من ويلات الحرب الاهلية وشرورها، إلى تغيير واضح في ميزان القوى الداخلية لغير صالح الطغمة المالية والشرائح العليا من البرجوازية بصورة خاصة. واصبح واضحاً ان الضغط الشعبي في البلاد سيفرض على اعضاء المجلس النيابي الذين مضى على انتخابهم ١٦ سنة جددت ولاياتهم خلالها اربع مرات بسبب الحرب الاهلية وعدم التمكن من اجراء انتخابات نيابية ـ رغم عدم تمثيلهم

الحقائق السياسية الراهنة في لبنان، ان ينتخبوا رئيساً للجمهورية يعكس نسبة القوى الجديدة القائمة، وينهي العهد الذي فرضه على لبنان الاحتلال الاسرائيلي والضغط الامريكي والاطلسي العسكري والسياسي.

وقد استعانت البرجوازية اللبنانية، لاسيما طغمتها المالية وقواتها الفاشية، بالامريكيين طالبة منهم مفاوضة السوريين للاتفاق على رئيس للجمهورية ظناً منها بان الامريكيين بمقدورهم ان يفرضوا على السوريين وعلى القوى الوطنية والديمقراطية، من خلالها، مرشحاً يشكل استمراراً لعهد الرئيس المنتهية ولايته. ولما بان عجز الامريكيين عن ذلك، عمدت القوى الفاشية، كما هو معلوم، إلى تعطيل جلسات المجلس النيابي باحتجاز النواب ومنعهم من الوصول إلى مبنى المجلس أو الخروج من منطقة سيطرتهم بعد ان يئست هذه القوى من امكانية تأمين انتخاب رئيس يؤمن مصالحها ويتابع سياسة الرئيس السابق، وقامت بانقلابها مستفيدة من تعطش قائد الجيش وبعض من ضباطه إلى السلطة باي ثمن وعن أي طريق.

وقد تكون هذه التطورات التي حصلت في لبنان قد فاجأت الكثيرين في لبنان وخارجه، الان انها لم تفاجيء حزبنا. فالمؤتمر الخامس للحزب الشيوعي اللبناني الذي جرت اعماله في شباط ١٩٨٧، قد اكد عمق الازمة التي تعصف بالنظام السياسي والاقتصادي - الاجتماعي اللبناني وعجز البرجوازية اللبنانية عن حل هذه الازمة وضرورة ان يصبح هذا الواقع الجديد محوراً لكل تحليل الوضع في لبنان وآفاق تطوره في المستقبل.

وقد توقعت اعمال المؤتمر على ضوء هذه الرؤية، وبالاستناد إلى معرفة دقيقة ميدانية لتطور الاحداث في لبنان والمنطقة ولنسبة القوى وحركتها، ان ينتهي عهد امين الجميل في رئاسة الجمهورية دون ان تتمكن البرجوازية اللبنانية من اتفاق على بديل له مما سيدخل البلاد في مرحلة جديدة نوعية من الحرب الاهلية.

ان الانقلاب العسكري الذي يحاول ان يحكم بواسطة مجلس عسكري استقال نصف اعضائه (أي ثلاثة من اصل ستة) قد اكد افلاس النظام السياسي الطائفي وافلاس القوى المهيمنة في البرجوازية اللبنانية، الطغمة المالية، التي تحاول عبثاً منذ بداية السبعينات الخروج من الازمة العامة لنظامها، فشنت الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ ولجأت إلى الخيانة الوطنية باستدعاء القوات الاسرائيلية والامريكية والاطلسية عام ١٩٨٢ وبالانقلاب العسكري الفاشي وتقسيم البلاد بعد ان عجزت عن ايصال رئيس للجمهورية ينفذ سياستها.

إلا اننا ونحن نرى إلى انهيار نظام البرجوازية اللبنانية واحتضاره ونعتبر هذا الانهيار يختزل مرحلة كاملة من النضال من اجل انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، والوصول إلى حكم وطني ديمقراطي وهي المهمات التي يضعها امامنا، نحن الشيوعيين اللبنانيين، برنامج حزبنا وقرارات مؤتمراته المتتابعة، فاننا نرى ان المرحلة الراهنة من نضالنا هي مرحلة

بالغة الدقة والتعقيد على اعتبار اننا ندخل في وضع يحتضر فيه النظام القديم ولم يولد بعد الجديد النقيض. فانهيار نظام البرجوازية لا يعني على الاطلاق، قيام النظام البديل بصورة آلية. انه شرط ضروري لكنه لا يكفي لوحده. ويمكن للبرجوازية من خلال قواها الفاشية في المنطقة التي تسيطر عليها من لبنان، وبالاستناد إلى استمرار احتلال اسرائيل لجزء من جنوب البلاد، ومن خلال عرقلتها في المناطق المحررة تنظيم اوضاع هذه المناطق واستمرارها في وضع مختلف العراقيل امام ذلك، يمكن للبرجوازية اللبنانية ان تعيق ولادة نظام جديد بديل وان تبقي البلاد في حالة من التردي والفوضى تتيح اما انتصار الانفصاليين وتمكنهم من فرض حكمهم العسكري الفاشي على البلاد باسرها، أو انتظار تطورات اقليمية ودولية تساعد في تغيير ميزان القوى بحيث تحاول عن طريق ذلك اعادة انتاج نظامها المنهار.

وينبغي ان لا يفوتنا في هذا السياق، ان الازمة اللبنانية منذ اندلاع الحرب الاهلية كانت ايضاً، ميداناً لصراع اقليمي، وان هذا الصراع ما يزال محتدماً وشديد التأثير على مسار الازمة اللبنانية.

فالازمة اللبنانية كانت وما تزال في ارتباط وثيق بازمة المنطقة. والساحة اللبنانية كانت باستمرار هدفاً رئيسياً من اهداف المخطط الامبريالي لفرض الحل الاستسلامي لازمة الشرق الاوسط. فالصراع القائم بين الاتجاه الساعي لتعميم اتفاقيات كمب ديفيد الاستسلامية، والاتجاه المقاوم لهذه الاتفاقيات يجد انعكاسه الواضح على الساحة اللبنانية.

فمنذ نشوب الحرب الاهلية في لبنان حتى اليوم ما يزال الهدف هو اياه: ترتيب اوضاع الساحة اللبنانية بما يجعلها الحلقة الثانية من حلقات الحل الامريكي الاسرائيلي لاحكام السيطرة الامبريالية على المنطقة واحاطة اسرائيل بكيانات طائفية عنصرية تتساند معها وتشكل لها «الحدود الآمنة».

وما يجري اليوم يؤكد مجدداً وبقوة هذه الحقيقة: امعان في تقسيم لبنان، لا بل محاولة تكريس هذا التقسيم قانونياً، وتعميم حالة التفتيت السائدة فيه إلى سائر دول المنطقة، وتحويله إلى بؤرة استنزاف واشغال للقوى المقاومة للحلول الاستسلامية، القوى الوطنية اللبنانية، وسوريا التي تشكل الحليف الاساسي وبوابة لبنان إلى العالم العربي، والثورة الفلسطينية، وضرب انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني البطولية، وما تشكله من رفض للاحتلال الصهيوني وللحلول الامريكية الهادفة إلى خدمة هذا الاحتلال، وفي صرف الانظار عما يجري من قمع وبطش، وتهجير الشعب الفلسطيني من الارض المحتلة وتوطين جزء منه في جنوب لبنان.

ان كل ذلك يضع امام القوى الديمقراطية اللبنانية، والشيوعيين منها على وجه الخصوص، مهمات في غاية الاهمية والمسؤولية. وفي طليعة هذه المهمات الحرص على ان تكون

مواجهة الحكم العسكري الفاشي القائم في جزء من البلاد مواجهة وطنية لبنانية، يحتل فيها العامل الوطني اللبناني الدور الاساس بالمقارنة مع العوامل الاخرى. وتحقيق ذلك يتيح للقوى الوطنية في آن، الافادة القصوى من دعم الحلفاء والاصدقاء والتصدي للتدخلات المعادية، اسرائيلية كانت ام رجعية عربية، ومنع تحويل لبنان إلى مركز لتصفية الحسابات العربية ـ العربية. وهذه المهمة مرتبطة ومتلازمة على الدوام بمهمة تعزيز المقاومة الوطنية اللبنانية للاحتلال الاسرائيلي وتوطيد مواقعها حتى تحرير اخر شبر من الوطن.

والمهمة الثانية، ان يوضع حد نهائي في المناطق المحررة، للتناقضات والخلافات بين القوى التي تجمعها المصلحة المشتركة في التصدي للانقلاب الفاشي العسكري والقضاء على حالة الانفصال الناشئة واستعادة وحدة البلاد، وان تنتفي بالكامل، كل مظاهر التمييز الطائفي والمذهبي والخلافات الطائفية والمذهبية في المناطق المحررة ليحل فيها التمايز بين الوطني وغير الوطني، والديمقراطي وغير الديمقراطي، محل التمايز بين المنتمي إلى هذه الطائفة أو تلك وهذا المذهب أو ذاك، ولكي تعطي هذه المناطق، بادارتها وقواها النموذج لما ينبغي ان يكون عليه لبنان الموحد الديمقراطي بعد القضاء على الاحتلال الاسرائيلي وعلى الحالة الانفصالية الفاشية.

وكما بادر الحزب، فور احتلال بيروت من قبل الجيش الاسرائيلي، إلى اعلان قيام جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية لهذا الاحتلال وبدء عملياتها ـ هذه المقاومة التي تحولت إلى حركة واسعة شاركت فيها قوى جديدة ولا تزال، والتي تمكنت من اجلاء القوات الاسرائيلية بالقوة عن ارض عربية، لاول مرة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ـ فانه بادر يوم ٢٣ ايلول ١٩٨٨، فور الانقلاب العسكري الفاشي، إلى الدعوة لقيام جبهة لبنانية من اجل الوحدة والتحرير، ودعا إلى انتظام الجماهير الشعبية والقوى الوطنية والتقدمية في اطار هذه الحركة لخوض المعركة من أجل استعادة وحدة لبنان وتأكيد عروبته وضمان تطوره الديمقراطي.

وقد اكدت اللجنة المركزية في دورتها الاستثنائية التي عقدتها مؤخراً ان جذرية المشروع الفاشي الذي ادى إلى الانقلاب العسكري تحتم مواجهة وطنية جذرية لا مكان معها، لحلول وسط أو لانصاف حلول. فاما ان ينتصر هذا المشروع الفاشي أو ان ينهزم. ولم يعد من الممكن القضاء على هذا المشروع الفاشي العنصري بدون الغاء النظام الطائفي الغاء كاملاً، وبدون حسم مسألة انتماء لبنان القومي، أي تاكيد عروبته. كما انه لم يعد من الممكن معالجة ازمة النظام في المجال الاقتصادي الاجتماعي الا بالقضاء على نظام «الاقتصاد الحر».

واكدت ان المواجهة ينبغي ان تكون شاملة على اساس برنامج وطني ديمقراطي غير طائفي وان تدار الامور في المناطق المحررة بما يعطي المثال عن مصداقية هذا البرنامج الذي يجب ان يتوجه ليس فقط إلى القوى الموجودة في هذه المناطق بل إلى القوى الموجودة في منطقة

سيطرة الانقلابيين والتي تعارض نهجهم اياً كان مستوى هذه المعارضة. ولا بد لنجاح هذا البرنامج من ايلاء الاهمية الكبرى لتأمين موجبات صمود الجماهير، لا بد من توفير المستلزمات الضرورية للحياة ومن السعي لتلبية المطالب الملحة للفئات الشعبية الكادحة، وتوفير كل متطلبات المعركة، واعلان التعبئة العامة لكل قوى الاحزاب والتنظيمات الوطنية والديمقراطية، والاستعداد العسكري في وجه محاولات التفجير العسكري من قبل الانقلابيين الذي يستندون إلى المساعدات العسكرية من قبل اسرائيل والعراق والاوساط الامبريالية والرجعية الاخرى.

واكدت اللجنة المركزية، إن المقاومة الوطنية اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي تحتل موقعاً متقدماً في صلب المواجهة الوطنية للانقلاب الانفصالي. فالواقع الانفصالي القائم يتغذى من الاحتلال الاسرائيلي ويستمد منه القوة. وبمقدار ما تتعزز ضربات ابطال المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الاسرائيلي وضد عملائه بمقدار ما يضعف دور العامل الاسرائيلي في لبنان ويفقد المشروع الفاشي من مقومات استمراره ونجاحه.

كما اكدت اللجنة المركزية، على الطبيعة الجبهوية للمواجهة الوطنية وامكانية تعدد اطر العمل الوطني وضرورة المرونة في العلاقة بين هذه الاطر. وركزت على الاهمية الكبيرة لتحالف الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية الملتقية حول برنامج جذري للتغيير الديمقراطي، والمصممة على خوض المواجهة من اجل احداث هذا التغيير الجذري.

وإلى جانب هذا الاطار، لاحظت وجود اطار اخر للعمل السياسي يضم في صفوفه عدداً من الشخصيات الرسمية يلتف حول حكومة الرئيس سليم الحص الشرعية، يعبر عن مواقف اطراف اساسية من البرجوازية اللبنانية التي تقف لاسباب عديدة وخاصة بها، ضد التقسيم وضد صهينة لبنان، وضد الحكم العسكري الفاشي.

واكدت اللجنة المركزية، على الطبيعة الجماهيرية الشعبية التي ينبغي ان ترتديها المواجهة الوطنية. فهذه المواجهة تنتصر أو لا تنتصر بمقدار ما تستطيع ان تعبىء الجماهير وان تستند اليها. وهنا تبدو اهمية قيام اللجان الشعبية في كل قرية وفي كل مؤسسة صناعية أو زراعية أو تعليمية أو ثقافية أو اجتماعية..

واكدت اللجنة المركزية اخيراً، بعد ان جددت الدعوة إلى قيام «حركة لبنانية من اجل الوحدة والتحرير»، بان مهمة التصدي للمشروع الانفصالي الفاشي الطائفي هي، إلى كل ما سبق، مهمة حزبية، بل أولى واهم المهام الحزبية إلى جانب مهمة النضال من اجل استكمال تحرير البلاد من الاحتلال الاسرائيلي وكجزء لا يتجزأ من هذه المهمة.

ان الجمهورية اللبنانية على مفترق خطير. فالتقسيم الذي ظل خطره يخيم على البلاد طوال سني الحرب الاهلية المديدة، قد تحول إلى واقع رسمي الان. وان كانت ظروف الحرب

الاهلية المديدة وما رافقها من ظواهر، بعضها خاص بها وبعضها عرفته كل الحروب المشابهة، قد ادى ربما، إلى بعض الغموض بالرؤية إلى طبيعة هذه الحرب واهداف كل من القوى المنخرطة فيها، فان هذه الاهداف اليوم هي في غاية الوضوح. فالقوى الفاشية، مستندة إلى قسم من القوات المسلحة، حاولت اغتصاب السلطة بواسطة انقلاب عسكري واضح، ولما فشلت دون اعتراف البلاد كلها بها انكفأت إلى المنطقة التي تسيطر عليها اساساً وهي تمارس نشاطها الانفصالي منها، في حين تسيطر الحكومة الشرعية على ثمانين في المئة من مساحة البلاد.

ان هذا الواقع يتطلب من اصدقاء الشعب اللبناني، من جميع القوى التي ايدته في وجه الغزو الاسرائيلي والمؤامرات الامبريالية والاسرائيلية والرجعية، من كل القوى التي تعز عليها قضايا الحرية والديمقراطية، وحقوق الانسان، ان تستمر في تأييدها لشعبنا ولقواه الوطنية الديمقراطية، وتستمر في تضامنها ومساندتها من اجل القضاء على هذه الحالة الانفصالية الفاشية واستعادة وحدة لبنان وضمان سيادته وتطوره الديمقراطي وحقوق الانسان فيه.

هل تحسنت معيشة العامل الامريكي؟

جورج كريكوريان(*)

ان التغيرات البنيوية في الاقتصاد الرأسمالي للولايات المتحدة الامريكية تركت اثراً عميقاً على وضع وتركيب الطبقة العاملة والحركة العمالية في البلاد. ويتلخص هدفها في تخفيض كلفة العمل وزيادة درجة الاستغلال بغية توفير ظروف انسب لتراكم رأس المال.

في بداية السبعينات حلت مرحلة الوتائر المتباطئة لنمو اقتصاد الولايات المتحدة، هذه المرحلة التي تميزت بافلاس نظام «بريتون - وود» وارتفاع الاسعار السريع للوقود وعجز الميزانية والميزان التجاري المتزايد وتفاقم التناقضات الامبريالية الداخلية وهبوط معدل الربح. وابتدأت منذ ذلك الحين العملية المضادة لتلك التي ظهرت في سنوات ما بعد الحرب: لم يرتفع مستوى معيشة العامل، بل أخذ على العكس من ذلك في الانخفاض. وفي الفترة الممتدة بين عام ١٩٧٢ وعام ١٩٨٧، انخفض دخله الاسبوعي المتوسط بنسبة ١٥ في المئة على أساس الحساب الفعلي. وانخفضت القدرة الشرائية الراهنة لاجمالي الاجر الاسبوعي إلى مستوى ما قبل ٢٧ سنة، (عام ١٩٦١). وعلى ما يبدو، فان الدخل المتوسط للشغيلة قد هبط إلى مستوى نهاية الخمسينات، اذا اخذنا في الاعتبار الاعباء المتزايدة للضرائب المفروضة عليهم[1].

لقد ترافق انخفاض الاجر الفعلي مع انخفاض مداخيل العائلة. واذا كان دخل

* عضو اللجنة الاقتصادية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الامريكية.

العائلة الاعتيادية قد تضاعف في المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٧٣، فانه قد انخفض منذ عام ١٩٧٣ حتى الآن بنسبة ٥ في المئة. وليس هذا الانخفاض كبيراً بالمقارنة مع انخفاض الاجور جراء التحاق عدد كبير من النساء بجيش العمل.

لقد تميزت الخمسينات والستينات بعائلة ذات عامل واحد. غير ان هذا الوضع أخذ في التغير في السبعينات. ان مستوى المعيشة الذي كان يضمنه في الماضي عامل واحد، قد تطلب في الثمانينات عاملين على الاقل. فمنذ ٣٠ سنة كان ٦٠ في المئة من جميع الرجال المتزوجين معيلين وحيدين لعائلاتهم. إلا ان هذه النسبة قد انخفضت في الوقت الراهن إلى ٣٢ في المئة. وثمة حوالي ٦٠ في المئة من جميع النساء المتزوجات اللواتي لهن أطفال دون ١٨ سنة يعملن في الصناعة وفي قطاعات أخرى. والادهى من ذلك ان مداخيل العديد من العائلات تتكون من أجور الأطفال أيضاً. فابتداء من عام ١٩٥٠ ازداد باستمرار عدد الاحداث الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ سنة و١٧ سنة والذين يذهبون إلى العمل، ويترددون على المدرسة في الوقت ذاته. وثمة ما يزيد على ٤ ملايين تلميذ من الصفوف العليا (٢٥ في المئة من العدد الاجمالي) انتسبوا إلى جيش العمل.

وقد ترافق تردي وضع الطبقة العاملة باعادة توزيع المداخيل في مصلحة الاغنياء. وفي مرحلة وجود ريغان في البيت الأبيض كان ازدياد مداخيل رأس المال يسبق كثيراً ازدياد اجور الشغيلة، على الرغم من اتساع التشغيل. ففي اعوام ١٩٨١ ـ ١٩٨٧ ازداد الحجم العام للاجور بنسبة ٤٩,٧ في المئة، بيد ان حجم المداخيل المذكورة والفوائد والريع قد ازداد بنسبة ١٤٢,٣ في المئة.

كما لا يجوز ان يغيب عن بالنا ان الطبقة العاملة ليست متجانسة. فالدخل الاسبوعي المتوسط لعائلات البيض يساوي ٥٧٨ دولاراً ولعائلات المنحدرين من امريكا اللاتينية ٤١٢ دولاراً لعائلات السود ٣٩٩ دولاراً.

ويعيش حوالي ١٥ في المئة من الامريكان في عائلات مداخيلها ادنى من خط الفقر الرسمي. وهذه أكبر نسبة منذ منتصف الستينات التي أخذت تنفذ فيها برامج الضمان الاجتماعي.

لقد تم انخفاض متوسط اجور الشغيلة الامريكان نتيجة التقلص الجماعي للتشغيل في الصناعة التحويلية، ولاسيما بين اعضاء النقابات. وجرى في الوقت نفسه ازدياد التشغيل في مجال الخدمات الأقل اجراً. وفي الفترة الممتدة من عام ١٩٧٣ إلى عام ١٩٨٥ تمت في القطاع الخاص تصفية ٢,٣ مليون فرصة عمل وايجاد ٩,٢ ملايين فرصة عمل جديدة. إلا ان كل فرصة عمل من التي صفيت كانت تعطي العامل ٤٤٤,٣ دولاراً في الاسبوع بالمتوسط، بيد ان كل فرصة عمل جديدة تعطي ٢٧٢,٤٩ دولاراً فقط.

واصبح انتشار التشغيل غير الكامل اتجاهاً مميزاً. ففي سنوات حكم ادارة ريغان كان عدد فرص العمل الجزئي يزداد بوتائر مضاعفة بالمقارنة مع ازدياد فرص العمل الكامل. ويعمل اليوم ١٧ مليون شغيل في دوام غير كامل.

ان التغيرات البنيوية في الاقتصاد، التي تجسدت في تقلص التشغيل في الصناعة التحويلية، انعكست على حياة ملايين الشغيلة. وفي المرحلة الممتدة من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٥ وجد ١١ مليون عامل انفسهم في الشارع نتيجة اغلاق المؤسسات. وبقي حوالي ٤٦ في المئة منهم عاطلين عن العمل أكثر من نصف سنة، أما اجر غالبية الذين استطاعوا ايجاد فرص عمل فاصبح أقل مما في الماضي.

كان المستوى المرتفع من البطالة يؤدي إلى انخفاض مستوى الحياة لانه كانت تتقلص امكانات الشغيلة في النضال من أجل رفع الاجور. وقد استطاع ارباب الأعمال ايجاد الايدي العاملة القليلة الاجر بدون عناء والتخلص من اعضاء النقابات.

ومنذ نهاية الستينات ظهر استشراء البطالة الطويلة الأجل، علماً بأن الحد الاقصى منها كان يرتفع دائماً مع كل دورة إقتصادية وتخطى في عام ١٩٨٢ العشرة في المئة. وعلى الرغم من ان المستوى الرسمي من البطالة يصل في الوقت الراهن إلى ٧ ملايين شخص أو ٧,٥ في المئة، فان العدد الحقيقي للذين ليس لهم عمل يصل إلى ١٢ مليون شخص أو ١٠ في المئة من اجمالي عدد العاملين. ومستوى البطالة بين السكان السود أعلى مما بين البيض مرتين.

ووراء المعطيات الوطنية العامة يختفي الفارق الكبير بين مستويات البطالة في مختلف المناطق. والمستوى الاعلى للبطالة يميز المراكز الصناعية حيث توجد نقابات الشغيلة الأكثر اتساعاً. فعلى سبيل المثال، تتجاوز البطالة في منطقة بيتسبورغ ٢٠ في المئة وفي تشيكاغو ١٥ في المئة، وذلك بعد مرور حوالي ست سنوات على بداية النهوض في الدورة الاقتصادية.

ومن العوامل الاساسية لانخفاض المداخيل الهجوم المباشر على الحركة العمالية عن طريق «تجارة التنازلات». حين دخل ريغان البيت الأبيض كان متوسط ازدياد الاجور بمقتضى العقود بين النقابات وارباب العمل يعادل ٩,٨ في المئة في السنة. وقد انخفض هذا المعدل إلى ٢ في المئة. وان العقود المعقودة عام ١٩٨٧ في المؤسسات الكبيرة للصناعة التحويلية لم تسجل ازدياداً في الاجور إلا بنسبة ٠,٢ في المئة. واذا اخذنا في الاعتبار ان التضخم المالي سيزداد في المرحلة المقبلة، حسب التنبؤات، بنسبة ١٠ ـ ١٥ في المئة، فان الاجور الفعلية ستهبط مجدداً بشكل حاد.

ان التفاوت الكبير بين ازدياد مداخيل رأس المال والاجور يظهر في الشركات الكبرى التي تبرز كقوة محركة للتغيرات البنيوية الاقتصادية. ويستفاد من معطيات مجلة «فورتشون»

ان ارباح ٥٠٠ شركة كبرى قد ازدادت، من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٨٧، من ٤١ في المئة إلى ٦٦ في المئة على الرغم من ان الحجم العام للمنتوج الذي باعته هذه الشركات والتشغيل في مؤسساتها قد انخفض. ويدل ذلك على ان التحولات البنيوية اصابت الهدف، اذ توقف انخفاض معدل الربح، الذي ابتدأ في السبعينات.

وجرت التحولات على شكل اندماج الشركات واستيلاء بعضها على البعض الآخر واغلاق المؤسسات وابرام العقود مع المقاولين الفرعيين، والافلاسات... الخ. واسفرت كل هذه الهزات عن نتيجة نهائية هي تقلص التشغيل في الشركات الكبرى. كما اثر في ذلك ازدياد انتاجية العمل في الاتحادات الاحتكارية الرئيسية. وتزداد هذه الانتاجية سنوياً بنسبة ٥ ـ ١٠ في المئة بالمتوسط في الفروع التي تجري التغيرات البنيوية فيها بقوة كبيرة (ينفق ارباب العمل في الوقت الحاضر ١٧ مليار دولار سنوياً على وسائل الاتمتة، ويزداد الاقبال عليها بنسبة ١٠ في المئة سنوياً).

ان أكبر الشركات هي التي تتحكم بمؤشرات دفع الاجور وظروف العمل. ولكون التغيرات البنيوية والتسريحات في أكبر الشركات مستمرة، فان الاقتصاد يتعرض للضغط باتجاه تخفيض الاجور.

ومن الأشكال الرئيسية للتغيرات البنيوية في الاقتصاد اندماج الشركات، الذي يؤثر سلباً في وضع من يعملون في مؤسساتها. وحين تعيد الشركة تنظيم نشاطها في سياق الاندماج يفقد عدد كبير من العمال عملهم أو يضطرون إلى الموافقة على تخفيض اجورهم والحد من التسهيلات التي كانت تقدم لهم، كي تستطيع الشركة ان تفي بالتزاماتها الائتمانية. ان عملية الاستيلاء على الشركات تعرض الاتفاقات التي عقدتها النقابات للالغاء: يعلن الاسياد الجدد انهم غير مرتبطين بالعقد الجماعي الذي عقده سلفهم وغالباً ما يفلحون في تخفيض الاجور بشكل ملحوظ أو يغيرون كل ملاك العمل والمستخدمين.

لقد مارست التغيرات الاقتصادية البنيوية تأثيراً مهلكاً جداً في وضع الشغيلة الاعضاء في النقابات، فالاتحادات الاحتكارية الامريكية، اذ توجه الضربة الاساسية إلى الحركة النقابية تتوخى تخفيض مستوى معيشة جميع الشغيلة.

لقد أدى الهجوم على النقابات إلى تقلص عدد اعضائها إلى نسبة ١٧ في المئة من اجمالي عدد العاملين بالاجرة، أي إلى نصف ما كان عليه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. وعلى امتداد اغلب سنوات ما بعد الحرب كان عدد اعضاء النقابات الاجمالي يزداد، بيد ان جيش العمل كان ينمو بوتائر اسرع. وهكذا، فان نسبة اعضاء النقابات بين الاجراء كانت في انخفاض. واعتباراً من منتصف السبعينات، حين انفجرت الأزمة البنيوية، اخذ عدد اعضاء النقابات في الانخفاض من حيث الارقام المطلقة أيضاً، ونزل من المستوى الاعلى الذي كان ٢٢ مليون شخص إلى ١٦,٩ مليوناً. وتكمن اسباب ذلك

في مقاييس التغيرات الاقتصادية المشار اليها اعلاه أو في الاجراءات التي اتخذتها ادارة ريغان ضد العمال. وهكذا فان الاتحادات الاحتكارية والدولة قد وحدت جهودها من أجل تقويض قوة الحركة النقابية.

غير ان الطبقة العاملة لم تستسلم لهذه العملية. وتتصاعد في الحركة النقابية المقاومة والسعي إلى الاستقلال، عن طريق النضال ضد نهج الادارة ومن أجل عزل السياسيين ذوي الآراء اليمينية المتطرفة.

وتسعى النقابات إلى استخدام أشكال جديدة للنضال، منها الحملة «من أجل العمل في ظل العدالة». وتستهدف هذه الحملة اعادة الوحدة وروح الكفاحية الطبقية، اللتين كانتا في مرحلة تنظيم واستقرار «مؤتمر النقابات الانتاجية». وتشمل هذه الحركة غالبية الاتحادات النقابية وحلفائها ـ المناضلين من أجل الحقوق المدنية والسلم وحماية البيئة، وكذلك ممثلي الحركات النسائية والدينية. واتجاههما الاساسي هو تعزيز التضامن مع المضربين ومن يناضلون بأشكال أخرى في سبيل توسيع حقوق الشغيلة وتحسين ظروف حياتهم.

ان السياسة العسكرية التي تمارسها الادارة الامريكية قد القت على عاتق الاقتصاد عبء الديون الهائلة وادت إلى عجز الميزان التجاري. ويبدو ان الحكومة الجديدة ستواجه عدم استقرار اقتصادي ومالي متزايد. وقد جاء افلاس البورصة في تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٨٧ وكأنه ينذرنا بان ارث «الاقتصاد الريغاني» سيكلف غالياً. كما انه من الواضح ان الصراع الطبقي سيشتد في ظروف عدم الاستقرار. ان الحركة النقابية مصممة على بذل كل شيء من أجل الا تتحمل الطبقة العاملة اعباء الأزمة المقبلة.

(١) ان كل الارقام والحسابات الواردة هنا، ما عدا المتحفظ عليه بشكل خاص، تعتمد على المعطيات الاحصائية لحكومة الولايات المتحدة، التي نشرتها وزارة التجارة ووزارة العمل.

سبعة لقاءات في بودابست

القضايا المجرية من وجهات نظر مختلفة

ألين جيلر (*)

منـذ ان قرر حزب العمال الاشـتراكي المجـري عام ١٩٥٦ التخـلي عن «النموذج الستاليني» وطرح مفهوماً خاصاً لبناء الاشتراكية يقوم على رفض النزعة الارادوية في السياسة ورفض المركزية الشمولية في الاقتصاد، ابدى الشرق والغرب كثيراً من الآراء المتناقضة احياناً كل التناقض في طبيعة الاصلاحات الجارية في هذا البلد. ولكن، مهما اختلفت الآراء في هذا الصدد، فلابد من الاعتراف بشيء بديهي: لقد سبقت المجر نحو مطلع السبعينات معظم البلدان الاشتراكية من حيث مؤشر هام مثل مستوى المعيشة. وحتى اليوم يعتبر بعض الضيوف القادمين من هناك متاجر بودابست من «المعالم» الرئيسية لعاصمة الجمهورية بمعنى معين. إلا ان المجريين انفسهم قد رأوا منذ زمن بعيد وراء واجهات المتاجر ذاتها اتجاهات غير مرضية بالنسبة لهم تنعكس، أول ما تنعكس، على اسعار السلع. أما الخبراء فينظرون نظرة اوسع ويصفـون الـوضـع في البلاد لا على اساس الاسعار فحسب، بل وبازدياد الديون الخارجية وانخفاض الاجور الحقيقية وظهور البطالة البنيوية أيضاً.

ويرى العلماء الاقتصاديون المجريون ان هذا التطور للاحداث قد تحتم في المرحلة التي كانت البلاد فيها تستهلك أكثر مما تنتج. ويكمن سبب خطير آخر للمصاعب الآنية في كون

* من العاملين في المجلة.

قيادة الحزب والدولة قد استصغرت التأثير الذي يمكن ان تمارسه في الاقتصاد الاشتراكي التغيرات الحاصلة في الاقتصاد العالمي. كما ان انعدام ايديولوجيا مذهبية متكاملة للتجديد ترك أثره أيضاً، الأمر الذي أدى إلى تجميد نظام المؤسسات السياسية وعجزها أمام المهام التي يطرحها العصر.

«فكيف العيش بعد الآن؟» ـ قد يكون هذا السؤال من الاسئلة المطروحة هنا أكثر من غيرها. وبالطبع، تتنوع الاجابات عنه. غير انني اعتقد انه من الافضل ان نستمع إلى رأي اعضاء في الحزب الحاكم، وهم الذين ينبغي عليهم، حسب تعبير «نيبساباداشاغ»، ان يطرحوا آراءهم بصراحة ويتناقشوا ويبحثوا عن افضل الطرق لحل المعضلات.

ان لم يكن الآن، فمتى؟

بعد مرور اشهر على ارفضاض الكونفرنس الحزبي المجري العام(1) الذي اعترف بمسؤولية اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري عن وضع الامور في البلاد، قال لي الاكاديمي ميخاي شيمائي: «كنت انا وعدد كبير من زملائي نتنبأ بالاوضاع الراهنة وننبه اليها حكومة الجمهورية وقيادة حزب العمال الاشتراكي المجري». يشغل شيمائي منصب مدير معهد الاقتصاد العالمي العائد لنظام مؤسسات اكاديمية العلوم المجرية، وهو يشارك منذ سنوات طوال، بشكل مباشر، في صوغ السياسة الاقتصادية للدولة. لا ينفي ان العلماء يتحملون المسؤولية عن مصاعب اليوم أيضاً، ولكن فقط بالدرجة التي قبلت بها قيادة الجمهورية ـ أو على العكس، رفضت ـ نصائحهم وتوصياتهم.

واستطرد الاكاديمي قائلاً: على كل حال، لم يوضع في الاعتبار دائماً في القرارات النهائية التأثير الذي تمارسه في الاقتصاد المجري التغيرات الحاصلة في الاقتصاد العالمي. ولذا اتسمت اصلاحات العقود الاخيرة بطابع نصفي ومتعرج. ويرى العالم الاقتصادي ان الاحتراز والسعي إلى تجنب النزاعات وكذلك المخاوف المبالغ فيها بعض الشيء على وحدة المجريين الوطنية قد اعاقت العمل بمزيد من العزم والاتساق.

ومع ذلك لم يتسن تجنب المضاعفات. أما الوحدة الوطنية فلم تتضرر بالاساس، كما يقول شيمائي. إلا ان أغلبية المواطنين غرقت تماماً في انتظار سلبي، وهم يراقبو القادة الجدد باهتمام. ويرى الاكاديمي ان الحكومة لا تستطيع الاعتماد على دعم المجتمع ومشاركته في تحقيق برنامج الاستقرار إلا اذا سارت الامور على ما يرام.

أما الآن فلا تزال خيبة أمل المجريين من السياسة السابقة شديدة نسبياً. وتشهد جريدة «نيبساباداشاغ» على ان مخاوف معينة توجد كذلك في المجتمع ازاء التحولات الجارية وان ثمة

تمسكاً بالمظاهر المألوفة ونمط الحياة القائم. وفي الوقت نفسه يرغب الناس في تغيرات، إلا انهم ينتظرون شيئاً أكبر واسرع بكثير مما يجري في الظروف الراهنة عموماً.

ان هذا الشخص الذي «يرسم» عن طيبة خاطر، مثل هذه الصورة التي تفتقر إلى الالوان الزاهية بعض الشيء، والذي يسمي نفسه متفائلاً بعد انشغاله على امتداد خمس عشرة سنة بقضايا تطور الاقتصاد العالمي، ان هذا الشخص على يقين راسخ من ان الاشتراكية في المجر ستتخلص من الورطة عاجلاً أم آجلاً. ويقول شيهاتي: «اذا كانت الموجه الحالية من الاصلاحات الاقتصادية والسياسية الرامية إلى ايجاد اقتصاد فعال ومرن ونظام سلطة اكثر ديمقراطية لن تؤدي إلى النتائج المرتقبة، فانها ستتحقق في سياق التحولات اللاحقة التي لا مفر منها».

بيد ان رأي السياسيين يتلخص في الصيغة القائلة بان اسس النجاحات المقبلة أما ان ترسى الآن وأما تستحيل. ولكن هذا القول ليس حجة البتة بالنسبة للعالم، وهو حتى الآن يشير بارتياح إلى ان الحكومة تعمل في الاتجاه الصحيح وان الاختيار الذي تم ليس، مطلقاً، ثمرة مائعة للتصويت الاجماعي للمطيعين الواجمين ذوي التفكير الرتيب المتماثل، بل هو نتاج تبلور بعد اصطدام الآراء ووجهات النظر. ويلاحظ شيهاتي الذي انتسب إلى حزب العمال الاشتراكي المجري منذ ٤٢ سنة خلت ان اناساً من ذوي التفكير المستقل والاصلي يضطلعون اليوم في الحزب، بما فيه قيادته، بدور ملحوظ ومتعاظم. وهذا الواقع يعطيه الأمل الجدي في ان جهود الحزب الحالية بالذات والرامية إلى اضفاء دينامية على سير المجتمع إلى الامام ستتكلل بالنجاح.

هل من السهل ان تكون شيوعياً؟

ان تشابا بانغالفي البالغ من العمر ٣٤ سنة متشائم جداً في تقديراته حول امكان تحسن الامور بسرعة. لقد تعارفنا في معهد العلوم الاجتماعية التابع للجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري، حيث يدرس، سوق الايدي العاملة، في اطار مجموعة من الباحثين في «العلاقات المتبادلة بين الاقتصاد والمجتمع». وقد اعطى في غضون بضع سنوات دروساً في الاقتصاد السياسي في احدى مؤسسات التعليم العالي. ومن الواضح بالنسبة له ان سمعة هذا العلم بشكله الذي تميز به ومضمونه الذي لم يتغير حتى اليوم قد انحطت في رأي المجتمع الذي ينبغي ان يخدمه، وانه لا يعتبر سوى دفاع عن آراء سياسية معينة، والانكى انها ليست صحيحة على الدوام.

ولا شك، ان في هذا القول تحدياً واضحاً لبعض اترابه، ان لم يكن للاكاديمي شيمائي. ويلمح بانغالفي، بشكل مباشر، إلى انه، لو انطلق علماء الجيل الأكبر، عند صياغة نظرية الاقتصاد السياسي للاشتراكية، من التاريخ الفعلي للاقتصاد والمجتمع عموماً، ولو اعتمدوا على تلك الاشكال للعلاقات الاجتماعية، التي كانت البشرية تتقنها على امتداد قرون في التطبيق العملي، لكانت قد اختلفت اشياء كثيرة عما هي عليه اليوم.

ولا يمكن ان نسمي هذا الباحث الذي انتسب إلى حزب العمال الاشتراكي المجري عام ١٩٨٢ ممثلاً نموذجياً لجيل الشيوعيين المجريين الشباب إلا تجاوزاً، لسبب بسيط هو انه من المشكوك فيه ان يكون لهذا النموذج وجود عموماً. ولا يقدر عضويته في الحزب، بالضرورة كعنصر ايجابي في سيرة حياته. وكان انتسابه إلى الحزب شيئاً طبيعياً يتلاءم ومعتقداته تماماً.

ومن المحتمل جداً، ان بانغالفي من اولئك المنتسبين حديثاً إلى الحزب، الذين كتبت عنهم «نيبساباشاغ» مرة تقول انهم يسترشدون بهدف واحد، إلا ان رؤيتهم لامكان حل المسائل الناشئة ليست دائماً واحدة. كما تكون لديّ انطباع بان المبدأ البراغماتي متمكن منه نسبياً. ولا يتصور انه قد تنشأ ظروف يمكن ان ترضي الانسان السليم التفكير من كل النواحي. والحال، انه يعتبر نفسه من هؤلاء الناس.

ويبدو ان ميخاي خيلينبائي العامل الاساسي في لجنة مدينة بودابست لحزب العمال الاشتراكي المجري، وهو من اتراب بانغالفي، لا ينقصه التفكير السليم ايضاً. لقد قال لي ان كون المرء شيوعياً اليوم في المجر ليس من الامور السهلة جداً، حتى ولو بسبب فقدان الحزب بشكل ملحوظ للنفوذ الذي كدسه وليس من السهل عليه استعادته.

ذلك أمر خطير إلى حد ان ٤٠٧٩٦ عضواً في حزب العمال الاشتراكي المجري لم يستطيعوا أو لم يرغبوا في اظهار رجولتهم بان يتحملوا في المستقبل ايضاً، مع جميع الشيوعيين، اعباء المسؤولية الصعبة عن الماضي وعن المستقبل على حد سواء. فقد تركوا الحزب اثناء حملة تبديل البطاقات الحزبية في مطلع عام ١٩٨٨. ويقول خيلينبائي ان ثمة في الحزب اناساً مختلفين. فيه، مثلاً، من يهتفون «بحياة فلان» و«بمناسبة من المناسبات ويستخدمون بحذق وضعهم الاجتماعي لمصلحتهم الخاصة وغير النزيهة في احيان كثيرة». ويمكن ايجاد امثلة على ذلك في مواد الكونفرنس الحزبي الذي اشار إلى ان لبعض اعضاء الحزب مداخيل لم تكتسب بالعمل وانهم يضاربون ويبذرون الملكية الاجتماعية ويسعون إلى الحصول على امتيازات لا يستحقونها. وان خيلينبائي على يقين من ان عدد الوصوليين والانتهازيين في الحزب لا ينحصر البتة باولئك الشيوعيين البالغ عددهم ١٣٤٠ الذين استرجعت منهم بطاقات العضوية اثناء حملة تبديل الوثائق الحزبية.

إلى أي حد يعتبر محدثي نفسه مفيداً لحزب العمال الاشتراكي المجري؟ ان الرأي الذي

ادلى به في هذا الصدد ليس ذا مدلول واحد. إلا انه يتضمن من الامانة والسعي إلى التعبير عن الواقع أكثر مما في الاجابة المختزلة بـ «نعم» أو «لا». وان هذا الممثل للستة آلاف عامل في الجهاز الحزبي لا ينسب نفسه إلى الناس البارزين، غير انه على يقين من انه يستطيع تلبية متطلبات القيادة تماماً. أما متطلبات الشيوعيين الاعتياديين ازاءه، بوصفه ممثلاً للجنة المدينة، فتنفيذها أكثر صعوبة، ذلك انهم يريدون منه ان يزيد زياراته للمؤسسات وان يقف إلى جانب العمال دائماً في حالات النزاع.

كما ان خيلينبائي على يقين من ضرورة العمل الذي يمارسه. وهو يرى مهمته الرئيسية في ان يساعد المنظمات الحزبية على التخلص من «الفعل الانعكاسي» رداً على ايعاز خارجي، أي المساعدة على التعلم على القيام بالعمل بدون انتظار ايعاز من فوق. ويعتقد انه يجب على الشيوعيين ان يتخلوا عن الامتثالية غير المزعجة ولكنها غير المقبولة اطلاقاً في الظروف الراهنة في العلاقات مع ادارة المؤسسة. وانه واثق بانه لا يمكن بعث سمعة الحزب واعادة قدرته على الحركة والنشاط إلا بتحسين وتنويع عمل المنظمات الحزبية القاعدية.

وعلى هذا النحو تقريباً يفكر كذلك البيرت اوروش سكرتير المنظمة الحزبية في مؤسسة «لانغ» لصناعة الماكينات. إلا انه يعتقد انه كي يستطيع الحزب ان يؤكد، بشكل مقنع بما فيه الكفاية، حقه في منزلة اجتماعية سامية، لابد من مدة أطول بكثير مما قد يبدو في الوهلة الأولى. ويبني السكرتير استنتاجاته على اساس وقائع الحياة القريبة منه. فحتى عام ١٩٨٥ كان الشيوعيون في المصنع يضمون إلى صفوفهم من ١٠ إلى ١٥ شخصاً سنوياً. أما الآن فان عدد الراغبين في الانتساب إلى الحزب قد انخفض إلى النصف تقريباً.

انه لواقع يلفت النظر. ولكن، اذا وضعنا في الاعتبار ان حوالي ٢٥٠ عاملاً في «لانغ» (٢٥ في المئة تقريباً من مجمل العاملين) قد انتسبوا إلى حزب العمال الاشتراكي المجري، فان انخفاض النسبة المئوية لرفد المنظمة الحزبية السنوي باعضاء جدد لا يبدو مأساوياً. ويعتبره اوروش عقاباً من نوع خاص على ما يشبه هوس الركض وراء النسبة المئوية العالية في الماضي.

ان السكرتير الذي لا يميل، على ما يبدو، إلى مناقشات فارغة، يشاطر لاسلو بودا مدير المؤسسة رأيه تماماً في ان المجريين قد شبعوا من الحديث عن مصاعبهم. فقد آن الأوان للاعمال الحازمة. ومع ذلك فان اوروش لا يستطيع الموافقة على ما يقوله مدير «لانغ» من انه تم ضياع الكثير من الوقت لاحراز نجاح كبير.

متى يمكن تسريح المدير؟

ان بودا واحداً من القادة القلائل الذين لم تنتخبهم جماعة العاملين إلى هذا المنصب في ظل العمليات الديمقراطية الواسعة الجارية اليوم، بل جرى تعيينهم وهو يحكم على الاوضاع

من منطلق رجل الاعمال. ومن الارجح انه يتميز بهذه الصفات، مادام اختيار الوزارة قد وقع عليه. لقد جاء بودا إلى المصنع عام ١٩٥٤، وقبل تعيينه في منصب المدير كان يعمل مصمماً عاماً. وبودا يعتقد أيضاً ان شخصاً آخر لم يكن ليستطيع، لو عين محله، ان ينفذ المهمة بنجاح، كما يفعل هو. واذ اراد المدير ان يكون موضوعياً حتى النهاية، اضاف ان الاوضاع في المصنع الذي اثارت مؤشراته الاقتصادية منذ ثلاث سنوات الحديث عنه بوصفه أحد المصانع الاولى المرشحة للافلاس في المجر الاشتراكية، تترك مجالاً واسعاً لتمني الافضل. لقد بلغت ديون المؤسسة ٤٨ مليون فورينت. ولذا لا تبقى في صندوق المصنع من كل مئة فورينت (تتعلم جماعة العاملين مجدداً اكتسابها) إلا ١٠٠ فورنتات.

وهكذا، لا يزال المصنع يعاني مرضاً خطيراً. وستتحسن الامور اسرع بكثير، في رأي المدير، اذا: أ ـ ازداد تصدير المنتوج. ب ـ تم تخفيض ملاك العاملين في المؤسسة.

ويبدو ان الاسلوب الاول لتحسين الامور في بلد تشكل دورته التجارية الخارجية ٦٠ في المئة من الدخل الوطني يفرض نفسه. غير انه يتطلب جهوداً معينة، اذا وضعنا في الاعتبار ان مستوى الانتاج والتكنولوجيات للصناعة المجرية، حسب معطيات بيريتس وزير هذا الفرع، يتأخر في الغالب عن المؤشرات العليا بسنوات، بل واحياناً بعقد أو عقدين من السنين. ولكن الصحيح ايضاً ان «لانغ» لا يزال في عداد المصانع التي تستطيع إلى هذا الحد أو ذاك مباراة المنافسين الاجانب.

وليس من السهل تثبيت الوضع الراهن، ناهيكم عن دفع الامور إلى الامام. ولابد من اموال لتحقيق ذلك، وينبغي توفيرها من الاحتياطات الداخلية. ويعتبر بودا من هذه الاحتياطات، قبل كل شيء، الجهاز الضخم لادارة المصنع. ولا يمانع المدير في تسريح هذه المجموعة التي تشكل ثلث جميع العاملين، بل وفي تسريح بعض العمال الذين لا يرضيه تأهيلهم. إلا انه يخاف من عدم ايجاد من سيحلون محلهم. والحال، ان العاملين المهرة يفضلون العمل في التعاونيات والمؤسسات الخاصة والمختلطة التي تزداد عدداً. وتدفع هذه المؤسسات اجوراً افضل، كما يمكن فيها كسب عملة صعبة، ولكن الامر لا يقتصر على المال. فلا تجذب الناس كثيراً آفاق الحصول على الرزق اليومي مثلاً، بمساعدة مكبس الحدادة من صنع عام ١٩٠٨، المركب في إحدى ورشات «لانغ».

ويؤكد بودا ان مثل هذه الاوضاع تسود في معظم مؤسسات صناعة الماكينات في المجر، اذ تركت «الايدي الفائضة» الفرع منذ عشر سنوات.

ويبدو ان المدير يحكم على قضية التشغيل من زاوية تختلف بعض الشيء عن وجهة نظر المجريين الذين يعتقدون ان ايجاد فرص العمل في البلاد يصبح اكثر صعوبة باطراد. وبالرغم من ذلك، لا ينكر الطابع الحاد للقضية، لأن التجديد البنيوي للصناعة يتطلب تضحيات

معينـة، مهـما قيل. ومع ذلك، يشير بودا إلى ان الناس يغيرون اماكن عملهم في الغالب بمبادرتهم الخاصة.

وتشهد على ذلك أيضاً معطيات الصحيفة الاسبوعية «خيتي فيلاغارداشاغ». ويستفاد منها ان التسريح بمبادرة من الادارة، بما في ذلك نتيجة الاخلال بالنظام وغيره من الاسباب، لا يحدث إلا في ١٠ ـ ١٢ في المئة من الحالات. أما التسريحات المتعلقة بتخفيض الملاك والنقل المنظم للايدي العاملة فلم تشمل منذ عام ١٩٨٥ إلا حوالي واحد في المئة من العاملين.

على كل حال، كما يثبت مدير «لانغ»، ان الحديث يدور عن الناس. ولذا يعتبر فقدان العمل لسبب من الاسباب حتى لمدة شهر أو شهرين، وان كان ذلك مع دفع الاجر المتوسط (وهي أمر ضروري، اذا تم التسريح بمبادرة من الادارة)، يعتبر مأساة شخصية خطيرة بالنسبة لأي شغيل نزيه. وما دامت الأمور على هذا النحو، فيجب ـ بدلاً من الاحاديث العقيمة عن وجود البطالة أو عدم وجودها في البلاد ـ الانكباب مباشرة على البحث عن وسائل وقاية، أي تدارك القضية ذاتها، التي تهدد بان تشمل في المستقبل القريب حوالي ١٠٠ الف شخص.

وفي سياق الحديث عن ذلك يؤكد بودا انه لا يعتبر نفسه أيضاً في مأمن من منغصات من هذا النوع. ومع مرور الزمن سيقرر مصيره بالتأكيد، مجلس المؤسسة أي الهيئة الانتخابية التي تتألف من ممثلين للادارة ومندوبين عن العمال، ولا شك، ان الناس سيكفون عن الثقة به، اذا بقي المصنع مع مرور الزمن في وضع اصعب كالسابق. ولكن حتى في حالة النجاح قد يتضرر العمال: مثلاً، انخفاض الاجور أو تردي ظروف السكن. وفي هذه الحال أيضاً يمكن للمجلس تماماً ان يتخلى عن خدمات المدير.

ويرى بودا انـه مع تنظيم مجالس المؤسسات وتحديد وظائفها لم يصل التفكير حتى النهاية. مثلاً، في الظروف الراهنة لا حاجة مطلقاً إلى مثل هذا المجلس، اذ انه لا تتوفر له الصلاحيات الضرورية ولا الوقت من أجل اتخاذ قرارات صحيحة تصلح للمستقبل. كذلك ثمة احتمال ان جماعة العاملين ستعتمد في الظروف الحرجة البحث عن فوائد آنية، خلافاً للمصالح الطويلة الأمد. ويقول بودا: «ان كل المسؤولية عن مصير المؤسسة تقع اليوم في الاساس على عاتقي، وذلك صحيح عموماً. ولا أريد ان يحكم بعد فترة ما اذا كنت قد وفيت بها أم لا اناس لا يستطيعون الآن، بل ولا يرغبون في مشاطرتي هذه المسؤولية».

الاضراب كحجة من حجج الحوار

ويوافق لايوش موليز رئيس القسم الاقتصادي لمجلس النقابات المجري العام على ان فكرة تأسيس المجالس في المؤسسات كانت مبكرة بعض الشيء. ويرى انه سيكون من الممكن

حل هذه المسألة بطريقة أخرى حين ستبلغ البلاد مستوى أعلى من التطور السياسي والاقتصادي. بيد انه في الظروف الراهنة، اذا سلكنا طريق اشاعة الديمقراطية في الادارة فقط، لن نستطيع جعل عمل المؤسسات فعالاً. ويتطلب الوضع مديرين حازمين يعرفون عملهم جيداً. وينبغي ان يكونوا قادرين، اذا تطلبت ذلك مصالح الجماعة الطويلة الاجل، على اتخاذ قرار لا يرضي الجميع في الوقت الحاضر.

كما يرى موليران المجالس لا تنخرط تماماً، في الظروف العادية أيضاً، في البنيان القائم لادارة الانتاج، بل وتزعزعه احياناً بشكل مباشر. وتفيد الصحف بانتظام ان جماعات العاملين ترفض اعادة انتخاب المديرين الذين حققوا نتائج ممتازة. وسبب مثل هذه القرارات غير المنطقية في رأي غير المعنيين يكمن أما في نفور بعض اعضاء المجلس من القادة المتشددين أو في وجود مصالح خاصة، فئوية. ولا يسر الشخصية النقابية اعتياد المجالس رفع اجور المديرين غير المبرر. وثمة انطباع بان قادة آخرين من اعضاء المجلس يحاولون ايجاد سابقة عن هذا الطريق لرفع اجورهم في المستقبل أيضاً.

يرى موليران مفهوم البيروقراطية «لا يدخل اليوم في الاطار الكلاسيكي». فقد تغلغل هذا المرض في الوسط العمالي بشكل عميق. وان الاوان للتأمل الجدي في اسباب مثل هذه الظاهرة المحزنة. أما البيروقراطيون من الطراز «التقليدي» فيصفهم محدثي بكونهم اشخاصاً غير صالحين لتنفيذ المهام المعاصرة. واذ يتحدث موليرعن نفسه، يلاحظ قائلاً انه وان كان في عمله شيء من تحبير الاوراق، فما ذلك إلا نتيجة سيل من شتى التعليمات والاحكام والوثائق المعيارية التي ترسلها هيئات الدولة للتنسيق.

ويعارض القسم الاقتصادي لمجلس النقابات، بحزم، مثل هذه الممارسة ومثل هذا التأويل لمهام الهيئات النقابية واهدافها. والافضل ان لا تهتم مباشرة إلا بالتمثيل والدفاع عن مصالح الشغيلة. أما قضايا توظيف الرساميل أو، مثلاً، التجارة الخارجية فيجب ان لا تكون من صلاحيات جهاز المجلس. وبما ان ذلك لا يزال احتمالاً بعيداً، لا يمكن لموليران يكون راضياً عن نتائج المصلحة التي يعمل فيها. وفي الاساس يتلخص جوهر النقد من الاسفل بحق مجلس النقابات المجري العام، في كون النقابات تسير في ركاب الحكومة التي تحاول حل المعضلات على حساب مصالح الشغيلة، هذه المعضلات التي تقع مسؤولية نشوئها عليها هي بالذات.

ويؤكد شاندر ناد السكرتير العام لمجلس النقابات المجري ان الامور جرت على هذا النحو إلى حد ما حتى الآونة الأخيرة. أما اليوم فمثل هذه الآراء بعيدة عن الحقيقة. ان العلاقات المتبادلة بين الحكومة والنقابات لا تتكون بشكل بسيط البتة. ولا تستطيع تخفيف التناقضات القائمة منذ فترة إلا وثيقة قانونية مناسبة تحدد حقوق الاطراف وواجباتها. ولا يجوز

مطلقاً تأجيل صياغتها واقرارها. وذلك قبل كل شيء - كما يقول هذا العضو في اللجنة المركزية لحزب العمال الإشتراكي المجري والبالغ من العمر ٤٢ سنة - لانه لم يسبق ان احتاج الحزب والدولة تأييد النقابات مثلما يحتاجه اليوم.

واذ يؤكد ناد ضرورة وفاء الحركة التي يترأسها لقيادة البلاد، يتمسك في الوقت نفسه بالرأي القائل انه ينبغي على النقابات ان تكون مستعدة لاصطدام اخطر بين الآراء في سياق النقاش مع هيئات الدولة والاقتصاد. علماً بانه يرى من الطبيعي ان يتمتع الشغيلة بالحق في ان يستخدموا كذلك عند الضرورة حجة تأكدت صحتها تاريخياً مثل الاضراب. ولا يمكن، بالطبع، ان يكون مثل هذا الاسلوب للحوار هدفاً بحد ذاته. إلا انه يمكن تماماً بهذا الاسلوب، كما يقول السكرتير العام لمجلس النقابات المجري، تعجيل عمليات التجديد التي بدأت في المجتمع.

ان ناد ممثل لجيل يدرك كل خطورة الاوضاع الناشئة، وله خبرة سياسية كافية كسبها في العقد الاخير، كما له عقدان من العمر النشيط، على الاقل، حسب تقديراته الشخصية. ويعتبره الكثيرون في المجر مصلحاً يتوخى التغييرات بحماسة. فهو يدعو، مثلاً، إلى احلال المبدأ المهني محل المبدأ القطاعي في التنظيم، لأن الجهاز بشكله الحالي يهتم، قبل كل شيء، بمصالح القطاع الذي يرتبط بقيادته مباشرة.

وفي الهيئات المركزية لمجلس النقابات المجري العام لا يفكر الجميع مطلقاً مثل ناد. والكثيرون يرفضون حتى الآن ان يضعوا في الاعتبار ان المجتمع الاشتراكي يتميز هو أيضاً بعلاقات سلعية نقدية تفترض بنية سياسية واقتصادية معينة. ويقول محدثي ان مصالح العاملين والدولة متماثلة دائماً بالنسبة لهؤلاء الناس. ولكن ذلك ليس صحيحاً. ولذا يجب في ظل الاشتراكية أيضاً ان تمثل مصالح الشغيلة نقابة قوية ونافذة تتمتع بحقوق واسعة.

وعلى ما يبدو ان قادة المجتمع المجري الآخرين، يملكون ثقة كافية بالنفس وبمستقبل البلاد. إلا ان هذا الواقع بحد ذاته لا يضمن تحقيق الاهداف المطروحة اليوم - حيث لم يعد من الممكن، كما اشار كاروي غروس السكرتير العام لحزب العمال الاشتراكي المجري، ان تقاد حركة الجماهير من فوق. فمن أجل تجديد الاشتراكية لابد من ان يشارك الشعب المجري، بأكثر ما يمكن من الاهتمام، في تقرير مصيره.

(١) جرى الكونفرنس الحزبي المجري العام في أيار (مايو) عام ١٩٨٨ - المحرر.

تقاليد ثورة اكتوبر نصاً وروحاً

مايكل أوريوردان*

عند الحديث عن ثورة اكتوبر لا استطيع ان أكون غير متحيز حين يدور الحديث حول حركة انضوي اليها منذ أكثر من نصف قرن. وتعتبر ثورة اكتوبر بالنسبة لي، أنا المولود في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧، واقعة من وقائع سيرة حياتي وحدثاً من احداث مصيري الشخصي.

أليس ذلك سبباً لكوننا، شيوعيي الجيل الأكبر، راسخين إلى هذا الحد ولا نعرف الهوادة في الدفاع عن تقاليد اكتوبر؟ ألا يعود الرسوخ في موقفنا إلى اننا سنضطر، في غير هذه الحالة، إلى ان نشكك في معنى حياتنا السابقة، اذا لم نقل اعادة النظر فيها كلياً؟ وبالطبع، هذا أحد الاسباب ولكنه ليس السبب الرئيسي. ولديّ كل المبررات لاقول، نيابة عن جيلي من الثوريين، ان ما يبرر الاخلاص لقضية اكتوبر ليس الطريق الذي قطعناه فحسب، بل وكذلك وقائع أخرى لها وزنها تتجاوز بعيداً المجال الذاتي. ولو لم يتغذَ هذا الاخلاص على الدوام من الحياة ذاتها ومن ممارسة الصراع الطبقي ومن الحركات الاجتماعية التقدمية لكانت قيمته ضئيلة.

* الرئيس الوطني للحزب الشيوعي الايرلندي.

عرض النتائج

أريد ان أقول لمن يزعمون ان اكتوبر قد استنفذ امكانات التأثير في التطور العالمي، وان افكاره لا تعيش إلا على شكل احكام مسبقة في الرؤوس العنيدة للارثوذوكسيين من عصر الكومنتيرن ما يأتي: ألتفتوا حولكم وانظروا إلى العالم الذي تعيشون فيه. انه العالم الذي غيّره من الاساس التأثير الجبار الذي مارسته ثورة عام ١٩١٧ العظمى. انه العالم الذي مازالت فيه حوافز هذه الثورة، الاجتماعية والسياسية والروحية، تفعل فعلها بوصفها عوامل فعالة في العملية الاجتماعية العالمية.

انني انوي الزعم ان ايرلندا (التي لا تزال ظاهرة في ركنها الشمالي الشرقي بقية من بقايا عصر ما قبل اكتوبر كالاستعمار البريطاني) تعتبر اسطع مثال على التحولات التي تمت في العقود المنصرمة. بيد ان بلادنا ايضاً لم تبق خارج تأثير ثورة اكتوبر. هاكم مثالاً واحداً فقط. في شباط عام ١٩١٩ عاد توامس جونسون وكاثال اوشانون، قائدا الحركة العمالية الايرلندية، من مؤتمر بيرن العمالي والاشتراكي العالمي وقدما تقريراً مسهباً للجنة التنفيذية الوطنية والمنظمات المنضوية إلى الاتحاد الايرلندي للنقابات والحزب العمالي. وقد وردت في ختام القسم الأخير من التقرير الكلمات الآتية: «لقد اقتنعنا في نهاية المطاف ان الحكومة السوفييتية في روسيا هي الصديق الافضل والأكثر نزاهة لايرلندا...». وكانت جميع القوى التقدمية في بلادنا تشاطر هذه القناعة.

كتب لينين عشية الذكرى الرابعة لاكتوبر، قائلاً: «بقدر ما يبتعد عنا هذا اليوم العظيم، وبقدر ما يزداد دور الثورة البروليتارية في روسيا ايضاحاً بقدر ما نتأمل بمزيد من التعمق ايضاً تجربة نشاطنا العملية...»[1]. والآن حين يمضي العقد الثامن من العصر الذي دشن فيه الحدث الذي هز العالم، نتمعن مجدداً في نتائجه، كي نفهم قضايا العصر بصورة افضل ونناضل في سبيل اهدافنا بمزيد من الثقة. فما هي هذه النتائج من زاوية يومنا الراهن؟

لقد أعرب اكتوبر عن حاجة المجتمع الأكثر عمقاً، حاجته إلى تحرير الانسان من الاستغلال الاجتماعي وسائر اشكال الاضطهاد، ولبى هذه الحاجة في الواقع العملي. ونحن نرى الآن انه قد نشأ نظام ليس مثالياً على الاطلاق. وجرى استقرار الاشتراكية بسبل غير مطروحة. وتناول الحل مهام لم يسبق لها مثيل في اعادة البناء الجذرية لنمط حياة الناس كله وقوالب وعيهم، التي تكونت على امتداد قرون. وزاد في مصاعب بناء المجتمع الجديد كون الثورة قد انتصرت في بلد متخلف عن الدول المتطورة صناعياً في الكثير من النواحي. والاشتراكية التي لم تتصلب عودها بعد ان تعرضت للعواقب الهدامة للحرب

الاهلية والتدخل الاجنبي. وعلى عاتقها وقعت الاعباء الاساسية للصراع ضد الفاشية. وكان النظام الجديد يترسخ في مواجهة ضغوط شاملة مستمرة من الدول الامبريالية المحيطة به. ولم يتجنب تطوره شتى انواع التشويهات وظواهر الركود والازمة، التي يجري تحليلها الانتقادي الآن في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى.

ولكن المهم هو النتيجة الرئيسية. والحال، انها تتلخص في كون ١,٥ مليار انسان يعيشون الآن في ظل الاشتراكية، وقد برهنوا في الممارسة العملية على امكانية بناء مجتمع لا تمزقه تناقضات تناحرية داخلية، مجتمع يضمن لكل شخص الحق في العمل وتلبية سائر حاجات الانسان الملحة وفي ادارة شؤون الدولة. وخارج إطار هذه المنجزات يستحيل، بكل بساطة، تقدم البشرية اللاحق.

لقد أصبح تأثير ثورة اكتوبر عاملاً دائماً في تجديد العالم على اسس العدالة الاجتماعية والديمقراطية. وتعتبر البيريسترويكا (اعادة البناء) الجارية الآن في الاتحاد السوفييتي تعبيراً مركزاً عن معين لا ينضب لامكانات الثورة الابداعية وحيوية النظام الاجتماعي الذي خلقته.

لقد مارس اكتوبر تأثيراً قوياً في المجتمع البرجوازي وأزم تناقضاته بحدة. واذ انتزعت الثورة وسائل الانتاج من ايدي المستغلين واعطتها إلى الشعب، كشفت القناع عن اسطورة ثبات الملكية الرأسمالية وحق البرجوازية الاستثنائي في الحكم. واصبحت البروليتاريا العالمية «طبقة لذاتها» وادركت دورها في التطور الاجتماعي وخاضت النضال الحازم في سبيل مستقبل افضل، حاذية حذو عمال روسيا.

وتغيرت البرجوازية أيضاً، اذ اضطرت إلى القيام بتنازلات جوهرية أمام الشغيلة، وإلى تعبئة كل امكاناتها للحفاظ على الذات في الوقت نفسه. واستطاعت الرأسمالية التكيف مع الظروف الجديدة. لقد صمدت ووجدت ما يكفي من المصادر لتعميق الثورة العلمية - التقنية، واستخدام ثمارها لاغراض اخماد الصراع الطبقي وتوسيع ميدان المناورات الاجتماعية. وخلق رأس المال الاحتكاري آليات فوق قومية لتسويق التناقضات السياسية والاقتصادية، تمكن من الحيلولة دون ايصال الأمور إلى أوضاع متطرفة ومتأزمة، ومن الاحتفاظ باستقرار اجتماعي معين.

لقد ظهر ان احلال النظام الجديد محل القديم على نطاق العالم هو عملية اطول واعقد مما خيل في الماضي. إلا ان الرأسمالية لم تفلح في التغلب على تناقضاتها التناحرية. فهي تعيد على الدوام انتاج استغلال الشغيلة واضطهاد الاقليات القومية والبطالة والفقر المدقع وغير ذلك من المحن الاجتماعية التي تفقد الرأسمالية افقها التاريخي. على سبيل المثال، في جمهورية ايرلندا، بل عملياً في كل جزيرتنا، يتقلص عدد الايدي العاملة بالمقارنة مع ما كان عليه منذ ٣٠ سنة، ويرتفع مستوى البطالة ويزداد عدد الشباب

الـذين يغادرون البلاد بحثاً عن العمل في بريطانيا والولايات المتحدة واستراليا وبلدان أخرى. وإلى جانب ذلك، يتردى بشكل خطير الوضع في مجال رعاية الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية الاساسية.

ان فكار اكتوبر وتجربته وتعزيز دور الاشتراكية العالمية وتأثيرها خلقت ظروفاً جديدة مبـدئياً لتنـامي حركـة التحـرر الـوطني. وفي هذه الـظروف استـطاعت شعوب البلدان المستعمَرة والتابعة ان تتحرر من النير الاستعماري.

وزال نظام الامبريالية الاستعماري عن الوجود فعلياً، وولج طريق التطور المستقل ما يزيد على مئة بلد في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، حيث يقطن أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية. وان انخراط هذه الدول في الابداع التاريخي الواعي، وممارستها سياسة عدم الانحياز، ومقاومتها الفعالة لتطاولات الاستعمار الجديد العدوانية، واختيار عدد منها التوجه الاشتراكي ـ كل ذلك يضيّق مجالات السيطرة الامبريالية ويعزز قوى التقدم. ولا تتـطور الاوضاع هنا أيضاً بشكل مستقيم، بل بشكل متناقض، وخلافاً للتنبؤات السابقة احيانـاً كثيرة، ووجـدت غالبية البلدان المتحررة نفسها متكاملة مع الاقتصاد الرأسمالي العالمي. بعضها يتقدم إلى صف الدول الصناعية، وبعضها الآخر لم يخرج بعد من وضع النـظام الابوي شبه الاقطاعي. ومع ذلك، فان التوجه العام لتطور هذا العالم العملاق والشديد التباين يتحدد بالاتجاهات التي جعلها اكتوبر ثابتة لا نكوص فيها. وهي معاداة الامبريالية والاستعمار، وتَوق الشعوب إلى الحرية واقرار الاستقلال الوطني.

لقد خلقت ثورة اكتوبر ممهدات لتحول الحركة الشيوعية العالمية إلى قوة نافذة جداً في العصر الراهن. واذا كان في عام ١٩١٧ يعمل في العالم حزب شيوعي واحد هو حزب البلاشفة وكان عدد الشيوعيين (مع الأخذ في الاعتبار مجموعات شيوعية في بعض البلدان الاوربية) يبلغ ٤٠٠ الف شخص فقط، فثمة اليوم أكثر من ١٠٠ حزب شيوعي يزيد عدد اعضائها على ٨٥ مليون شخص. لا تعكس الارقام الاجمالية، طبعاً، إلا الاتجاه العام. وليس كل شيء على ما يرام في حركتنـا. ويعود نفوذها، قبل كل شيء، إلى الاحزاب الشيوعية الحاكمة في الدول الاشتراكية. وليس في كل مكان وليس دائماً يفلح السعي إلى تكييف عمل الشيوعيين مع الوقائع والقضايا الجديدة. إلا ان الزمن يفتح امامنا، مع ذلك، امكـانـات جديدة لتعـزيز التـأثير في الجمـاهير. ولا تزال الحركة الشيوعية تشكل القوة السياسية الاساسية التي تطرح بديلاً فعلياً عن النظام الاستغلالي. وهو الأمر الرئيسي، لأنه يحدد دورها الطليعي في التقدم الاجتماعي.

لم يغير اكتوبر خارطة العالم الاجتماعية السياسية فحسب، بل حياة الانسان الروحية أيضاً. واحدث مثال الثورة الاشتراكية انعطافاً في وعي جماهير الشغيلة، اذ اخذت هذه الجماهير تؤمن بان مثل العدالة والحرية قابلة للتحقيق. وقد تجسدت افكار الاشتراكية

العلمية في الممارسة الاجتماعية واصبحت من صلب معتقدات ملايين الناس.

صحيح ان الوضع الايديولوجي في العالم معقد ومتغير. وتتجدد المواقف العقائدية للطبقة العاملة والبرجوازية والفئات الوسطى. وتنشأ اشكال من الايديولوجيا، غير معروفة في السابق، وتنبعث، مثلاً، أشكال الايديولوجيا الدينية، التي بدت وكأنها فقدت اهميتها. إلا ان مما لا شك فيه ان تطور افكار اكتوبر يعبر عن مساعي الناس الروحية. وانني على يقين من ان هذه الافكار فقط كانت تستطيع ان تخلق التفكير الجديد، هذا الشرط التمهيدي الضروري لانقاذ الحضارة العالمية والحياة ذاتها في كرتنا الارضية.

لقد احدثت ثورة اكتوبر انعطافاً حاداً في مجمل نظام العلاقات الدولية، وقضت على سيطرة قوى النزعة العسكرية والعدوان، وخلقت امكانية ازالة الحروب من حياة الشعوب. واننا نرى اليوم التجسيد الفعلي لهذه الامكانية في المعاهدة السوفييتية الامريكية حول تصفية الصواريخ ذات المدى المتوسط والأقصر وفي الأعمال السلمية الأخرى في الآونة الأخيرة. ولا يزال خطر الكارثة النووية مخيماً. وسيكون النضال ضده طويلاً وصعباً. ولا تجوز أية أوهام في هذا الصدد. إلا ان الطريق الذي دشنه مرسوم لينين حول السلام يجب ان يتم اجتيازه وسوف يتم اجتيازه، لأنه ليس ثمة طريق آخر أمام البشرية.

هذا ما يقوم عليه، اذا أردنا الايجاز، اخلاصنا، اخلاصي، واعتقد اخلاص جميع الشيوعيين الراسخين، لتقاليد اكتوبر. وهذه التقاليد لا تنفصل عن وقائع العالم المعاصر. وبطبيعة الحال، ليست هي اليوم على ما كانت عليه بالامس، فهي دينامية ومتغيرة مثل العمليات الاجتماعية الموضوعية التي تعكسها.

ديالكتيك الاستمرارية

ان فقدان الذاكرة يقضي على شخص، بيد ان نسيان الماضي التاريخي والتخلي عن التقاليد قد يفسدان الحزب والحركة الاجتماعية ويفقدانهما كل معنى ويحولانهما إلى شيء غريب.

كان لينين يسخر من كل تجديد مزيف ومن ادعاء بعض نشطاء الحركة العمالية «بامكانية توصلهم المطلق إلى الحقائق الكبرى عبر ذكائهم الخاص» ومن السعي إلى اهمال «كل ما توصل اليه التطور السابق للفكر الثوري والحركة الثورية»(٢). ولم يفرض مطلقاً على احد تجربة اكتوبر. والماركسيون عموماً غريبون عن تصور امكانية النقل الحرفي لاية ثورة كانت. وفي المقابل ان الثوريين يواجهون دائماً مهمة استعياب الخبرة العالمية للحركة التحررية. ويعتبر استيعابها الابداعي ضماناً لنجاح القوى الثورية. وبهذا الاسلوب بالذات تناول لينين في حينه دراسة تجربة ودروس كومونة باريس، دون ان يطرح

البتة مهمة نقلها الحرفي. وفي تقاليد اكتوبر تبلورت قوانين ومبادىء هامة بالنسبة للحركات الاجتماعية التقدمية في بلدان عديدة:

اننا نرى انه من الهام الحفاظ بعناية على تقاليد حزبنا وذكرى الاحداث البارزة في الحركة الثورية في ايرلندا والبلدان الأخرى. ونحن نفعل ذلك ليس من أجل الحكم على الماضي من منطلق العصر الراهن وليس من أجل تخمين ما اذا كان من الممكن تجنب هذه الاخطاء أو تلك، بل من أجل ان نفهم التجربة التاريخية بشكل أعمق ونجد على هذا الاساس حلولاً لمهام اليوم ونحدد اهداف النضال بدقة أكبر.

ومن الهام النضال، في رأيي، ضد المحاولات الرامية إلى تصوير ماضي الحركة الشيوعية وكأنه سلسلة متواصلة من الاخطاء، وبالتالي، الانتقاص من الطريق الذي بدأه اكتوبر. كما انه لا يجوز الانغمار في فرح لا أساس له بصدد التاريخ، ويجب ان نرى فيه النجاحات والاخطاء، لأن الاخطاء تقدم أيضاً، شأنها شأن المنجزات، مواد لاستخلاص دروس نستطيع ان نعتبر بها اليوم.

ويجب ان نعرف كيف نجمع بين الاخلاص للتقاليد الثورية وتجديد الفكر والعمل ونطور بشكل مبدع، كل القيم التي كدستها الحركة الشيوعية، ولا نسمح في الوقت نفسه بان نكون أسرى استنتاجات يوم الأمس. وهذا ما علمنا اياه لينين، اذ كان يرفض، رفضاً قاطعاً، «التقليد الذليل للماضي»، الذي ربطه بالحذلقة في فهم الماركسية[٣].

لقد أكد قائد ثورة اكتوبر انه ينبغي على الماركسيين ان يسترشدوا ليس بحرفية التقاليد الثورية، بل بروحها. ولا يتلخص الاحترام للماضي في اضفاء طابع مطلق عليه، بل في اعتباره موضوعاً لفكرنا الانتقادي واستخلاص الدروس منه للحاضر. واننا لا نعتبر التجربة التاريخية شيئاً جامداً. ذلك ان تطور الاحداث والمعطيات الجديدة تمكننا من ان نرى فيها الجوانب التي كانت في الماضي تغيب عن اهتمامنا. فقد كتب لينين قائلاً: «ان واجب الحفاظ على التقاليد الثورية يتطلب في الوقت نفسه تحليلاً لظروف تطبيقها، وليس مجرد تكرار الشعارات الثورية التي كانت لها أهمية في ظروف خاصة»[٤]. ويدرس الماركسية اللينينية باهتمام كبير كل ما هو جديد، على أساس الاستمرارية في تطور النظرية والممارسة الثوريتين، دون ان ترى البتة ان أي جديد يجب ان يشطب كل ما سبق ويعارض الخبرة المكدسة.

لقد استخدم لينين الخبرة الثورية والمبادىء العامة للماركسية، ولكنه لم يفصلها عن الواقع الحي، بل على العكس، كان يستخدمها لتحليل العصر الجديد تحليلاً ملموساً. وتتجسد في ذلك الصفة الخاصة باللينينية، التي تميزها من حيث المبدأ عن الجمود العقائدي الذي يتمسك دعاته بحقائق يوم الامس ويرفضون البحث عن حلول جديدة، اذ يرون في هذا البحث تطاولاً على «نقاوة» النظرية الثورية. وينكر العقائديون الجامدون

اصالة الجديد ويبحثون دائماً عن تشابه مباشر مع الماضي ويأبون رؤية خصائص الاحداث ويفسرونها على انها مجرد صورة وتأكيد للقوانين والحقائق القانونية، التي تم اثباتها في السابق.

ان الحقيقة ملموسة دائماً. ولذا لا تمت بصلة إلى الاخلاص لتقاليد اكتوبر محاولات ايجاد وصفات جاهزة واجوبة عن جميع مسائل العصر، واذا كنا فعلاً نرغب في تبيان أهمية تجربة ثورة اكتوبر، توجب علينا، في اعتقادي، ان نسعى لا إلى الكشف في وقائع واتجاهات اليوم عن شيء يشبه الماضي، بل إلى ان نتعلم بالأستناد إلى المنهاجية اللينينية تحليل التاريخ بكل أشكاله الملموسة والمتنوعة. ويعني ذلك الموضوعية العلمية والواقعية في تقويم التقاليد الثورية والقدرة على الدراسة العميقة لا للاتجاهات التقدمية في التطور الاجتماعي فحسب، بل ولتناقضاته ومصاعبه أيضاً. والكشف بلا هوادة عن العمليات السلبية والتغلب عليها وهدم قوالب التفكير البالية بحزم.

ان اسلوب التفكير والعمل، الذي يتبلور على هذا الاساس، يعتبر تجسيداً للاستمرارية الثورية في حركتنا. وهذه الاستمرارية المجسدة في سياسة الشيوعيين لا تعني مواصلة بسيطة للطريق السابق ولا حنيناً إلى الماضي، بل حركة حتمية إلى الامام وتحليلاً موضوعياً للوقائع وقدرة على التخلي الحازم عن التصورات القديمة الجامدة. لقد أشار لينين إلى ضرورة ادراك هذه الحقيقة الواضحة بقوله انه ينبغي على الماركسي ان يرى الطريق الذي تمّ اجتيازه ويتفهمه بكل كماله وديالكتيكه وتناقضاته و«ان يحسب الحساب للواقع الحي، لوقائع الحياة الدقيقة، لا ان يتشبث بنظرية الامس...»(*).

ان لينين ذاته، الذي أجاد احسن من غيره استخدام التقاليد العظيمة للماضي في النضال الجاري، لم يكن يتأخر مطلقاً عن اثارة القضايا الجديدة وطرحها بكامل حجمها، وهو يكمل في الوقت نفسه، بشكل مبدع، النظرية الماركسية بالقيم الفكرية المكدسة.

وفي الظروف التاريخية الجديدة حل لينين عدداً كبيراً من المسائل المعقدة جداً، المرتبطة بتطبيق الماركسية العملي. وان منجزاته النظرية الكبرى (التعاليم حول الحزب من الطراز الجديد، نظرية الامبريالية، الاطروحة القائلة بامكان انتصار الثورة في بلد واحد، التعاليم حول بناء الاشتراكية، مذهب التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة) رفعت نظرية ماركس إلى مستوى نوعي جديد، واصبحت في الوقت نفسه عاملاً من عوامل تحقيقها في العملية الثورية.

وفي عصرنا يسير في هذا الطريق ذاته (ونرى في ذلك استمراراً وتطويراً لتقاليد اكتوبر) حزب لينين، الذي يشق الطريق في الحياة أمام التفكير السياسي الجديد ويقوم بتدابير حازمة للتغلب على عمليات الركود وتطوير الديمقراطية وتنشيط الجماهير الشعبية، ويخوض نضالاً مثابراً من أجل التحولات التي تستجيب لجوهر الاشتراكية. وان

البيريسترويكا السوفييتية، اذ تقر وتطور المكتسبات الثورية، تزيد في قدرة المثال الاشتراكي على المنافسة وتساعد، بالتالي، نضال الشيوعيين في بلدان رأس المال. كما ان الاستمرارية الوثيقة الارتباط بافكار ثورة اكتوبر وتجربتها تتجلى في كون سياسة الحزب الشيوعي السوفييتي والتغيرات الجارية في الاتحاد السوفييتي تحفز بقوة ارتقاء الحركة الشيوعية العالمية إلى مستوى نوعي جديد.

اولويات نضالنا

ان حركتنا، كي تبقى جسماً حياً متطوراً، تحتاج إلى تجديد دائم. وهذه الحاجة تبرز بشكل حاد جداً الآن، في نقطة انعطاف التطور العالمي. والمقصود هو أهمية القاء نظرة جديدة على بعض التقويمات المألوفة، وقياس لا الطريق الذي تم اجتيازه فحسب، بل الطريق المقبل أيضاً، بمعايير التقدم واهداف النضال، التي صاغها كلاسيكيو الماركسية اللينينية. انها لمهام معقدة جداً. ومن الاصعب اليوم صهر خبرات شتى البلدان والمناطق لأنه يؤثر في ذلك التنوع الهائل في ممارسة الصراع الطبقي. كما ازدادت صعوبة الحفاظ على الاستمرارية في خبرات مختلف الاجيال، اذ ان الحياة تقدمت كثيراً بالمقارنة مع ازمنة اكتوبر والكومنتيرن والعقود الأولى بعد الحرب.

ان حزبنا الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الحركة الشيوعية العالمية يتوخى تفهم دورها ومكانتها في العالم المعاصر المتغير بسرعة. وعدد كبير من الاحزاب الشقيقة يقوم اليوم بهذه البحوث، كي يجعل برامج هذه الاحزاب وشعاراتها واساليب نضالها تتناسب مع وقائع نهاية القرن العشرين. ويفترض هذا التناول أخذ دروس الماضي في الاعتبار، كما يفترض اعادة قراءة القرارات السابقة في ضوء الملابسات الجديدة وتطبيقاً على الظروف المتغيرة في داخل كل بلد وعلى الصعيد العالمي عموماً.

فما هو الشيء الرئيسي هنا؟ يمكن الرد على هذا السؤال بكلمة واحدة: ـ الانسان. لقد كنا منذ أمد قريب نعطي العامل الطبقي الاولوية المطلقة في النظرية والسياسة على حد سواء. أما اليوم، فنعطيها للعامل الانساني. ومرد ذلك قبل كل شيء إلى الخطر النووي، هذا الواقع الفظيع الذي أكسب خيار هاملت «نكون أو لا نكون» طابعاً عالمياً وبشرياً عاماً.

هل يتناقض هذا الانعطاف المذكور مع الماركسية اللينينية وافكار اكتوبر؟ لا. مرة أخرى لا. انه يضفي طابعاً ملموساً على التقاليد الانسانية العميقة في الفكر الماركسي اللينيني ونضال الشيوعيين السياسي تطبيقاً على الظروف الراهنة. والحال، ان موقف

الماركسية كان منذ البداية يتلخص في الصيغة القائلة بان المصالح الطبقية للبروليتاريا تتفق ومصالح البشرية بأسرها، اذ ان الطبقة العاملة لا تستطيع تحرير نفسها دون ان تحرر في الوقت ذاته كل المجتمع من الاستغلال والاضطهاد. وحين كتب لينين ان «مصالح التطور الاجتماعي أعلى من مصالح البروليتاريا»[٦]، أكد هذه الاطروحة الجذرية في الماركسية بالذات. ان المثل الانسانية لتحرير الانسان من النير والاستغلال والجوع والفقر المدقع والجهل ومن فظائع وعار المجزرة الامبريالية، وافكار العدالة الاجتماعية، قادت العمال والفلاحين الثوار في روسيا عام ١٩١٧ إلى الهجوم على النظام القديم. وبين قيم الحضارة، التي يذود الشيوعيون عنها منذ ذلك الحين، نرى في المقام الأول حق الانسان في الحياة. وفي عصرنا هذا، وبالرغم من ان العالم يبقى منقسماً اجتماعياً كالسابق، فان بقاء البشرية كلها، ليس بقاء طبقة بمفردها أو شعب بمفرده، يملي ضرورة الاسترشاد بمصالح البشرية بأسرها، على الرغم من مصالح مجموعة ما.

وعن ادراك هذه الحقيقة ينجم التفكير الجديد. ويقوم هذا التفكير، الواقعي من حيث مضمونه والثوري من حيث روحه، على أساس طبقي مبدئي وعلى تربة الايديولوجيا الماركسية اللينينية، ويطوّر احكامها المفصلية. ان المسألة الجذرية التي تواجه بالحاح الماركسيين ومعارضيهم، على حد سواء، تتلخص في اقتران العنصر الطبقي بالعنصر البشري العام في التطور العالمي، وبالتالي، في السياسة. ويحل حزبنا هذه المسألة من منطلق محدد واحد. لقد أكد المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي الايرلندي (عام ١٩٨٦) ان أكبر مهمة تواجه الشيوعيين على الصعيد العالمي تتلخص في النضال من أجل درء الحرب وصيانة السلام. وجاء في قرار المؤتمر ان الشيوعيين الايرلنديين يؤيدون، بالكامل، السياسة المتسقة للاتحاد السوفييتي وسائر البلدان الاشتراكية المناضلة في سبيل الانفراج ونزع السلاح الحقيقي ودرء الحرب النووية.

وفي الظروف الملموسة في ايرلندا، فان صيانة السلام والأمن في اوربا لا تنفصم عن النضال من أجل الحياد ووحدة البلاد واستقلالها. وتحاول الامبريالية البريطانية وحلفاؤها في حلف شمالي الاطلسي استخدام سعي الايرلنديين إلى الوحدة الوطنية من أجل جر البلاد إلى مدارهم العسكري السياسي. وقد طرحت الحكومة البريطانية هذه الاهداف بالذات أمام نفسها، وهي توقع على الاتفاقية مع دبلن حول ما يسمى بـ «الادارة المشتركة» لشؤون ايرلندا الشمالية. ولا يمكن تعطيل مخططات الرجعية الخطرة إلا عن طريق تعبئة جميع القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية. وفي الظروف التي يقدم فيها الساسة البرجوازيون في شمال الجزيرة وجنوبها، أكثر فأكثر، على المساومة مع الامبريالية، لا تستطيع حل هذه المهمة إلا الطبقة العاملة. ويتصدر نشاط الحزب الشيوعي التغلب على الاحكام الدينية المسبقة والانعزالية والايديولوجيا التوحيدية، التي

تقسّم اليوم شغيلة ايرلندا. لقد طرحنا برنامجاً محدداً للنضال من أجل ازالة سيطرة الامبريالية البريطانية، ينص على تكثيف كل أشكال الحركة من أجل تلبية مطالب الشغيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية، واقامة جبهة وطنية ديمقراطية عريضة لمعارضة سياسة التنكيل، وتعزيز تراص صفوف الحزب وتأثيره في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية كافة.

ونحن على يقين من ان هذا البرنامج يستجيب لمصالح اوسع الجماهير الشعبية في ايرلندا.

ومهما كانت الفوارق عميقة بين مختلف فصائل الشغيلة فان ذلك لا يعيق تبادل الآراء المثمرة والمنتظمة والأعمال المتوازية أو المشتركة. ويتسم بأهمية خاصة هنا الاسلوب والثقافة الجديدان في الحوار، اللذان يفترضان مقارنة مفتوحة بين الآراء ومناقشات قائمة على الاحترام المتبادل. فلا مكان للعادة القديمة المتأصلة، المتمثلة في رفض وجهة نظر الطرف المقابل رفضاً قطعياً ومن غير تأمل. لقد نشأت هذه العادة في تلك الأزمنة البعيدة التي كان فيها الشعار الآتي رائجاً بين الشيوعيين: «من ليس معنا، فهو ضدنا». ان المؤتمر السابع للكومنتيرن (عام ١٩٣٥)، تمشياً مع روح تقاليد اكتوبر، وليس حرفيتها، تخلى عن هذا الشعار ورفع شعاراً آخر: «من ليس ضدنا، فهو معنا».

تبقى الطبقة العاملة اليوم أيضاً القوة الرئيسية في التطور الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، فان ابعاد العديد من قضايا العصر وطابعها الشامل تحدد توسيعاً كبيراً في قوام تلك القوى التي تستطيع ويجب عليها ان تنخرط في تحقيق المهام التاريخية الناضجة. وبالطبع، تبقى الفوارق في العقائد ولا يمكن تخطيها. وسيضع ذلك حداً معيناً لامكانات التعاون. إلا ان أحداً لا يقترح التخلي عن المواقف العقائدية وعن المعتقدات الخاصة.

ان الحديث يدور حول الأعمال المشتركة في المسائل التي يتوفر موقف مشترك منها والتي ازداد عددها بشكل حاد. هاكم المثال الآتي: ثمة اناس يتضامنون معنا فيما يتعلق بالحقوق الديمقراطية في ايرلندا الشمالية، إلا انهم لا يريدون بالضرورة اقامة ايرلندا موحدة. ونتوخى تطوير التعاون معهم. ويرى حزبنا ان اتساع التحالف المعادي للاحتكارات على أساس النضال من أجل السلم والديمقراطية وفرص العمل ينبغي ان لا ينحصر فيمن يعملون على تحويل المجتمع بشكل جذري. وان التغلب على انتكاسات الفئوية، والحوار الجريء مع القوى الاجتماعية، التي كانت في الماضي خارج نطاق رؤيتنا، يعنيان اقامة علاقات مع هذه القوى على أساس الشراكة المتكافئة والتعاون ذي المصلحة المشتركة.

ويمكن ان يكون لقاء موسكو لممثلي الاحزاب والحركات في عام ١٩٨٧ مثالاً نموذجياً لمثل هذه العلاقات. وبالرغم من كل اختلاف آراء المشاركين فيه تأكد السعي المشترك إلى ضمان السلام وضرورة الأعمال المشتركة لصيانته. وتحدد نتائج اللقاء، في

رأينا، معالم البرنامج المشترك للقوى الديمقراطية العالمية المحبة للسلام: التفكير السياسي الجديد، ضمان بقاء البشرية، التغلب على التخلف والانقسام إلى أمم «فقيرة» وأخرى «غنية»، احترام حق كل شعب في خيار طريقه، العناية بالأرض - البيت المشترك للجميع.

ان نشوء الأشكال الجديدة للتضامن العالمي لا «يلغي» البتة الاممية البروليتارية. وبالطبع، تتجلى الاممية نفسها في الكثير من الحالات بشكل يختلف عما في الفترة الأولى بعد اكتوبر، حين قامت في العالم حركة تضامن تحت شعار «ارفعوا ايديكم عن روسيا السوفييتية!»، أو في الثلاثينات، حين كان المؤلف يخوض معركة ضد الفاشية في ميادين الحرب الاهلية في اسبانيا مع الامميين من مختلف البلدان. وتتغير أشكال تقاليد اكتوبر الاممية. غير ان روح هذه التقاليد تبقى بدون تغير، كما لا يتغير ما يتمخض عن هذه الروح: وحدة المصالح الجذرية واهداف شغيلة جميع البلدان.

(١) لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد/٤٤، ص ١٤٤، (باللغة الروسية).
(٢) المصدر نفسه، المجلد ٦، ص ٦٥.
(٣) المصدر نفسه، المجلد ٤٥، ص ٣٧٨.
(٤) المصدر نفسه، المجلد ١٦، ص ٤٧٤.
(٥) المصدر نفسه، المجلد ٣١، ص ١٣٤.
(٦) المصدر نفسه، المجلد ٤، ص ٢٢٠.

البيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية العالمية

جرى في مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» نقاش حول موضوع «البيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي، والحركة الشيوعية العالمية»، شارك فيه: خوسيه ريفا، عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية وسكرتير العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الدومينيكان، جورج طوبي، سكرتير اللجنة المركزية ورئيس قسم العلاقات الخارجية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي، داميان بريتل، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني، دكتور في علوم الفلسفة، بابلو ساندوفال راميريس، عضو المجلس الوطني للحزب الاشتراكي المكسيكي، جيمس ويست، عضو اللجنة التنفيذية الوطنية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة، البروفيسور يوري كراسين، رئيس معهد العلوم الاجتماعية التابع للجنة المركزية للحرب الشيوعي السوفييتي.

ونشر ادناه ما دار من نقاش.

أحوافز جديدة أم تعقيدات جديدة؟

خوسيه ريفا: يلاحظ المرء في وسط القوى الديمقراطية في جمهورية الدومينيكان تناولين اساسيين لعملية البيريسترويكا الجارية في الاتحاد السوفييتي. فقسم من الحركة

الديمقراطية ينظر إلى التحولات في الاتحاد السوفييني بشيء من الارتياب، معتقداً انها يمكن ان تؤدي مع الزمن إلى اضعاف الروح الكفاحية الثورية لدى الشيوعيين السوفييت، وكثيراً ما يصادف المرء مثل هذه الامزجة في الاحاديث مع طلاب الجامعة والصحفيين والمثقفين. وثمة بين المرتابين ايضاً اناس من ذوي الافكار الاكثر يمينية يعتقدون ان البيريسترويكا ما هي إلا محاولة لاستعارة بعض طرق وأشكال التسيير الاقتصادي من الرأسمالية بغية انعاش الاقتصاد. وتعكس مثل هذه الآراء موقفاً متشائماً.

وفي الوقت نفسه تعبر اوساط واسعة من الحركة اليسارية الديمقراطية عن القناعة بان البيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي ستضاعف قدرته الاقتصادية وستتيح اتخاذ موقف افضل من النزاع مع الدول الرأسمالية وزيادة المساعدة للقوى الثورية في الكوكب. اضافة إلى ذلك فانها ستبين ما يمكن ان تحققه الاشتراكية عندما تتطور على أسس فعالة. وهذا التناول منتشر على نطاق واسع في حزبنا الذي يوافق على وجهة النظر هذه عموماً.

والبيريسترويكا مهمة بالنسبة لنشاط الحزب الشيوعي في الدومينيكان أيضاً لانها نزعت ايديولوجياً سلاح المنشقين الذين وقفوا عندنا ضد الاتحاد السوفييتي وضد سياسة الشيوعيين الدومينيكانيين. فحتى أكثر الفئات تطرفاً اصبحت الآن عزلاء من السلاح في هجماتها على الاتحاد السوفييتي. صحيح انها تواصل انتقاد حزبنا، ولكن تحت راية . . . انصار التجديد، محاولة فرض نوع من الديمقراطية غير المحدودة عليه واضعاف الانضباط الحزبي الداخلي.

ولكن المصاعب التي نشأت بوجه نشاط الشيوعيين غير كبيرة عموماً ـ كما اعتقد. أما الايجابيات فأكثر بكثير. ومن بينها، انه تحت تأثير افكار البيريسترويكا استؤنفت الصلات بين حزبنا وتلك القطاعات من القوى الديمقراطية في البلاد، التي فقدت في الماضي الاهتمام بالاشتراكية القائمة. وتساهم إلى حد كبير في ذلك كتابات الصحف السوفييتية التي تصل الينا.

وأود الاشارة ايضاً إلى ان سياسة الاتحاد السوفييتي في العلاقات مع الولايات المتحدة مذهلة في جرأتها الآن، ليس في مسائل النضال من أجل السلام فحسب، بل وفي مجال حل النزاعات الاقليمية ايضاً. ويشعر المرء هنا بصورة خاصة بالفرق الشاسع بين التفاعل الحي، الدينامي والسريع مع الاحداث الدولية من قبل القيادة السوفييتية الراهنة، وحالة السبات التي كانت تتبدى في اعمال الاتحاد السوفييتي في السابق. كل ذلك ينعكس ايضاً على المناخ السياسي في جمهورية الدومينيكان.

جيمس ويست: ان الاوساط الاجتماعية عندنا تتقبل البيريسترويكا والغلاسنوست (العلنية) بالدرجة الأولى، في سياق العلاقات الامريكية ـ السوفييتية. ويمكن القول بثقة

اليوم ان العداء للسوفييت والشيوعية يتراجع في الولايات المتحدة، اذ يرى الناس انه بدأ بفضل مبادرات الاتحاد السوفييتي الانتقال من المجابهة إلى التعايش السلمي كشكل لحل القضايا الدولية. ومارست تأثيراً كبيراً في الاوساط الاجتماعية عندنا لقاءات القمة السوفييتية ـ الامريكية والتجميد السوفييتي للتجارب النووية من طرف واحد على امتداد اشهر كثيرة وبصورة خاصة عقد معاهدة الصواريخ ذات المدى المتوسط والاقصر.

يولد امامنا ائتلاف واسع بصورة استثنائية للقوى المحبة للسلام المؤيدة لخفض الاسلحة الاستراتيجية بنسبة ٥٠ في المئة ولنزع السلاح النووي وتصفية سلاح الابادة الجماعية بصورة كاملة. ويضم هذا الأئتلاف الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة والاشتراكيين الديمقراطيين كاعضاء معترف بهم إلى جانب العديد من النقابات والجماعات الدينية وشتى المنظمات المسالمة والمحبة للسلام. ويمكن وصف هذا الاعتراف بمشاركة الشيوعيين في النضال من أجل السلام كنتاج اضافي للتفكير الجديد وللتحولات في العلاقات الدولية. فالمبادرة على الصعيد العالمي هي اليوم في يد الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي يرتدي اهمية عظيمة ويمنح الشيوعيين افضليات كبيرة.

وتتسع امكانات انْ تطوى ازمنة «الحرب الباردة» في ادراج الماضي من غير رجعة. وتظهر على الساحة قوى اقتصادية وسياسية جديدة، وتطرح مهمات جديدة ذات طابع عالمي شامل. ويعترف بذلك حتى انصار الرأسمالية. فمدير معهد غاريمان البروفيسور ر. ليغفولد يشير إلى ان السلام يدخل مرحلة جديدة. ويرى ان ميخائيل غورباتشوف اصبح الزعيم السوفييتي الأول، الذي ربط الامن القومي بالامن المتبادل، معلناً ان الاتحاد السوفييتي لا يمكن ان يحقق الامن لنفسه على حساب منافسه الاساسي. صحيح ان البروفيسور لا يأخذ في الحسبان ان الاتحاد السوفييتي ربط امنه بمصالح الولايات المتحدة وبريطانيا في قضية سحق الفاشية في سنوات الحرب العالمية الثانية، بيد ان ملاحظته بشأن المرحلة التاريخية الجديدة، في رأي حزبنا، صحيحة بصورة مطلقة. ويرتدي هذا اهمية كبيرة بالنسبة للقوى التقدمية والثورية، وكذلك بالنسبة للاوساط المحبة للسلام في الولايات المتحدة عموماً.

فتحت البيريسترويكا امكانات جديدة أمام الشيوعيين الامريكيين. واكتفي بذكر بعض الامثلة التي تدل على تغيير الموقف من الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة وفتور العداء للشيوعية. في مدينة لورين كان احد رفاقنا مؤسساً لنقابة عمال صب الفولاذ المحلية. في سنوات «الحرب الباردة» حاولوا تناسي اسمه، ولكن منذ فترة غير بعيدة اتخذ في اجتماع النقابة قرار بالاجماع يقضي باعادة اسم هذا الرفيق إلى لائحة مؤسسي النقابة، وبذلك تم الاعتراف بحقه المشروع في انْ يكون شيوعياً وزعيماً نقابياً.

وهاكم مثالاً آخر. اغلقت في شيكاغو مؤسسة ورفضت ادارتها دفع التقاعد المنصوص عليه في العقد. واخيراً، بعد نضال عنيد، اضطرت لدفع التعويضات للمسرحين. وهكذا انتهى النضال الذي قاده شيوعي بالنصر. ان مثل هذه الاحداث تساهم في نمو هيبة الحزب. وهي أيضاً تشكل نتاجاً اضافياً للتغيرات الحاصلة في المناخ الدولي وتراجع العداء للسوفييت.

وتظهر في الوقت نفسه معضلات جديدة ناجمة عن التفسير المشوه لاعادة البناء (البيريسترويكا) والعلنية (الغلاسنوست) في سياق ظروفنا. فثمة اناس، حتى بين اعضاء حزبنا، يعتبرون انها شبيهة بما يسمى «ربيع براغ» عام ١٩٦٨، الذي كان في الواقع محاولة انقلاب مضاد للثورة. فبعض التحريفيين والشيوعيين السابقين، اذ يشوه جوهر البيريسترويكا والغلاسنوست، يريد استخدامها ضد الحزب الشيوعي، معلناً عن صواب مواقفه في عام ١٩٦٨، الخ. باختصار ثمة معضلات.

داميان بريتل: اثارت البيريسترويكا (اعادة البناء)، بالدرجة الأولى شعوراً بالاعجاب الكبير في اسبانيا، وذلك ليس بين القوى اليسارية والتقدمية في البلاد فحسب، بل وبين فئات واسعة من الرأي العام أيضاً. ويعود ذلك لكونها اظهرت بصورة ساطعة الحيوية الهائلة للاشتراكية كنظام، وبينت ان فيها من الديمقراطية أكثر مما في أكثر البلدان الرأسمالية ديمقراطية واظهرت البيريسترويكا، ايضاً، بوضوح حقيقة ان الستالينية وستالينية العهد البريجنيفي الجديدة لا تنبعان من جوهر الاشتراكية، وهما غريبتان عنها وشكلتا تشويهاً لطبيعتها. ويتضح للرأي العام الاسباني باطراد ان الاشتراكية غير ممكنة من دون الحرية والديمقراطية.

ومما له دلالته ان شغف الاسبان بعملية التجديد في الاتحاد السوفييتي حرم الطبقات الحاكمة من امكانات تنظيم هجوم شامل على افكار البيريسترويكا. ففي البداية طرحت على الرأي العام فكرة مفادها ان الأصلاحات اما ستبعث في الظروف الاشتراكية بعض الظاهرات المميزة للرأسمالية، وأما ستؤدي إلى اعادة هذا النظام عموماً. بيد ان هذه الاطروحات لم تلق تأييداً واسعاً في بلادنا. عندئذ اخذت وسائل الاعلام البرجوازية العامة تضخم المصاعب الجديدة التي ظهرت في الاتحاد السوفييتي في السنوات الأخيرة، على صعيد العلاقات بين القوميات بالدرجة الأولى. ولكن يمكن القول بكل ثقة ان القوى المحافظة في اسبانيا لم تتمكن من رص صفوفها للمواجهة الايديولوجية الشاملة لعمليات التحولات الجارية في الاتحاد السوفييتي.

ان البيريسترويكا بالنسبة للحزب الشيوعي الاسباني مهمة أيضاً لكونها اكدت الأفكار التي صبغناها نحن حول الاشتراكية والحرية الديمقراطية، وكذلك في ميدان

السياسة الدولية. وقد جرى تطوير هذه الأفكار الآن في مجرى البيريسترويكا، وفي الاعمال الجريئة للدبلوماسية السوفييتية.

اعتقد ان الجميع يعلم كم هي حادة مسألة وحدة الشيوعيين في اسبانيا. لقد بينت البيريسترويكا، في رأيي، انه لا يجوز السماح بانشقاق الاحزاب الشيوعية والعمل من الخارج على شقها. ان عملية التجديد الجارية في الاتحاد السوفييتي تساهم في توحيد المجموعات الشيوعية الثلاث في بلادنا وتساعد في التغلب على التناول المبتذل والمبسط بصورة عقائدية جامدة للاشتراكية.

واود التوقف عند قضية اخرى ترتدي اهمية خاصة بالنسبة للحزب الشيوعي الاسباني وسائر الشيوعيين الاسبان. فالقوى المحافظة، العاملة في بعض المجموعات الشيوعية في بلادنا، توافق على مواقف القوى البيروقراطية الرجعية التي تقاوم، بهذا الشكل أو ذاك، عمليات البيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي، وتسعى إلى الاعتماد عليها. ان هؤلاء المحافظين البدائيين يعللون انفسهم بالآمال في انه يمكن اعاقة توحيد الشيوعيين الاسبان ما دام رفاقهم في الفكر يحتفظون بمواقعهم في بلدان الاشتراكية. لذا فان نجاح مسيرة البيريسترويكا السوفييتية سينعكس بصورة ايجابية ايضاً على الوضع في حركتنا الشيوعية الوطنية.

جورج طوبي: أود التأكيد على مسألتين. اولاً، لقد كانت عملية تجديد المجتمع السوفييتي ضرورة حياتية ومحتمة من حيث الجوهر، سواء في صالح تطوير الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وتحسينها، أو من وجهة نظر الوضع العالمي الجديد والمتغير. ثانياً، ان هذه العملية لم تنته بعد وهي لا تزال في مرحلة التطور. وشأن كل عمل جديد، وكل ظاهرة جديدة، تصطدم هذه العملية بالطبع بجملة من المصاعب الموضوعية والذاتية. ولكن من الهام التأكيد كذلك بأن المبادرة في اجراء التحولات الثورية في حياة الاتحاد السوفييتي الداخلية وفي سياسته الخارجية المحبة للسلام لا يمكن ان تصدر إلا عن الحزب الشيوعي السوفييتي.

تثير البيريسترويكا اهتماماً هائلاً في العالم، في كل بلد، واسرائيل ليست استثناء. واذا قلنا بان التحولات في المجتمع السوفييتي تلقى صدى واحداً عندنا - ايجابياً أو سلبياً - فان ذلك يعني تبسيطاً للأمور. فثمة مواقف مختلفة لا تندرج فقط في إطار «نعم» أو «لا». ومن الضروري حتماً معرفة أية عناصر من هذه العملية الثورية يحاول خصومنا واعداؤنا استغلالها. ويبدو لي انهم وجدوا انفسهم في وضع صعب الآن - وسوف يزداد هذا الوضع صعوبة - ولذا يحاولون تشويه جوهر البيريسترويكا نفسه. فهم يقولون، مثلاً، بصراحة: «لقد قلنا لكم، ايها الشيوعيون، ان الاشتراكية نموذج فاشل للمجتمع. وها هي

البيريسترويكا تثبت عدم فاعليتها».

من الضروري دحض هذا الزعم غير الجدي الذي لا أساس له. فينبغي ان نؤكد بالنسبة للبيريسترويكا من جديد وجديد ان الاشتراكية العلمية ومبادىء الماركسية اللينينية ذات الطبيعة الشمولية لم تفقد حيويتها وان الاشتراكية كنظام اجتماعي، تتمتع بمجموعة كاملة من الافضليات. وهذا لا يعني اطلاقاً اننا معصومون من الاخطاء. ولكن كيف يتم تقويم الاخطاء المرتكبة، مثلاً، في بناء المجتمع الجديد في الاتحاد السوفييتي؟ اعتقد انه من الواضح تماماً ان الاخطاء لا تنبع من طبيعة الاشتراكية، بل وأكثر من ذلك، تتناقض مع مبادئها بالذات.

لقد اشرت إلى بعض المصاعب التي ظهرت بصدد البيريسترويكا، نتيجة التفسيرات الخاطئة خارج حزبنا. ولكن تظهر تعقيدات معينة حتى داخله. فعلى سبيل المثال يتصرف بعض الشيوعيين احياناً وكأن مبدأ المركزية الديمقراطية لم يعد موجوداً ويدعون إلى اباحة كل شيء. وعندما يوجه النقد الرفاقي اليهم يقولون: «اننا نعيش في عصر البيريسترويكا الآن وكل شيء ممكن». من هنا مهمة مجابهة كل التشويهات لجوهرها الفعلي بحزم.

أود كذلك ابداء بعض الملاحظات بصدد مداخلة الرفيق بريتل. فبعض الاحزاب الشقيقة اخذ بمناسبة عملية البيريسترويكا يعلن عن «فطنته»، معتبراً اياها تأكيداً لبعض اطروحاته الفكرية السياسية المتنازع بشأنها. اعتقد ان مثل هذه المقارنة تنطوي على خطأين. اولاً، اذا سرنا على هذا الطريق فانه سيؤدي حتماً إلى مأزق النقاشات العديمة المعنى. وثانياً، ان من ينطلق من هذه المواقع يتجاهل عملياً دور الحزب الشيوعي السوفييتي بوصفه القوة المحركة الوحيدة في المجتمع السوفييتي، التي كان في وسعها الكشف عن الاخطاء والبدء بمثل هذه التحولات الكبيرة. لا أريد النقاش حول هذه المسألة لأنني لا اعتقد ان «عصر دوبتشيك» في تشكيوسلوفاكيا أو مواقف بعض الاحزاب الشيوعية الغربية في السبعينات تتفق مع ما يجري في الاتحاد السوفييتي اليوم.

واشير أيضاً إلى مسألة اخرى تتعلق بحزبنا. فعملية البيريسترويكا هامة جداً بالنسبة للحزب الشيوعي الاسرائيلي من منطلق اعادة النظر ببعض جوانب نشاطه. فنحن نقوم الآن بنقاش واسع حول طرق العمل المستخدمة وتكتيك واشكال الدعاية لمواقفنا مع اخذ خصائص المجتمع الاسرائيلي في الحسبان. وهكذا، فان البيريسترويكا تحفز عملنا الحزبي الداخلي ايضاً.

داميان بريتل: هلا اوضحتم، ايها الرفيق طوبي، ملاحظتكم النقدية بمزيد من الدقة؟

جورج طوبي: يارفيق بريتل أنا لم اعرض أية ملاحظات نقدية، بل اكدت مسألة واحدة فقط. فاليوم في مجرى سياق التجديد العميق الجاري في إطار الحركة الشيوعية العالمية، لا داعي للعودة إلى خلافاتنا القديمة والنقاش والجدال حول من هو المحق ومن هو المخطىء. وأنا على يقين من ان قضايا كثيرة سوف تتضح مع انجاز هذه العملية. واعتقد ان هذا التناول يتفق مع مصالح جميع الاحزاب في هذه المرحلة. وهذا لا يعني اطلاقاً انني لا آخذ في الحسبان المواقف المختلفة التي كانت قائمة في الماضي. تعالوا اليوم نبقي خلافات الامس جانباً. آمل انني اوضحت فكرتي بدقة الآن.

داميان بريتل: ربما فهمتموني بصورة خاطئة، فأنا لا أرغب أبداً في احياء الخلافات القديمة. ومع ذلك أود ان أوضح: الماضي هو جزء من الثقافة السياسية المعاصرة. وهذا يرتدي اهمية هائلة بالنسبة للشيوعيين الاسبان. لسنا عازمين على انتقاد أحد، بل نريد، ببساطة، القول ان البيريسترويكا أكدت بعض اطروحاتنا النظرية الخاصة. بل وانها طورتها إلى حد كبير. وفي الوقت نفسه كانت هناك مسائل ارتكبنا فيها الاخطاء.

بالنسبة للحديث عن الماضي أود التذكير فقط بأن الرفاق السوفييت يسعون الآن إلى اعادة النظر بصورة موضوعية في تاريخ بلادهم ابتداء من عام ١٩١٧ وتاريخ حزبهم. ويؤكد ذلك الكمية الهائلة من المواد التي تنشر في الصحافة السوفييتية حول قضية الستالينية، مثلاً، أو اعادة الاعتبار مؤخراً إلى بوخارين وغيره من قادة الحزب البارزين من اعضاء الحرس اللينيني الذين قضى عليهم ستالين.

ان العودة إلى الماضي تساعد على التعلم من الاخطاء وصوغ سياسة الحزب الراهنة بصورة افضل. وينبغي اليوم فهم ما قلته في هذا السياق بالذات. واقول ذلك باخلاص ومن دون أي ادعاء.

يوري كراسين: يبدو لي ان تأثير البيريسترويكا في الوعي الاجتماعي وكأنه يجري على مستويين. احدهما خارجي، بل وحتى فيه شيء من الاثارة. فقد بدأت في بلادنا بعد سنوات طويلة من الركود حركة عاصفة في ميدان الفكر الاجتماعي بالدرجة الأولى. من هنا اهتمام الناس الطبيعي بالكتابات الجريئة والصريحة في الصحف والمجلات، وبالجدال الدائر على صفحاتها حول الكثير من المسائل الملحة. وفي الخارج ايضاً ايقظت هذه العمليات اهتمام فئات واسعة من السكان. فخلال سنوات كثيرة كانت معلومات الغرب عموماً عن الاتحاد السوفييتي قليلة جداً، حيث كان يجري تصويره وكأنه مجتمع مغلق باحكام. وفجأة اخذ هذا المجتمع يتحدث عن قضاياه وفتح جميع ابوابه ونوافذه على مصاريعها، مظهراً نفسه ليس من الناحية الايجابية، كما كان يحصل في الماضي، بل وكاشفاً عن نواقصه ايضاً. كل ذلك يعتبر أمراً مثيراً في الخارج.

ولكن ثمة مستوى آخر لتأثير البيريسترويكا في الوعي الاجتماعي. والحديث يدور حول العلاقة بين الواقع ومثال الاشتراكية. فقبل بداية البيريسترويكا كانت توجد عندنا في الاتحاد السوفييتي هوة عميقة بين المثال الذي كان يتراءى كاشتراكية مجردة، نقية كانها خارجة من المختبر، والواقع المشوه الذي كان في الكثير من جوانبه يتعارض، ليس مع المثال فحسب، بل وحتى مع التصورات البسيطة عن المجتمع الاشتراكي ايضاً. اقصد بذلك ظاهرات كالبيروقراطية والقساوة التي وصلت في العهد الستاليني إلى اقسى درجات القمع، والدور المفرط لجهاز الدولة، وتخلف التقاليد الديمقراطية في المجتمع. وباختصار، كان الواقع يتناقض مع المثال، وبرز هذا التناقض بحدة متزايدة. وقد تكشف هذا التناقض الآن، وفهمنا ان الشيوعية ليست امراً مجرداً، وان المثال يتكون في مجرى بناء المجتمع الجديد. وعندئذ بدا وكأن المثال هبط من عليائه. ورأينا ان الاشتراكية ليست شيئاً ما يحلق في الغيوم، بل هي عالمنا الاشتراكي، الأرضي، «الاثم»، بكل تناقضاته. ولكنها مع ذلك تصبح أقرب الينا، لاننا توصلنا إلى هذه الاشتراكية بكل افضلياتها ونواقصها عبر الآلام.

واعتقد ان ذلك يمارس تأثيراً كبيراً في الحركة الشيوعية العالمية ايضاً، لأن الهوة بين المثال والواقع أدت إلى انه كثيراً ما طرحت الاحزاب الشيوعية في برامجها، الاشتراكية المجردة بالذات، الخالية من التناقضات والمصاعب، بوصفها هدفاً غيبياً بعيداً جداً عن الواقع. وأدى ذلك إلى ان يصبح الشيوعيون احياناً اشبه باعضاء طائفة مغلقة يستطيعون ان يتحدثوا فيما بينهم بلهجة المثال المجرد. ولكن خارج الدائرة الضيقة للعارفين بـ «اسرار الميثولوجيا» لم يكن أحد يفهم هذه اللهجة لانها تتجاهل الحياة الواقعية بكل تناقضاتها. أما الآن فقد طرحنا للمرة الأولى مهمة الكشف عن امكانات المجتمع الاشتراكي الواقعي تماماً، الأمر الذي تعبر عنه الصيغة التي طرحها حزبنا والقائلة «مزيداً من الديمقراطية مزيداً من الاشتراكية». وأنا اتفق تماماً مع الرفيق بريتل بان هذين المفهومين مرتبطان فيما بينهما بصورة عضوية. وبديهي ان هذا الفهم للاشتراكية ينال من القوى المحافظة بين الشيوعيين، سواء في الاتحاد السوفييتي أو خارجه، ويلهم ويوحد في الوقت نفسه القوى المبدعة الداعية إلى تجديد الحركة الشيوعية.

تواجهنا الآن مهمة احياء الوجه اللينيني للاشتراكية. ولكن اعتقد ان هذا لا يكفي لأن الحياة تقدمت كثيراً على العصر الذي عاش فيه لينين، وطرحت قضايا جديدة تماماً مرتبطة، مثلاً، بالثورة التكنولوجية وعواقبها، التي لم يكن بامكانه التنبوء بها. لذا من الضروري ليس احياء النظرية اللينينية حول الاشتراكية فحسب، بل واغناء هذه النظرية ايضاً بالتجربة التي كدستها البشرية باسرها.

بابلو سانوفال راميريس: استقبل المكسيكيون البيريسترويكا بشيء من الحذر في البداية. فقد استرجعت الذكريات حول الاصلاحات السابقة في عهد خروشوف، عندما لم يتم ايصال ما هو مقرر إلى نهايته المنطقية. بيد ان الخطوات الملموسة للتحولات الجارية في الاتحاد السوفييتي اخذت تحظى تدريجياً بتعاطف فئات واسعة من الرأي العام في المكسيك. ولقي صدى واسعاً، بالطبع، التجميد السوفييتي للتجارب النووية من طرف واحد، الذي اظهر التناولات الجديدة للسياسة السوفييتية التقليدية المحبة للسلام. وفيما بعد لفتت انتباه المسكيكيين التحولات في الميدان الاقتصادي، وكذلك بصورة خاصة ما يمكن تسميته روح البيريسترويكا، أي الغلاسنوست (العلنية) واشاعة الديمقراطية. وهذه التغيرات هي التي تضفي على تجديد المجتمع طابعاً ثورياً وتثير الاهتمام في الخارج. وهكذا فالموضوعية القائلة بان الاشتراكية مستحيلة من دون ديمقراطية حظيت بتأييد عظيم بين الأوساط الديمقراطية ووسائل الاعلام العامة في المكسيك.

ولا يقل اهمية عن ذلك ما يجري في الاتحاد السوفييتي اليوم في مجال فضح الستالينية والتغلب على عواقبها المدمرة، التي سببت تخلف البلاد في عدة اتجاهات. كل ذلك يزيد في جاذبية الاشتراكية وتأثيرها ويساعد، بالتالي، نشاط القوى اليسارية والتقدمية والديمقراطية في المكسيك. لذا فان البيريسترويكا السوفييتية تشكل بالنسبة لحزبنا حافزاً قوياً يفتح آفاقاً ملائمة.

التفكير الجديد والرصيد النظري

جيمس ويست: ثمة ضرورة لتطوير النظرية الماركسية اللينينية بصورة شاملة في ضوء القضايا القائمة. فترابط العالم لا ينفي الصراع الطبقي، بل يفتح اطراً واشكالاً جديدة له. ويبدو لي انه ينبغي ان نعالج بتمعن مسألة أية احكام اساسية من احكام الماركسية اللينينية تبقى محتفظة بحيويتها، بالنسبة لجوهر الرأسمالية مثلاً، وأية احكام يتوجب تغييرها أو حتى التخلي عنها نهائياً. ان طبيعة الرأسمالية تولد الدوافع لتذليل التناقضات الجدية عن طريق استخدام القوة أو الاعمال العسكرية والحروب. وينبغي ألا تراودنا الاوهام في هذا الخصوص. كما ينبغي ان يكون في مركز اهتمامنا: الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة والقوى الجديدة التي تواجه الرأسمالية والقادرة على ارغامها على التراجع والاعتراف برغبة الناس في السلام. وتؤكد الحربان الفيتنامية والكورية والهزائم الأخرى التي منيت بها الامبريالية الامريكية هذه الامكانية. ويجب التنويه بان الحركة العالمية

المحبة للسلام كانت العامل الرئيسي الحاسم في ارغام الامبريالية على ايقاف هاتين الحربين.

يوري كراسين: أود التوقف عند المسألة التي تطرق اليها الرفيق ويست بشأن دور الصراع الطبقي في العالم المعاصر. فالبيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي لا تشكك باهدافنا الطبقية النهائية كشيوعيين. وهذا ما يفهمه الكثيرون. تأكيداً لذلك نلجأ إلى ذلك الاسلوب، الذي استخدمه لينين مراراً، في الاثبات كالاستشهاد برأي الخصوم الفكريين الذين يرون عادة بدقة كبيرة الخط الطبقي الذي يسير عليه الشيوعيون. فاستشهد بالمقابلة التي نشرتها صحيفة «واشنطن بوست» مع ريتشارد نيكسون مؤخراً. لقد نفى الرئيس الامريكي السابق بصورة مباشرة الرأي القائل بأن ميخائيل غورباتشوف «تخلى عن فكرة العالم الشيوعي». واذ يستشهد نيكسون بفقرة من تقرير الذكرى السنوية السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى يقول مستنتجاً: لقد تبين ان الطريق أطول مما اعتقدوا في البداية، بيد ان الهدف يبقى هو نفسه. وكما ترون خصمنا الفكري لا يشك اطلاقاً في ان الشيوعيين السوفييت يتمسكون بالاهداف الثورية كالسابق.

ومع ذلك اعتقد ان التحرك نحو هذا الهدف في عالمنا الفضائي ـ النووي المتكامل على الرغم من تناقضه، ينبغي ان يعاد التفكير فيه. وقد لاحظ لينين مراراً ان ماركس وانجلز اخطأا، احياناً، بصدد مواعيد بلوغ الاهداف الثورية. ويصح هذا إلى حد ما بالنسبة للينين نفسه. تذكرون انه بعد اكتوبر، وتحديداً في عام ١٩١٨، تنبأ مراراً بالانتصار السريع (خلال عام) للثورة الاشتراكية العالمية. ولكن هذا الهدف ابتعد فيما بعد.

تعالوا نلقي نظرة تاريخية على كل ذلك الآن. لنأخذ الثورة البرجوازية التي لا تعني ابداً تحولاً عميقاً في علاقات الملكية، كالثورة الاشتراكية. فلو عدنا إلى تاريخ فرنسا، نرى ان عام ١٧٨٩ لم يكن إلا بداية الثورة، أما نهايتها فينسبها ماركس، كما نعلم، إلى عام ١٨٧١، إلى كومونة باريس، أي انه انقضى حوالي مئة عام في حياة بلد واحد. أما على الصعيد العالمي فان الثورة البرجوازية لا تزال مستمرة في عدد من البلدان النامية. فكيف يمكن توقع ان تحقق الثورة الاشتراكية انتصاراً حاسماً خلال سبعين عاماً؟

اذا انجزت الخطط التي وضعها المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي، فسوف يصل الاتحاد السوفييتي في عام ٢٠٠٠ إلى مستوى الولايات المتحدة من حيث انتاجية العمل في عام ١٩٨٥. أي بحلول الذكرى المئوية لثورة اكتوبر لا نحلم إلا بلحاق الولايات المتحدة من حيث انتاجية العمل. ويجري الحديث هنا عن بلد واحد فقط، فكيف سيكون الأمر لو جرى على الصعيد العالمي؟

باختصار، ان عملية الثورة الاجتماعية التي تراءت وكأنها بسيطة نسبياً في لحظة

اقتحام قصر الشتاء، عندما اعتقد ان «المعركة الاخيرة والحاسمة»، قد بدأت، تبين في الواقع انها عملية تاريخية طويلة جداً تمتد أكثر من قرن واحد. بديهي ان الرأسمالية اليوم ليست كما كانت في عام ١٩١٧، ولا حتى في السنوات الأولى لما بعد الحرب. والاشتراكية ايضاً تدخل مرحلة جديدة في تطورها، وتسير نحو وضع نوعي جديد. كل ذلك يضع الشيوعيين أمام ضرورة اعادة النظر في الاطروحات القديمة التي ولى زمانها والتخلي عن الكثير من القوالب الجامدة.

لنأخذ، مثلاً، مفهوماً جذرياً للنظرية الماركسية، كدكتاتورية البروليتاريا. نعلم جميعاً انه لم يعد يذكر عملياً في وثائق الحركة الشيوعية. اهذا الأمر مصادفة أم تكتيك؟ لا، بالطبع، انه مجرد نتيجة لتغير الجهاز المفاهيمي للنظرية، الذي تنعكس فيه الحقائق الجديدة. ففي البلدان الرأسمالية المتطورة تتكون طبقة عاملة معاصرة، ويتغير بصورة نوعية ـ عرضاً وعمقاً ـ فاعل التحولات الاجتماعية نفسه. فالثورة التكنولوجية تنقل قوة العمل الاساسية إلى ميدان المعلوماتية والخدمات. وتصبح قوة العمل هذه نفسها إلى حد بعيد، على حد تعبير ماركس، مزيجاً من القوى الاجتماعية يضم طاقة المجتمع الذهنية والعلم. ويولد طراز جديد من العاملين في مجال الانتاج يختلف تماماً عما كان في العشرينات والاربعينات والخمسينات.

اعتقد ان المشاركين في النقاش من البلدان الرأسمالية المتطورة يوافقون معي اذا قلت ان انتقال هذه البلدان إلى الاشتراكية سيجري، على الأرجح، نتيجة اجماع غالبية السكان. وبالطبع، سيكون على الطبقة العاملة المعاصرة والقوى الماركسية، آنذاك، ان تقوم بدورها الطليعي ايضاً. ولكن من المستبعد ان تتفق طبيعة السلطة الطبقية وطرق ممارستها في المرحلة الانتقالية مع ما اتفق على اعتباره دكتاتورية للبروليتارية، فالحقائق الجديدة تحتاج إلى مفاهيم جديدة. ولذا، اذ أؤيد الرفيق ويست بأن الصراع الطبقي يبقى بوصفه القوة المحركة للتقدم، اعتبر ان من المهم تدقيق ما الذي نعنيه بهذا الصراع في العالم المعاصر. ان النظرية الماركسية تواجه مهمات معقدة، لاننا بصراحة تخلفنا كثيراً في فهم الحقائق الجديدة.

داميان بريتل: ساضع خطاً تحت المسائل النظرية التي طرحها التفكير السياسي الجديد في جدول العمل. قبل كل شيء ثمة تطور واضح في فهم صيغة «التعايش السلمي»، الذي، اذا لم أكن مخطئاً، لم يعد يطرح كشكل من أشكال الصراع الطبقي. ومن الصعب ايضاً المبالغة في تقدير اهمية فكرة الترابط الديالكتيكي بين الاجتماعي والطبقي في العلاقات الدولية في العصر النووي. ومن جهة أخرى، تعلمنا البيريسترويكا من دون مواربة عدم اخضاع نشاط الاحزاب الشيوعية لمتطلبات سياسة الاتحاد السوفييتي

الخارجية. وأنا أفهم موضوعة «الوحدة في التنوع» كتعاون بين الاحزاب الشيوعية ذات السيادة وعدم وجود حزب زعيم في حركتنا.

أوافق تماماً على رأي الرفيق كراسين بأن التفكير السياسي الجديد يعني العودة إلى الماركسية اللينينية الحقيقية مع أخذ حقائق نهاية القرن العشرين في الحسبان. وأود فقط التركيز على موضوعتي الترابط الوثيق بين الاشتراكية والديمقراطية، وأولوية الممارسة على النظرية، اللتين تناقشان بهذا الشكل الحامي على صفحات الصحف السوفييتية. ومن الهام جداً كذلك التأكيد بأن اهمية العامل الذاتي تنمو في ظروف المجتمع الجديد. وهنا أرى القطيعة مع الافكار الستالينية التي الحقت ضرراً هائلاً بالمجتمع السوفييتي وبهيبة الفكر الاشتراكي ذاته في العالم.

وعموماً يؤكد التفكير السياسي الجديد، مرة أخرى، ان الماركسية الجامدة بحد ذاتها لا وجود لها، لأن الماركسية الجامدة ليست ماركسية. بيد ان البيريسترويكا تشكل حافزاً جباراً ليس لتحرير الماركسية اللينينية من مخالب الجمود العقائدي فحسب، بل من الجمود العقائدي الجديد في عصر بريجنيف ـ سوسلوف.

يبدو لي انه ظهرت مع البيريسترويكا حاجة ملحة لكي يتغلغل التفكير الجديد ايضاً في الفلسفة الماركسية والعلوم الاجتماعية الأخرى. ويجري الحديث عن ترسيخ مفهوم الفلسفة بوصفها علماً لطريقة وشكل التفكير والمعرفة، وليس نظرة مجردة إلى العالم.

خوسيه ريفا: تبرز مع التفكير السياسي الجديد مسألة مبدئية تجري مناقشتها منذ زمن بعيد، ولكنها، في رأينا، لم تتضح حتى الآن، هي مسألة التناسب بين النضال من أجل السلام والتحرر الاجتماعي.

ثمة انطباع في امريكا اللاتينية اليوم ـ وهذا ليس رأي الحزب الشيوعي في الدومينيكان وحده، بل والاحزاب الشيوعية الأخرى في المنطقة أيضاً ـ بأن حل قضايا السلام ونزع السلاح يمكن ان يدفع إلى المقام الثاني التضامن مع نضال الشعوب الساعية إلى التحرر الوطني. كل شيء هنا هام: تحديد الصيغة النظرية الصحيحة وأهم من ذلك محتوى السياسة العملية. يتحدث القادة السوفييت، وبالدرجة الأولى الرفيق غورباتشوف، كثيراً عن الامن المتبادل، عن التشابك في العالم المعاصر وعن المسؤولية المتبادلة. ربما تولي هذه المسائل، في رأينا، اهتماماً زائداً، مفرطاً، وبذلك «تقص اجنحة» حركة التحرر الوطني.

ونعتقد انه تبرز، احياناً، ثقة مفرطة بامكانية معاهدة ما على درء الحرب. بالفعل، تساهم الاتفاقات المعقودة في الآونة الأخيرة في تخفيف حدة التوتر إلى حد ما. ولكن ينبغي ان يؤخذ في الحسبان بصورة دائمة ان أمن الشعوب الحقيقي لا يمكن ان يتحقق إلا

بالتغيير الاجتماعي للعالم. لذا نرى انه إلى جانب النضال من أجل السلام ونزع السلاح ينبغي ان تتطور في الوقت نفسه حركة التحرر الوطني. وأكرر بأن هذه المسألة تثير قلق العديد من الاحزاب الشيوعية في قارتنا.

جيمس ويست: اوافق عموماً على ما قاله الرفيق كراسين، باستثناء المسألة حول عمال الفروع الاساسية، التقليدية من الصناعة. فثمة ميل إلى تجاهل هذه الفئة، التي يزعم انها تفقد دورها الجدي. ويولي عمال الفروع الجديدة، النامية الاهتمام الاساسي. في حين انه في كل مجتمع صناعي يوجد عمال في الفروع الصناعية القاعدية، وسيبقى دورهم حاسماً. ان عمال فروع الصناعة الاساسية هم حاملو افضل التقاليد التاريخية للطبقة بأسرها. علماً بأن بعض الفروع الجديدة تدخل ايضاً في عداد الفروع الاساسية.

وثمة أمر آخر ايضاً. فحزبنا يدرك ضرورة اعادة البناء (البيريسترويكا) والعلنية (الغلاسنوست)، ويتمنى نجاحهما التام. فمن شأن ذلك ان يؤكد تفوق الاشتراكية الراجح على الرأسمالية وان يمارس تأثيراً ثورياً. ولكنني أود لفت الانتباه إلى انه تظهر الآن قضية أكثر جدية تتعلق بطابع عدد من الكتابات في نشرات من نوع «انباء موسكو» و«الازمنة الحديثة» و«قضايا السلم والاشتراكية». اعتقد ان الرفاق السوفييت يتحملون مسؤولية خاصة عن الكتابات في الصحافة السوفييتية والشيوعية، التي غالباً ما تعتبر في الولايات المتحدة انعكاساً لموقف الاتحاد السوفييتي الرسمي. وينبغي ان يؤخذ في الحسبان رد الفعل على هذا النوع من المواد في الخارج من جانب الشيوعيين وغير الشيوعيين.

ففي هذا الصدد تنشأ شكوك حول القيمة الراهنة للماركسية اللينينية واستقلالية مواقفنا السابقة، الخ، وبصورة خاصة عند نشر التصريحات المعادية للماركسية اللينينية دون جدال أو انتقاد. من هنا تنبع الاهمية الاستثنائية لاظهار الاستمرارية بين الماضي والحاضر، واضفاء طابع ملموس على اخطاء الماضي وتوضيح الظروف المتغيرة. فالبرجوازية تفسر بدورها التفكير الجديد كنداء لعودة الرأسمالية.

لذا تجنباً للبلبلة ينبغي النضال من أجل الفهم الصحيح للتفكير الجديد موضحين انه شكل من أشكال تطور نظرية الاشتراكية العلمية في اتجاهات جديدة. وفي سياق خطر الكارثة النووية وكذلك خطر الاخلال بالميزان الاقتصادي العالمي، والمجاعة في العالم وغيرها، من الهام بصورة خاصة تأكيد المحتوى الانساني الاساسي والمعايير الاخلاقية السامية للماركسية اللينينية، التي حددت تطورها منذ البداية. ويجري الحديث عملياً عن ضرورة الهجوم الايديولوجي، من أجل ارغام الامبريالية على اتخاذ موقف الدفاع الايديولوجي حول هذه القضايا. وهكذا، بامكاننا، من بين أمور اخرى، تنشيط التعاون

بين اوسع الفئات، وبينهم الرأسماليون من أصحاب التفكير السليم، من أجل خير البشرية العام.

يوري كراسين: اسمحوا لي بملاحظتين. اولاً حول مداخلة الرفيق ريفا. في رأيي ان تجربة الثورات الوطنية التحررية، بما في ذلك في منطقة امريكا اللاتينية، اظهرت بوضوح كاف ان قضية الاقتصاد هي العقبة الاشد صعوبة التي تعترضها. وحتى عندما تنتصر الثورة كما حصل في شيلي مثلاً، أو كما يجري الآن في نيكاراغوا، تصطدم فوراً بالبرنامج الاقتصادي وتأخذ في المراوحة. على هذا الاساس بالذات نضج الانقلاب المعادي للثورة في شيلي. وباختصار، أود القول ان حل قضايا الثورات الوطنية التحررية في عالمنا الراهن المتكامل يرتبط، دون شك، باقامة نظام اقتصادي دولي ديمقراطي. ويتشابك هذا بدوره، بصورة عضوية، مع مسائل نزع السلاح، أي توفير الوسائل لتلبية الحاجات الملحة والمستقبلية لسكان الأرض ولازالة العلاقات الاقتصادية غير العادلة. لا أريد اطلاقاً شطب دور الحركات التحررية نفسها، بيد ان القضية هنا تخرج إلى المستوى العالمي وتتشابك بصورة وثيقة بالنضال من أجل عالم خال من العنف، من أجل نزع السلاح. ان الثورية في ايامنا تفرض التفكير، ليس بمعايير السياسة الوطنية فحسب، بل بمعايير السياسة العالمية أيضاً.

وثانياً، حول ملاحظات الرفيق ويست. اذا فهمت ما قاله بصورة صحيحة، فانه شكا من ان بعض الصحف عندنا يخلق للشيوعيين المشكلات أكثر مما يجلب لهم النفع، وطرح مسألة المسؤولية الخاصة التي تتحملها الصحافة السوفييتية.

ربما ستبدو اجابتي حادة. أنا على يقين من انه لا يمكن ان توجد حقيقتان، واحدة لسكان الاتحاد السوفييتي وأخرى للرأي العام والشيوعيين في البلدان الاجنبية. الحقيقة واحدة، انها لا تنقسم، ولا يمكن تجزئتها وفقاً لطابع جمهور القراء. ولكن ينبغي، بالطبع، ان تؤخذ في الحسبان، في الكتابات، خصائص التجربة التاريخية ونفسية وامزجة الشعوب التي يتوجه اليها الكاتب أو العالم أو السياسي. فعندما نكتب للقارىء الغربي، الاقل اطلاعاً على الواقع السوفييتي، ربما من الضروري ان نوازن بين نقد الجوانب السلبية في حياتنا، تلك الجوانب التي من الطبيعي ان يجري التركيز عليها في مجرى البيريسترويكا، والحديث عن انجازات الاشتراكية، التي لا نتحدث عنها عندنا لانها بديهية بالنسبة لنا. فكل مواطن سوفييتي يعرفها وهو على مقاعد الدراسة، الأمر الذي لا ينطبق على القارىء الغربي. واعتقد انه من الضروري الحفاظ على مثل هذا التوازن.

الموقف من اخطاء الماضي السياسية

جيمس ويست: ان تطوير الماركسية اللينينية مستحيل، بالطبع، من دون دراسة التاريخ بتمعن. فالحاضر يولد من الماضي بكل ما يكتنفه من مصاعب ونقاط ضعف. وثمة ما يربطنا بالماضي. فلا يمكن نفيه بالكامل. انه يتمثل بحياة الناس وخدمتهم الطويلة لمصالح الاشتراكية والسلام، وآمالهم وكرامتهم. ولا يجوز نسيان ذلك. إعتقد انه حان الوقت لكي تشرع الحركة الشيوعية العالمية في دراسة تاريخها بجهود جماعية.. وهذا هام بصورة خاصة في ضوء الاتجاه الملاحظ لتصوير مجمل نشاط الاممية الشيوعية وكأنه خطأ شامل، وشطب دورها الكبير في فترة ما قبل الحرب. فمسار ونتائج عمل المؤتمر السابع للكومنترن غنية بالدروس التي لم تفقد حيويتها حتى الآن.

الرفيق كراسين محق تماماً في تناوله التغيرات الثورية العميقة الممكنة نتيجة البيريسترويكا والغلاسنوست، في سياق الافق التاريخي. ففي «الثامن عشر من برومير لويس بونابرت» كتب ماركس ان ثورات الطبقة العاملة ينبغي ان تنتقد نفسها باستمرار، وتصحح اخطاءها في اثناء مسارها، وتعود إلى ما تعتقد انه انجز لكي تبدأ من جديد، مدركة النواقص وعدم كمال المحاولات الأولى للقيام بالتحولات.

مفهوم ان بناء الاشتراكية في أي بلد ليس بالعمل السهل. ويمكن الافتراض ان الانتقال إلى الاشتراكية في الولايات المتحدة سوف يقترن ايضاً باخطاء معينة وانحرافات، وربما بانتهاكات خطيرة للقانون احياناً. لدينا افضلية تتمثل في الروح العملية الكبيرة لدى الطبقة العاملة الامريكية. وفي الوقت نفسه ستكون مشكلاتنا الأكبر ذات طابع ايديولوجي.

وبديهي ان الاشتراكية في كل بلد ستكون لها ندوبها وسماتها الموروثة عن التاريخ الملموس للاستغلال الرأسمالي أو الاقطاعي. وينبغي ان نتعلم الكثير. فتصحيح الاخطاء في الاتحاد السوفييتي لا يلغي اخطاءنا الخاصة. ولكن أسوأ ما يكون هو الا يفعل الانسان شيئاً.

خوسيه ريفا: ان البيريسترويكا تتسم باهمية بالغة بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، لأنها دشنت مرحلة جديدة تماماً في تاريخها، مرحلة النقاشات وتبادل الآراء بصراحة واذا «حلت» في الماضي بعض المسائل، احياناً، بالابتعاد عن بعضنا البعض، فان الواقع نفسه يفرض علينا الآن ان نناقش بصورة مشتركة الافكار والقضايا الجديدة التي تنشأ سواء في حياة شيوعيي البلدان الاشتراكية أو الاحزاب العاملة في الظروف الاجتماعية الأخرى.

منذ الستينات اعتبر الحزب الشيوعي في الدومينيكان ان ضرورة التغيير في البلدان

الاشتراكية قد نضجت. وأود التذكير ان حزبنا رفض في عام ١٩٦٩ التوقيع على الوثيقة الختامية لاجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية الاخير في موسكو، لعدم موافقته على بعض موضوعاتها. وهذه الموضوعات بالذات كانت، فيما بعد، سبب العديد من الانحرافات، «اليسارية» واليمينية، التي جرت في الحركة الشيوعية. ولم يفهم المشاركون والاجتماع موقفنا آنذاك، الأمر الذي سبب لحزبنا جملة من المصاعب في إطار الحركة. أود من حديثي عن الماضي مجرد القول انه نضجت منذ زمن بعيد ضرورة التحولات في البلدان الاشتراكية، من أجل استعادة جاذبية النظام الجُديد في مختلف انحاء العالم.

والآن، بعد ان طرحت البيريسترويكا الكثير من المسائل بكل هذا الوضوح، نفهم جميعاً ان الاشتراكية، اذ تشكل نظاماً أكثر انسانية وديمقراطية وعدالة من الرأسمالية، ارتكبت مع ذلك مجموعة من الاخطاء الكبيرة، التي من الضروري الحديث عنها بصراحة من أجل تفسير طبيعتها والعمل على تصحيحها. وأنا اوافق مع الرفيق كراسين بانه لا يجوز اخفاء أي شيء فالسكوت عما يجري في عدد من البلدان الاشتراكية قضية جدية. واعتقد انه اذا استمرت هذه الممارسة في المستقبل ستلحق ضرراً كبيراً، ليس بشيوعيي البلدان الاشتراكية فحسب، بل وبهيبة الاحزاب الشقيقة الأخرى أيضاً. والأمر نفسه ينطبق على مسائل التسلط والاسلوب غير الديمقراطي في قيادة الدولة، الذي كان قائماً في العديد من البلدان الاشتراكية، وبالدرجة الأولى، في الاتحاد السوفييتي. فهذه الممارسة غير الديمقراطية ادت إلى تراجع اهتمام الجماهير الواسعة ببناء المجتمع الجديد. هذه الأمور بالذات يأخذها حزبنا في الاعتبار، مدركاً تماماً ان البيريسترويكا هي وليدة الحياة نفسها من أجل اظهار الامكانات الهائلة للاشتراكية، ليس في الاتحاد السوفييتي فحسب، بل وفي العالم بأسره أيضاً.

جرى الحديث هنا عن الموقف من الاخطاء. في رأيي ان الاخطاء التي ارتكبت في مجرى البناء الاشتراكي مفهومة تماماً.. فالاشتراكية، كتشكيلة، فتية جداً، وقد بنيت في الاتحاد السوفييتي من الصفر عملياً، من دون أية تجربة مسبقة. ولذا كان من الممكن ارتكاب الاخطاء. ولدى الاشتراكية الآن كل الامكانات لكي تصحح نواقصها وتبرهن على حيويتها العالية.

أنا لا اوافق على ان مناقشة معضلات الاشتراكية تلحق الضرر بها. فالتحليل النزيه، الهادىء للهفوات المقترفة هو وحده الذي يضمن عدم تكرارها في المستقبل. ولا اعتقد ايضاً ان النقد الصريح والنقد الذاتي يتعارضان مع الماركسية اللينينية، بل ان هذا التناول، على العكس، يتفق مع روح تعاليمنا نفسها.

بابلو ساندوفال راميريس: أود ان اعارض الرفيق ويست، مع التأكيد مسبقاً على

تضامن حزبنا مع الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة، الذي يناضل في البلد الامبريالي الرئيسي في عالمنا المعاصر.

الحديث لا يمكن ان يجري عن «الطابع الطبيعي للاخطاء» المقترفة في مجرى بناء الاشتراكية. فالبيريسترويكا طرحت امامنا جميعاً مسألة ضرورة تجاوز هذا التقبل الطبيعي الميكانيكي والمباشر للتاريخ. فالانسان هو الذي يصنع التاريخ. والستالينية لم تكن شراً محتماً، كما لم تكن محتمة اخطاء عصر الستالينية وجرائمه.

ان التحليل المتسم بالنقد الذاتي للطريق الذي تم اجتيازه هو، في رأيي، احد الجوانب الرئيسية لعملية التجديد في الاتحاد السوفييتي. فاعادة الفهم العميقة للتاريخ تجري في واقع الأمر، لأن ثمة ضرورة لاعادة بناء امور كثيرة، واستبعاد تكرار الاخطاء والجرائم المرتكبة في المستقبل، ومن الهام جداً في هذا السياق ان يقوّم على نحو جديد نشاط العديد من قادة ثورة اكتوبر البارزين، الذين طوى النسيان اسماءهم أو لعنوا عن غير حق.

بامكاننا الموافقة أو عدم الموافقة على بعض مواقف بوخارين، مثلاً، ولكننا ينبغي، دون شك، ان نرحب باعادة الاعتبار اليه. واعتقد انه ينبغي فعل الشيء نفسه بالنسبة لتروتسكي، الذي لم يكن مطلقاً «عميلاً للفاشية» و«مأجور للامبريالية». ويمكننا قبول افكاره أو رفضها، ولكن لا يجوز شطب حقيقة ان تروتسكي كان أحد زعماء حزب البلاشفة وترأس سوفييت بتروغراد وقاد الجيش الأحمر. اعتقد انه تجري الآن محاولة تقييم دوره بصورة صحيحة في التاريخ، ولكن يجب اعادة الاعتبار اليه سياسياً بأسرع ما يمكن. ربما ليس من السهل القيام بذلك، لأن تروتسكي لم يحاكم مثل بوخارين، ولكنه هو أيضاً شهّر به سياسياً ثم جرت تصفيته جسدياً. وأكرر، ينبغي تقويم دور تروتسكي في التاريخ بصورة عادلة..

وبالفعل ان دراسة البانوراما التاريخية للسنوات المنصرمة هي مهمتنا الثورية المشتركة. وقد جمعت في المكسيك مادة كبيرة يمكن ان تساعد في استعادة الحقيقة حول تروتسكي. فمن المعروف انه اغتيل في بلادنا. وقد حاول مبعوثو الكومنتيرن في حينه جر قادة الحزب الشيوعي المكسيكي، آنذاك، إلى المشاركة في هذه الاحداث المأساوية. ولكنهم رفضوا، الأمر الذي شكل حجة لاتهامهم بالتروتسكية (فالنتين كامبا، على سبيل المثال) وطردهم من صفوف الحزب.

جيمس ويست: اعتقد، يارفيق ساندوفال، ان ثمة جملة من الخلافات الجوهرية في موقفنا من تقويم تروتسكي والتروتسكية. ولكن ينبغي ألا نوليها اهمية جدية مع ذلك في ضوء ضرورة التوحيد الملحة في صالح الطبقة العاملة في البلدين. آمل في آن بامكاننا

النضال في جبهة واحدة ضد العدو المشترك ـ الشركات والبنوك الامريكية فوق القومية، التي تستغل بلا رحمة العمال المكسيكيين والامريكيين على حد سواء.

يوري كراسين: اوافق تماماً على رأي الرفيق ساندوفال بأنه ينبغي اظهار دور تروتسكي كما كان في الواقع. فهذا هو التناول الماركسي الصحيح الوحيد. ولذا فمما لا ريب فيه ان يستعيد علم التاريخ دوره في ثورة اكتوبر. ولكن ذلك، في اعتقادي، لا يعادل اعادة الاعتبار السياسي له. فلو تمعنا في جوهر نظريته، فانه اقترح اقامة نظام اداري اوامري. وفق التعبير المعاصر، في الاتحاد السوفييتي. وبكلمات اخرى، بالرغم من كل ما في هذا الأمر من مفارقة، ثمة شيء من التشابه الداخلي بين التروتسكية والستالينية، اللتين اعتمدتا فقط على طرق القسر، الادارية والاوامرية في حكم البلاد. الموافقة على ان هذا هو موقف ايجابي ـ وهذا بالذات ما تتطلبه اعادة الاعتبار السياسية ـ اعتقد انه غير جائز على الاطلاق.

وعموماً أود ان أقول، بالمناسبة، ان ثمة مفهومين فلسفيين اساسيين في الحركة الثورية. الأول ينطلق من ان الاقلية، أي الحزب، هي المعبر عن الحقيقة وينبغي ان «تسعد»، اذا صح القول، الاغلبية، أي الشعب، بنشاطها. ان مجرد طرح المسألة يركز على الاكراه، على الطرق الادارية وفرض ارادة الاقلية على الجماهير.

المفهوم الثاني، وهو المفهوم اللينيني الحقيقي، يتلخص فيما يأتي: ان على الاقلية الواعية ـ أي الحزب ـ ان تسير في الطليعة، ولكن مع الجماهير، دون ان تسبق تطور الجماهير، بل ان تساهم فيه. وعندئذ لن يكون الشعب مجرد هدف، بل فاعلاً للابداع التاريخي. من وجهة النظر هذه يقف هذا المفهوم اللينيني بوضوح سواء ضد شتى انواع النظريات اليسارية الراديكالية المتطرفة، أو التروتسكية والستالينية اللتين تعتبران الشعب مجرد هدف للمناورات.

بابلو ساندوفال راميريس: الرفيق كراسين على حق. فالميل إلى الممارسة الادارية جعلت تروتسكي شبيهاً بستالين إلى حد كبير. ومن يدري، فلو بقي هو في قيادة البلاد لربما مارس سياسة شبيهة جداً بسياسة ستالين. وقد اشار لينين في «رسالته الشهيرة إلى المؤتمر» إلى شغف تروتسكي المفرط بالجانب الاداري من الأمور. ولكن الرسالة وصفته ايضاً بأنه أكثر الاشخاص مقدرة في اللجنة المركزية. لينين يعطي تقويماً سياسياً، لا مكان فيه لاية اتهامات مختلقة ضد تروتسكي. هذا ما قصدته عندما قلت بضرورة اعادة الاعتبار اليه.

جورج طوبي: بضع كلمات حول دور تروتسكي. ان هذه مسألة هامة بالنسبة لحركتنا، وتحتاج إلى تحليل ملموس. أنا اوافق على ما قاله كراسين. وأود الاشارة إلى

المسألة الآتية. نعرف جميعاً ونذكر ان تروتسكي عمل، من بين أمور أخرى، على اثبات استحالة بناء الاشتراكية في بلد واحد. وقد ثبت خطأ هذه النظرية منذ زمن بعيد. وبالتالي، لا يمكن العودة إلى مفاهيم تروتسكي الخاطئة واعادة الاعتبار اليها. فالتروتسكية موجودة، وهي لم تختف. لا أعرف تفاصيل هذا الأمر في المكسيك، ولكنني على معرفة جيدة بالوضع في اسرائيل. فنحن الشيوعيين مازلنا نصطدم بمجموعات تروتسكية قليلة العدد ولكنها كثيرة الصخب، تحاول استغلال حتى عملية البيريسترويكا في الاتحاد السوفييتي من أجل احياء مفاهيم تروتسكي السياسية المغامرة المعادية للماركسية. لذا فان المسألة التي تطرق اليها الرفيق ساندوفال ليست بالبساطة التي تبدو للوهلة الأولى.

داميان بريتل: لقد قلت ان الماضي جزء من ثقافة الحاضر، وبهذا المعنى اعتقد ان من الضروري اعادة النظر في تاريخ الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي السوفييتي وثورة اكتوبر، وتطهيره من التزييفات ومما سكتوا عنه في عهدي الستالينية والستالينية الجديدة. أي، باختصار، استعادة الحقيقة التاريخية بصورة كاملة.

ومن جهة أخرى، علينا ان نعترف جميعاً انه حصل في الماضي تشويه لتاريخ عدد من الاحزاب الشيوعية. بل وأكثر من ذلك، ومن المخجل الاعتراف بهذا الأمر، ليس ثمة حتى الآن دراسة ماركسية موضوعية حول تاريخ الحركة الشيوعية العالمية. واعتقد انه قد آن الاوان لوضع مؤلف يعكس تاريخ حركتنا الغني جداً بكل نجاحاتها واخفاقاتها. ويتطلب ذلك تنسيق عمل الباحثين الماركسيين في البلدان الاشتراكية والرأسمالية.

اقترح ان تطرح أمام الحزب الشيوعي السوفييتي مسألة فتح ارشيف الكومنتيرن ووضعه تحت تصرف الباحثين من الاحزاب الشيوعية كافة. وأود ان أقول بأن ارشيف الحزب الشيوعي الاسباني مفتوح منذ سنوات، ليس أمام الباحثين الماركسيين فحسب، بل وأمام الباحثين من الاتجاه المغاير ايضاً، من أجل دراسة تاريخ حزبنا.

واعتقد انه من المناسب ان تقوم مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» بتنسيق عمل الماركسيين في ميدان تاريخ الحركة الشيوعية. فضلاً عن ذلك، يمكن ان تبدأ المجلة باصدار اعمال المؤلفين الماركسيين من مختلف البلدان، التي تهم الاحزاب الشيوعية الأخرى.

خوسه ريفا: اعتقد انه قد آن الاوان كذلك لكي يكتب العلماء السوفييت والمؤرخون المنتمون إلى الاحزاب الشقيقة الأخرى من جديد عملياً تاريخ الحركة الشيوعية العالمية. فمن المستحيل ابقاء «بقع بيضاء» فيه.

يوري كراسين: تزداد باطراد الحاجة إلى مركز عالمي للدراسات الماركسية. بيد ان

الخطوة الأولى يجب ان تكون فتح جميع الارشيفات أمام الباحثين.

خوسيه ريفا: ان هذا يتعلق بالحزب الشيوعي السوفييتي بالدرجة الأولى.

حول التغلب على القوالب الجامدة في التعاون

بابلو ساندوفال: يرتبط أحد القوالب الجامدة بفهم طابع التفاعل والتعاون في إطار الحركة الشيوعية العالمية، التي يعتبرها العديد من الشيوعيين طائفة مغلقة على نفسها منعزلة عن العالم الخارجي. وقد أظهرت البيريسترويكا بهتان هذا القالب الجامد. وتتلخص مهمتنا المشتركة في تأمين التفاعل بين مختلف الاتجاهات في الحركة الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية عموماً في العالم والاحزاب العمالية، التي تفهم الماركسية على نحو متباين. وهذه كلها مهمات مفيدة طرحتها البيريسترويكا في حينه.

خوسيه ريفا: اعتقد ان أهم ما في البيريسترويكا بالنسبة للشيوعيين كافة هو كونها تسعى إلى وضع حد للنزعتين التبسيطية والعقائدية الجامدة اللتين سادتا في الحركة الشيوعية. ويفرض علينا هذا فهم تراث الماركسية اللينينية في ظروف الحياة المعاصرة بصورة خلاقة.

جيمس ويست: يتعين التخلص من الكثير من القوالب الجامدة اليوم في ظروف الوضع الدولي الجديد، وفي ضوء مبادرات الاتحاد السوفييتي وتنامي دور الاحزاب الشقيقة. ويكفي التذكير بتأثير الموضوعة التي تستخدمها الدعاية الرأسمالية عن الاحزاب الشيوعية بوصفها «عميلة الموسكو». وينبغي ألا ننسى ايضاً معضلات ومخاطر «الشيوعية الاوروبية» التي تطرح «الشيوعية القومية» في مواجهة الاممية. ان التخلي عن القوالب الجامدة والتغلب على عواقب «الشيوعية الاوروبية» وغيرها من الانحرافات بالنسبة إلى الماركسية اللينينية ـ كل ذلك ينبغي ان يساعد على فتح الآفاق الملائمة للجهود المشتركة للاحزاب الشيوعية والعمالية في الظروف الجديدة.

يوري كراسين: أود لفت الانتباه إلى جانب واحد فقط من القضية مدار البحث، هو ضرورة التغلب على الأصولية الماركسية العقائدية الجامدة، اذا صح القول. ويبدو لي ان هذا هو المطلب الرئيسي الذي ينبع اليوم من البيريسترويكا، وبالدرجة الأولى، من التفكير السياسي الجديد.

فنحن احياناً، ودون ان ندري، نفسر المصلحة الطبقية وكأنها حاجز يفصل الماركسية والشيوعيين عن القوى الاجتماعية السياسية الأخرى. ولن اتحدث عن التاريخ، فيكفي التذكير بصيغة «طبقة ضد طبقة» التي رفعها الكومنتيرن في حينه. واليوم ايضاً

تتجلى باستمرار عوارض هذا المرض في الفكر الاجتماعي في بلادنا وحزبنا، في أقل تقدير.

في حين ان مجمل مغزى النظرة الماركسية إلى العالم، وبالدرجة الأولى، اللينينية (اكتفي، لضيق الوقت، بالاشارة إلى كتاب لينين «ما العمل؟») هو في السعي إلى السير على طريق الحضارة الرئيسي، وربط الماركسية، والحركة الشيوعية بالتالي، بنشاط القوى الأكثر اتساعاً. ولنذكر نداء لينين: «ينبغي ألا ينغلق الشيوعيون على انفسهم...»[1]. ولكن كثيراً ما يحدث عكس ذلك في الواقع. ففي الأونة الأخيرة ظهر في عدد من بلدان اوربا الغربية على وجه الخصوص ما يشبه النزعة العمالية الانعزالية. وقد نشأت هذه النزعة، أوبالاحرى انبعثت على تربة المعارك الدفاعية التي تخوضها الفئات التقليدية من الطبقة العاملة من أجل بقائها في عصر الثورة التكنولوجية. وهذه معضلة كبيرة. فمن المدمر بالنسبة للحركة العمالية ذات التقاليد الاممية الانسانية ان تكون على هامش طريق الحضارة الرئيسي.

فاذا سار الشيوعيون على طريق الانعزال فسينشأ خطر انطوائهم في ما يشبه الاصولية العقائدية الجامدة، حيث يمكن الانغماس في الحنين إلى الماضي، ولكن من المستحيل رؤية العالم كما هو في الواقع، بكل تكامله المتناقض داخلياً. ويبدو، انه لابد في حركتنا من تغيير الوعي بصورة جدية.

داميان بريتل: في العصر الراهن، حيث يتعين مناقشة وفهم الكثير من المسائل الجديدة التي تؤثر بصورة مباشرة في نشاط احزابنا ونضالها، من المهم بصورة غير اعتيادية تطوير التعاون بين الماركسيين، مع التخلص من الروتين والشكلية والقوالب الجامدة. في هذا المجال اعلق آمالاً كبيرة على ترسيخ معيار «الوحدة في التنوع» في الحركة الشيوعية العالمية، الأمر الذي تساهم فيه عملية البيريسترويكا.

إلا ان القوالب الجامدة لا تزال تضغط علينا. فنحن، مثلاً، نعتبر ان من المفيد تبادل الوفود في إطار التعاون الثنائي. ولكن غالباً ما يحدث ان وفد الحزب الشيوعي الاسباني عندما يصل إلى هذا البلد أو ذاك يستقبل ببرنامج سبق ان تم وضعه بالتفصيل. وعند وصول الوفد يجري التشاور معه. ولكن لا يتغير أي شيء بصورة جذرية. وأود ان اقترح شكلاً آخر من الممارسة، هو ان يصوغ الحزبان معاً بصورة مسبقة برنامج الزيارات المقبلة للوفود فهذا ما يجعل هذه الزيارات أكثر فائدة بكثير.

أو لنأخذ ميداناً آخر للتعاون. ليس ثمة لدى الكثير من الاحزاب الشقيقة مدارسها الخاصة للاسف. في حين ان التثقيف السياسي للشيوعيين والكوادر يكتسب اهمية متزايدة. ومن المفيد جداً بالنسبة لنا نحن، في الحزب الشيوعي الاسباني، الاستفادة من

مدارس الاحزاب الشيوعية الأخرى. ولكننا نود أن يجري اعداد البرامج الدراسية، ليس من قبل الجانب الذي يستقبل الطلاب فحسب، وبالدرجة الأولى، من قبل الحزب الذي يرسلهم. واعتقد ان التثقيف في مثل هذه الحالة سيكون أكثر توجهاً نحو القضايا الفعلية. ويبدو لي اننا هنا نواجه شكلاً جديداً من التعاون يمكن ان يكون مفيداً بصورة استثنائية.

جورج طوبي: ثمة حاجة تواجه الشيوعيين في الظروف الراهنة وأكثر من أي وقت مضى إلى تعميق التفاهم والتعاون وتوطيد الوحدة في حركتنا الشيوعية، ومناقشة الاشكال والسبل الجديدة لتطويرها.

فعلى سبيل المثال، اعتبر منذ زمن قريب ان اللقاءات الدولية والاقليمية للشيوعيين ينبغي ان تجري في ظروف وجود الاجماع التام والمشاركة الشاملة.

وفي النتيجة جرى آخر لقاء للحركة الشيوعية منذ عشرين عاماً تقريباً. منذ ذلك الحين تغير الكثير، وتواجهنا مهمات جديدة، وقد آن الأوان الآن لاعادة النظر بهذه القاعدة غير المكتوبة واحياء تقليد اجراء اللقاءات والمشاورات الدولية من دون قيود ومن دون اتخاذ الوثائق الختامية الملزمة. والبيريسترويكا، كما اعتقد، سوف تساعدنا على التخلص من القوالب البالية في هذا المجال ايضاً.

---

(١) لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد ٤٥، ص ١٤٣. (باللغة الروسية).

فلسفة ماركس من التأويل العقائدي الجامد الى التطور الابداعي

خوليان بريتيل(*)

ان وقائع نهاية القرن العشرين الاجتماعية تفرض ضرورة تطوير نظريتنا الماركسية بشكل جوهري. والحال ان التطور والسير إلى الأمام ليسا مجرد اضافة طوابق جديدة إلى «المبنى» القائم، بل اعادة بنائه إلى حد معين واعادة البناء هذه تستلزم ادخال تعديلات على الموضوعات والتصورات السابقة والاستعاضة عن الصيغ والاحكام البالية، انها بكلمة، تستلزم عملاً معقداً يستحيل تنفيذه بدون استخدام اثمن اداة في الفلسفة الماركسية ألا وهي الاسلوب الديالكتيكي.

بيد انه، على الرغم من الاعتراف قولاً بقيمة الديالكتيك واهميته، ساد فعلاً في نظريتنا مدة طويلة نقيضة أي الجمود العقائدي. وغالباً ما يرد في أعمال مبسطة معاصرة - تصوغ على اساسها جماهير القراء قناعاتها - ان ماركس وانجلز وقفا بالمرصاد للتحريفية اليمينية، وقلما يشار فيها إلى نضالهما ضد الابتذال والجمود العقائدي. ونتيجة لذلك تظهر تصورات كاذبة وكأن الكلاسيكيين اعتبرا المفاهيم المبتذلة والجامدة أقل خطراً على الحركة العمالية، في حين ان مؤسسي الماركسية انتقدا دوماً تأويلاتها الجامدة انتقاداً حاداً. ومما له دلالته ان ماركس، حين كان يصطدم بتأويلات مبتذلة ساذجة لتعاليمه، كان ينفجر احياناً قائلاً: «انني اعرف شيئاً واحداً فقط هو انني لست ماركسياً».

---

* عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني، دكتور في علوم الفلسفة.

لقد انتشر الاسلوب العقائدي الجامد في التفكير على نطاق واسع جداً في عهد ستالين. وهذا الاسلوب لم يكن يفيد التحريفية اليمينية فحسب، بل قدم لها حججاً معينة للانتقاد، بل وادى أيضاً إلى تأخر جدي للنظرية والاستراتيجية الثورية عن مواكبة الزمن. ان التفكير السياسي الجديد قد غير الاوضاع الناشئة بشكل جذري وفتح آفاقاً رحبة أمام الابداع العلمي. غير ان تحقيق هذه الامكانات رهن بضرورة حل عدد من المهام، وفي مقدمتها المهام ذات الطابع الفلسفي المنهجي.

الدور الاساسي للاسلوب

في عهد ماركس وانجلز كان القلائل من رفاقهم في الفكر يمتلكون ناصية فن الديالكتيك. وكان انجلز يشكو قائلاً ان ثمة في الحركة العمالية الالمانية عدداً نزيراً جداً من الناس القادرين على تطوير النظرية بشكل ابداعي جدي. أما الذين كانت لهم مؤهلات نظرية بارزة، مثل اوغست بيبل، فقد اضطروا إلى تكريس حياتهم لحل المهام العملية. كتب انجلز يقول: «ان العمل الملموس للحزب لا يسمح باظهار ميزته الفضلى إلا من خلال وضع النظرية موضع التطبيق»[1]. ويبدو، ان عدداً آخر من الماركسيين الشباب الموهوبين قد لاقوا المصير ذاته، وفي المحصلة، برز بينهم عدد أكبر من المؤولين مما برز من القادرين على العمل النظري الكبير.

ومن الهام في هذا الصدد ان نذكر كلمات انجلز الآتية: «تعتبر كلمة «مادية» عموماً بالنسبة لعدد كبير من الكتاب الشباب في المانيا مجرد لافتة يلصقونها على أي شيء كان، دون ان يتكلفوا مشقة مواصلة الاستقصاء، أي انهم يعتقدون انهم اذا ما الصقوا هذه اللافتة يحلون كل شيء. إلا ان فهمنا للتاريخ هو، قبل كل شيء، دليل للاستقصاء وليس اداة للتعميم على الطريقة الهيغيلية»[2].

ان فكرة الدور الاساسي للاسلوب في البحوث النظرية تتكرر عند انجلز مراراً. وعلى سبيل المثال يؤكد في احدى رسائله قائلاً: «... لقد كنا نركز بالاساس (يدور الحديث حول العمل العلمي المشترك مع ماركس» - د. ب.)، وكان يجب ان نركز اولاً، على استخلاص مفاهيم سياسية وحقوقية ومفاهيم ايديولوجية أخرى وما تشترطه من أعمال - على استخلاصها من الوقائع الاقتصادية الكامنة في اساسها. علماً باننا قد اهملنا آنذاك، في سبيل المضمون، مسألة الشكل: ما هي الطرق التي يجري من خلالها تكون هذه المفاهيم وما شابه. وهذا ما ترك لاخصامنا فرصة التأويل الخاطيء»[3].

ويلفت نظرنا ان انجلز يهتم هنا، أكثر ما يهتم، بمنشأ الافكار ومنطق تطور الفكر النظري، أي المنطق الديالكتيكي. وتتناول الموضوع ذاته رسالة أخرى جاء فيها: «ان كل

مفهوم ماركس عن العالم (Auffassungsweise) ليس مذهباً، بل اسلوباً وهذا المفهوم ليس عقائد جاهزة، بل نقاط انطلاق لمواصلة الاستقصاء اللاحق واسلوب هذا الاستقصاء»[4].

فما هو سبب اصرار انجلز على الذود عن هذه الافكار؟ لقد اكدت الممارسة ان الفكر العلمي، اذا لم يستوعب الديالكتيك يفقد الحافز الابداعي ويتجمد ويكتفي بتعداد الوقائع والتواريخ والاحداث والامثلة. ويحدث، بالتالي، تحريف غير واع لتعاليم ماركس الذي اشار إلى ان «هيغل لم ينعت ابداً بالديالكتيك اخضاع كثرة من «الاحداث» لمبدأ عام». [5]. وفضلاً عن ذلك يعتبر الجمود العقائدي افكار مؤسسي الماركسية صالحة لكل الحالات، على الرغم من ان ماركس أكد أكثر من مرة انه تجري فيها تغيرات مستمرة تتسم باهمية عقائدية وتنشأ فروع جديدة للمعرفة ومذاهب وافكار تدل بوضوح على ارتباط تطور الفكر بالظروف الملموسة. فالمبدأ المنهجي الرئيسي لماركس هو التحليل الملموس للاوضاع الملموسة. وليس من قبيل المصادفة ان انتقد انجلز اولئك الذين «يطلقون صفة الاطلاق على الموضوعات التي لا يعتبرها ماركس صالحة إلا في ظروف معينة»[6] ويتلخص عيب هذا التناول في كونه يضفي قالباً جامداً على النظرية ويفقدها امكانات التطور الذاتي، وبالتالي، تأثيرها الفعال في الممارسة وسير التاريخ.

وفي المحصلة، فان المنظمات السياسية للطبقة العاملة، اذ تسترشد بمثل هذه القوالب تصبح عند لحظة معينة شبيهة بالطوائف وتتحول إلى مجموعات واحزاب منغلقة على نفسها، ضعيفة الارتباط بالعمليات الواقعية في الحياة الاجتماعية. وقد اشار انجلز إلى ان شخصيات مثل هذه المنظمات «لا يستطيعون ادراك هذه النظرية الحية، نظرية الفعل والعمل مع الطبقة العاملة في كل المراحل المحتملة من تطورها، إلا كمجموعة من العقائد المفروض حفظها عن ظهر قلب وتكرارها بصوت عال مثل طلاسم السحر أو الصلاة الكاثوليكية»[7]. وأكد ان احزاباً كهذه تصل إلى لا شيء «ستأتي، كما يقول هيغل، من لا شيء وتمر عبر لا شيء»[8]. وتتوافق مع هذه الفكرة موضوعة ماركس الآتية: «لا يجوز نسيان ان رابطتنا منظمة كفاحية للبروليتاريا وليست البتة جمعية أسست لابراز هواة سطحيين - منظرين غير عمليين»[9].

ان مؤسسي تعاليمنا، اذ ادركا خطر مثل هذه الظواهر، طرحا مهمة عرض الديالكتيك، أي نظرية الاسلوب، بشكل منسق. لقد، كتب ماركس إلى انجلز قائلاً: «لو توفر لي يوماً ما، مجدداً، وقت لمثل هذا العمل (التعميم الفلسفي - د. ب.)، لكنت قد عرضت، بكل سرور، في ملزمتين أو ثلاث، وبشكل مفهوم للعقل البشري السليم، الجانب العقلاني في الاسلوب الذي اكتشفه هيغل، ولكنه اضفى عليه في الوقت نفسه طابعاً صوفياً»[10]. ولم يتخل ماركس عن هذه الفكرة فيما بعد ايضاً.

كما اشار انجلز بدوره، متوجهاً إلى ماركس، إلى انه قد قرر الانصراف إلى صياغة

قضايا الاسلوب الديالكتيكي . وقد كرس لذلك عملياً، عشر سنوات اسفرت عن عمل بارز هو «ديالكتيك الطبيعة». وكتب المؤلف قائلاً: «ان ازدراء الديالكتيك لا يبقى بدون عقاب. ومهما استخف المرء بالفكر النظري، فانه لا يمكن على كل حال الربط بين واقعين من وقائع الطبيعة أو ادراك الصلة بينهما بدون هذا الفكر النظري . المسألة تتلخص فقط، في هذه الحالة، فيما اذا كنا نفكر بشكل صحيح أم لا، علماً بأن الاستخفاف بالنظرية هو بلا شك اضمن وسيلة للتفكير على الطريقة الطبيعية السطحية أي اضمن وسيلة للتفكير بشكل غير صحيح . بيد ان التفكير غير الصحيح، اذا ما دفع إلى نهايته المنطقية، يؤدي لا محالة، بمقتضى القانون الديالكتيكي المعروف منذ وقت بعيد، إلى نتائج هي على النقيض من نقطة انطلاقه. وهكذا، فان الازدراء التجريبي بالديالكتيك يعاقب بكون بعض التجريبيين الأكثر «تجربة» يقع ضحية لأكثر الخرافات سخافة على الاطلاق، خرافة الاستحضار المعاصر للارواح»[11].

فلنعترف بان استنتاج انجلز هذا لم يفقد قوته بالنسبة للشيوعيين اليوم أيضاً، على عتبة القرن الحادي والعشرين، بعد مرور ما يزيد على مئة سنة على صدور «ديالكتيك الطبيعة».

الجمود العقائدي الجديد تحت قناع «فلسفة الماركسية»

لقد واصل لينين النضال ضد التنظير السكولاستيكي (المدرسي) وكتب أكثر من مرة عن ضرورة استكمال عمل ماركس وانجلز وصياغة منطق حقيقي، علماً بانه رأى من الضروري (انظر «دفاتر فلسفية») لدى تطوير المادية الديالكتيكية التركيز لا على المادية بل على الديالكتيك أي على الاسلوب.

وبعد انتصار ثورة اكتوبر واصل لينين تحقيق هذا المخطط. واضافة إلى ذلك طرح مهمة اعداد الكادر في الحزب من المنظرين القادرين على امتلاك ناصية فن الديالكتيك. وما يشهد على ذلك «رسالته المشهورة إلى المؤتمر» حيث كتب قائلاً: «فيما يتعلق باعضاء اللجنة المركزية الشباب، اريد ان أقول بضع كلمات عن بوخارين وبياتاكوف. انهما في رأيي من أبرز الكفاءات (بين الأكثر شباباً)، ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار عند الحديث عنهما: ان بوخارين ليس أبرز منظر ذي قيمة رفيعة في الحزب فحسب، بل يحظى كذلك، وبحق بعطف الحزب كله. ومع ذلك فان اراءه النظرية لا يمكن ان تنسب تماماً إلى الماركسية إلا مع تحفظ كبير، لأن ثمة شيئاً سكولاستيكياً فيه (فهو لم يدرس يوماً الديالكتيك واعتقد انه لم يكن يوماً يفهمه تماماً)»[12].

لم تلق وصايا لينين، مع الاسف، كما يبدو الآن من تقويمات الرفاق السوفييت،

الاهتمام الذي تستحقه. وان اتخذت محاولات معينة لتشكيل كوادر فلسفية ابداعية في الاتحاد السوفييتي، الا انها طوقت من قبل القيادة الستالينية التي شنت عدداً من الحملات السياسية، وبخاصة ضد ما يسمى «المثالية المنشفية». وتعرضت غالبية المفكرين وافضلهم لاعمال التنكيل. واخضعت الفلسفة لرقابة ايديولوجية صارمة وضعت حداً لأية محاولات لادراك الوقائع الجديدة ادراكاً ابداعياً، وفي مقدمتها وقائع بناء الاشتراكية، وادينت أية انحرافات عن القوانين الستالينية.

وتوقف، عملياً، تطور النظرية، وساد التبسيط والجمود العقائدي الساذج الذي بلغ اوجه في عمل ستالين «حول المادية الديالكتيكية والتاريخية». فقد رسم هذا العمل حدوداً ثابتة بين المادية الديالكتيكية والتاريخية، علماً بان المادية الديالكتيكية في هذا التأويل فقدت اهميتها العلمية المنهجية كلية: اذ انحصر الديالكتيك في اربع «قواعد» وسحب منه قانون نفي النفي باعتباره «هيغيلياً». وتحوّل الديالكتيك بقلم ستالين إلى ميتافيزية. وفضلاً عن ذلك، جرى التركيز على قضايا معرفة الذات «الانطلوغيا» وازيحت مسائل نظرية المعرفة عملياً، إلى المرتبة الثانية. وتحت ضغط الستالينية انسلخت الفلسفة عن سائر العلوم، اجتماعية كانت أو طبيعية، وانحصر عمل الفلاسفة في الدفاع المباشر عن السكولاستيك الستاليني وتبسيط الماركسية بشكل واضح وتبرير السياسة الجارية والتأويل المطيع للقرارات المتخذة، الأمر الذي قضى على بحوث نظرية كثيرة آنذاك بالعقم. وفي الوقت نفسه اتهم الفلاسفة بالانسلاخ عن الممارسة وبتجنب القضايا الملحة وغرست لدى العلماء بشكل منتظم عادة العمل بموجب الايعازات الآنية من فوق.

وعلى امتداد مرحلة طويلة، لم يجمع أي جامع بين «فلسفة الماركسية» الرسمية المحرومة من عنصرها الانتقادي، التي عرضها منظرو المدرسة الادارية الاوامرية سواء في الاتحاد السوفييتي أو خارجه، وبين افكار ماركس الخلاقة، وكانت الأولى تنفي الثانية من حيث الجوهر. كما ان دوراً خاصاً في ذلك يعود إلى الفكرة المبسطة التي اعتبرت ان كل الفلسفة البرجوازية وكذلك الافكار العلمية التي يصوغها العلماء غير الماركسيين باتت رجعية بعد ظهور الماركسية رجعية كلها.

ومنذ المؤتمر العشرين (عام ١٩٥٦) ظهرت عملية نزع الطابع الستاليني عن العلم، غير ان «ذوبان الثلج» هذا لم يطل، ذلك ان النظام البيروقراطي الاوامري الذي استطاع في الستينات الحفاظ على مواقعه الاساسية في الاتحاد السوفييتي، لم يرغب في التفكير الانتقادي في الواقع ولا في التنبوء الجريء بالمستقبل، ووجد نفسه في غنى عن الفلاسفة الذين بذلوا جهودهم لتطوير نهج المؤتمر العشرين. وبقي الجمود العقائدي المتجدد بعض الشيء سائداً كالسابق، في النظرية، كما احتفظ الاسلوب الاوامري في ادارة العلم بقوته. أما الفكر الخلاق ومحاولات اغناء المفاهيم حول الاسلوب الديالكتيكي ومناقشة

القضايا المنهجية والفلسفية فقد غرقت في مستنقع من الركود العقائدي الجامد الجديد.

ويتجلى الآن الجمود العقائدي الجديد، أول ما يتجلى، في كون موضوع الفلسفة الماركسية ذاته يصور كشيء ثابت لا يتغير ابداً. ومن المفارقات ان فلسفتنا التي تؤكد ان كل شيء رهن بالحركة وعملية التطور الدائمتين تحدد موضوعياً كما حددت منذ عقود عديدة، والانكى انه يتم عرضها ـ سواء جرى الحديث عن المادة والوعي، أو عن المكان والزمان، أو عن الترابط والقوانين... الخ. ـ بشكل منعزل عن قضية الانسان. بيد ان مواصفات الواقع الموضوعي لا قيمة لها إلا في علاقتها بالحركة الاجتماعية وتطور الوعي والنشاط البشري. وهذا يعني انه من الضروري استناداً إلى روح تعاليم ماركس، اعادة وحدة المادية الديالكتيكية والتاريخية وادخال قضية الانسان في نواة الفلسفة الماركسية بالذات.

كما يقيم الجمود العقائدي الجديد هوة بين النظرية والممارسة. واذا كانت الممارسة تعتبر محكاً للحقيقة ومصدراً واساساً لعملية المعرفة، إلا انها لا تقبل بوصفها مقولة اساسية، حيث سجل ادخالها في صميم نسيج التعاليم المادية الديالكتيكية ثورة حقيقية في الفلسفة.

وحتى الآن لم يوضح تماماً ماذا يفهم بـ «نواة» الديالكتيك. كما لم يتوفر بعد نظام متسق إلى حد كاف لمقولات المنطق الديالكتيكي. فهي تتناسب مع بعضها البعض دونما معايير منهجية موضوعة بشكل دقيق. ونتيجة لذلك، نبقى مفتقرين إلى صورة كاملة لوحدة الكائن والوعي.

كما لم تعالج، بالشكل المطلوب، قضية الوحدة بين المنطق والديالكتيك ونظرية المعرفة، على الرغم من ان انجلز رأى ان أكبر مساهمة للنظرية الماركسية في تطور الثقافة الفلسفية العالمية تتلخص، بالتحديد، في اقرار وحدة قوانين الواقع الموضوعي والتفكير والمعرفة. وكتب في «ديالكتيك الطبيعة» قائلاً: «...يخضع تفكيرنا الذاتي والعالم الموضوعي لقوانين واحدة... ولذا لا يمكن ان يتناقضا مع بعضهما البعض في نتائجهما، بل يجب ان يتفقا فيما بينهما. ويعتبر هذا الواقع شرطاً غير واع ومطلق لتفكيرنا النظري»[١٣].

ان اعمالاً مبسطة عديدة في «فلسفة الماركسية» لا تتناول عملياً موضوعاً من أهم المواضيع التي طرحها ماركس الا وهو التناسب بين المنطقي والتاريخي، علماً بانه كتب قائلاً: «ان التأمل في أشكال الحياة البشرية، وبالتالي، التحليل العلمي لهذه الأشكال يتخذان عموماً الطريق الذي هو على طرفي نقيض مع تطورها الفعلي»[١٤]. ولا شك في ان المعرفة الفلسفية لا تستطيع التطور بنجاح بدون صياغة هذه المسألة.

وأهمل الجمود العقائدي الجديد اهمالاً تاماً مسألة التبصر والتنبوء النظري وما شابه.

فما هو جوهر القضية؟ من المعروف ان النظرية «اعلى» من الممارسة في ناحية معينة، لأن الوعي ـ لنتذكر فكرة لينين في «الدفاتر الفلسفية» ـ لا يعكس العالم فحسب، بل «يخلقه» أيضاً. ان الجمود العقائدي الجديد، اذ يتملص من الاعتراف بذلك، يبقى عملياً في مواقع العكس السلبي للواقع، الأمر الذي يؤدي إلى احلال المنطق الشكلي محل الديالكتيك.

ان لغة الأعمال المبسطة لمدرسة الجمود العقائدي بعيدة جداً عن الشكوك والتأملات الانتقادية التي تميز الكلاسيكيين وفكرهم الفلسفي المفعم بالحماسة للثورة والتغيرات الاجتماعية الجذرية. ان الجمود العقائدي خامل ومغرور. وعلى عكس ذلك، فان روح فلسفة ماركس روح انتقادية لا تتوقف أمام شيء. والمقصود هو الروح الانتقادية ازاء الواقع الاجتماعي وعالم الافكار السائدة في المجتمع والتقاليد المخيمة على الناس، وازاء الفكر ذاته ومثله العليا واعماله الملموسة. وهكذا فان الحديث يدور حول نقد دائم وكلي مدعو إلى ان يصبح حافزاً لابداع الفلاسفة والقادة الاجتماعيين والاحزاب السياسية، الذين يستهدفون ليس تفسير العالم فحسب، بل وتغييره أيضاً.

وفي هذا الصدد تتميز باهمية كبيرة، في رأيي، رسالة انجلز التي ينتقد فيها الآراء الميكانيكية لمن يعتبرون «المجتمع الاشتراكي» ليس شيئاً يتغير ويتقدم على الدوام، بل شيئاً راسخاً وثابتاً إلى الأبد»[١٥].

ونقول بصراحة ان هذه التقويمات ذاتها تنطبق تماماً على الجمود العقائدي السابق والراهن الذي تأصل في «الفلسفة الماركسية» الرسمية. وعلى العكس من ذلك، تظهر ممهدات لتطور الاسلوب الفلسفي حيث تُفهم الاشتراكية كـ «عملية» وليس كحالة وحيث تجري اعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والجدل والبحث عن الجديد وعما لا يتناسب في كثير من الاحيان مع القواعد النظرية المتأصلة المألوفة.

الدليل النظري للعمل

ان بعث فلسفة ماركس وانجلز ولينين وروحها الابداعية والانتقادية يتطلب عملاً هائلاً. وبالطبع، من التبسيط الاعتقاد بان الجمود العقائدي استطاع شل الفكر الفلسفي في الحركة الشيوعية تماماً، اذ ان العمل الابداعي غير المرئي كان مستمراً. وقد حصل دائماً سعي إلى التفكير بروح الكلاسيكيين وإلى التغلب على عواقب الستالينية ومرحلة «الركود». وهناك امثلة كثيرة على ذلك. (يكفينا التذكير باسم ايلينكوف الفيلسوف السوفييتي البارز الذي رحل عن الحياة قبل الاوان والذي الف اعمالاً رائعة في قضايا الديالكتيك صدرت في الخمسينات ـ السبعينات) والا استحال تفسير الانعطاف الراهن

نحو التفكير السياسي الجديد. وفي الوقت نفسه يفترض القطع النهائي مع الجمود العقائدي لا تطهير فلسفة ماركس من رواسب التشويهات والمبتذلات والتبسيطات فحسب، بل وتطويرها أيضاً بمقتضى متطلبات الحياة على عتبة الالف الجديدة.

ولحل هذه المهام لابد، في اعتقادي، من تحديد موضوع فلسفتنا وخصوصيتها بشكل شامل واوفى، وبالاخذ في الاعتبار التطور التاريخي. كما ينبغي في الوقت نفسه ان ندرك موضوع ماركس حول ان الديالكتيك يعتبر، قبل كل شيء، اسلوباً ودليلاً نظرياً للعمل، ان ندرك هذا الموضوع بكل ابعاده وان نتسلح به. لقد اتخذ لينين هذا الموقف ذاته. صحيح ان بعض الفلاسفة المعاصرين يحاول البرهان على ان الديالكتيك لا يدخل في عداد الاساليب التي تستطيع اليوم ضمان تطور المعارف العلمية. ومما لا شك فيه ان استخدامه لن يعطي نتائج، اذا كان هذا الاستخدام ينطلق من الجمود العقائدي ويعتمد على المسلمات البالية. أما الديالكتيك الحقيقي فهو مفتاح لتحليل التصورات المترسخة بشكل انتقادي وهو اقرار أو نفي للنتائج العلمية المحرزة، واسلوب يتغير هو ذاته ويغتني بمحتوى جديد مع التطور التاريخي.

واذ طور انجلز هذا الموضوع كتب قائلاً: «ان التفكير النظري في كل عصر، وبالتالي، عصرنا يعتبر نتاجاً تاريخياً يتخذ في أزمنة مختلفة أشكالاً مختلفة جداً ومن هنا محتوى مختلفاً جداً. ويعتبر علم التفكير، بالتالي، مثل أي علم آخر، علماً تاريخياً وعلماً عن التطور التاريخي للتفكير البشري»[١٦]. أكثر من ذلك، ان «... نظرية قوانين التفكير ليست (حقيقة ازلية) ثم اقرارها مرة وإلى الأبد، كما يتصور الفكر المبتذل بالنسبة لكلمة (المنطق)»[١٧].

ان تناول الديالكتيك على هذا النحو يمكّن من ادخال الممارسة في موضوع التفكير الفلسفي الماركسي المعاصر بشكل فعال. والمقصود قبل كل شيء هو كيفية فتح الآفاق إلى اقصى حد أمام الانسان لتطوير وتحقيق مؤهلاته والمشاركة بنشاط، في ايجاد صورة جديدة عن العالم. ويكمن حافز معين في التقاليد الانسانية التي اغنتها الماركسية. الا ان التبسيط اولاً، ثم الجمود العقائدي الجديد، ازاحا هذه التقاليد، مع الأسف، إلى المرتبة الثانية.

ويستدل مما تقدم ان التأكيد البسيط لأهمية الاسلوب في الفلسفة لم يعد كافياً اليوم. اذ يجب طرح المسألة على نطاق اوسع. ان التعاليم حول الاسلوب هي التي تشكل في رأيي، المضمون الرئيسي لفلسفة ماركس، هذا اذا اعتبرنا الاسلوب، بالطبع، نظاماً لمقولات وقوانين المنطق الديالكتيكي الذي يعكس عملية التطور والوجود المادي والتفكير ذاته. ومن الهام ليس الاعتراف بدور الاسلوب فحسب، بل وتطبيقه بمهارة وبشكل ديالكتيكي أيضاً، وبالتحديد، في الحوار الصريح مع ممثلي سائر التيارات النظرية التي

تطرح قضايا التطور الاجتماعي المعاصر بشكل حاد.

وهكذا، فان الديالكتيك ونظام مقولاته وقوانينه يجب ان ينفذا مهمة جديدة في نظرية المعرفة: توسيع نطاق الرؤية الثورية للعملية التاريخية. ولعل المجموعة الكبيرة من القضايا العالمية الماثلة أمام الحضارة العالمية والمجتمع الدولي تشكل أحد المجالات الرئيسية التي تستطيع الفلسفة فيها تحقيق رسالتها بشكل كامل.

ومن الهام في سياق الحديث عن هذه الجوانب والاتجاهات لتطور النظرية مواصلة الحوار البناء الذي قام على أساسه التفكير السياسي الجديد. ويعتبر التقدم العلمي التقني ونتائجه من المسائل التي تمثل موضوعاً للنقاش الفلسفي الجدي. وفي مجرى النقاش قد تتفق الآراء وتتقارب، الأمر الذي يميز العلم عن شتى أنواع المعايير العقائدية والدينية والسياسية. وليس من المستبعد ان تظهر في المحصلة ممهدات لتخفيف الخلافات الايديولوجية. ويجدر امعان الفكر في ذلك بشكل خاص، لأنه سوف تتفتح، بالتالي، على الصعيدين الوطني والدولي امكانات جديدة في العلاقات المتبادلة بين الناس ويزداد الغنى الديالكتيكي للاتصالات الاجتماعية التي تقر عصر الانسان العاقل والانساني.

ولا يجوز لنا، اذ نتحدث عن ذلك، ان ننسى ان المثالية كانت تنهل دائماً من منابع المادية. ولم تكن المادية بدورها، بعيدة مطلقاً عن تأثير بعض اطروحات «المثالية العاقلة». ويعلمنا التاريخ ان الخط الفاصل بين المادية والمثالية لا يستثني، بل وحتى يفترض تخلخلاً نسبياً متبادلاً لعناصرهما.

وهكذا، فان الفلسفة اسلوب، لانها خلاصة للتاريخ والتفكير البشري كله. ويتضح أكثر فأكثر انه من الهام بالنسبة لادراك العمليات الجارية في العالم المعاصر ادراكاً علمياً ولتبيان آفاق تطوره العامة الكشف عن الامكانات الابداعية الكامنة في الديالكتيك على أكمل وجه. ومن الصعب حل هذه المسألة بدون تعميق صياغة قضايا مثل «الذات ـ الموضوع» والدور النشيط للوعي في قضية تحويل العالم، الذي يزيد من القدرة على عمل ثوري واع. ومن المجدي التأكيد مرة أخرى: تعتبر عقيدتنا ثورية، لأن فلسفة ماركس هي اسلوب. وبتعبير آخر، انها تعتبر اسلوباً ليس بسبب كونها اشتقت من مفهوم عن العالم كما يُكتب عن ذلك عادة، بل على العكس، لأن مفهومنا عن العالم هو نفسه الاسلوب في العمل والتطور.

(١) ماركس وانجلز. المؤلفات، المجلد ٣٧، ص ٢٤٣ (باللغة الروسية).

(٢) المصدر ذاته، ص ٣٧١.

(٣) المصدر ذاته، المجلد ٣٩، ص ٨٢.

(٤) المصدر ذاته، ص ٣٥٢.

(٥) المصدر ذاته، المجلد، ض ٣٠، ص ١٦٨ .
(٦) المصدر ذاته، المجلد ٣٦، ص ٨٥.
(٧) المصدر ذاته، المجلد ٣٨، ص ٨٢.
(٨) المصدر ذاته، المجلد ٣٩، ص ٢٠٧ .
(٩) المصدر ذاته، المجلد ٣٣، ص ٣٦٦.
(١٠) المصدر ذاته، المجلد ٢٩، ص ٢١٢ .
(١١) المصدر ذاته، المجلد ٢٠، ص ٣٨٢.
(١٢) لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد ٤٥، ص ٣٤٥ (باللغة الروسية).
(١٣) ماركس وانجلز، المؤلفات، المجلد ٢٠، ص ٥٨١ (باللغة الروسية).
(١٤) المصدر ذاته، المجلد ٢٣، ص ٨٥.
(١٥) المصدر ذاته، المجلد ٣٧، ص ٣٧٠.
(١٦) المصدر ذاته، المجلد ٢٠، ص ٣٦٦-٣٦٧.
(١٧) المصدر ذاته، ص ٣٦٧.

حول «قضايا فكرية»

بناء الاساس الفكري

محمد مجدي كمال (*)

قامت دائمًا امام اليسار المصري مهمة دراسة الواقع المصري والعربي ووضع الاساس الفكري المصري والعربي لتحركاته العملية. وكان اليسار ومازال يولي هذه القضية اهمية من الدرجة الاولى. وكان على الشيوعيين المصريين مهتدين بالماركسية اللينينية ان يقوموا بوضع النظرية المصرية مستندين على دراسة واقعهم وان يضيفوا إلى الماركسية اللينينية من خبرات نضالهم.

تلك هي المهمة التي قامت امام «قضايا فكرية» عند التخطيط لاصدارها. وكانت الخطوة الاولى هي اختيار المشرف على تحريرها. وقد وقع الاختيار على محمود امين العالم الكاتب والمفكر التقدمي المرموق، وهو لا ينكر بل ويعلن على الملأ انتماءه للفكر الاشتراكي العلمي وهو شخصية لها تاريخ نضالي كبير. ورغم انه امضى خمس سنوات في السجن في عهد عبد الناصر بتهمة الشيوعية إلا انه اختاره بعد الافراج عنه ليرأس «دار الكاتب العربي» دار النشر الحكومية الرئيسية في ذلك الوقت.

وشعار «قضايا فكرية» المسجل على غلافها هو: من اجل تأصيل العقلانية والديمقراطية والابداع. وهذا تعبير عن انها تفتح ابوابها لكل الدراسات الجادة وتعمل على

* ممثل الحزب الشيوعي المصري في مجلة قضايا السلم

تأصيل اعمال العقل في فترة سادت فيها سياسة التجهيل والغيبيات والمثاليات. وهي تدعو إلى الديمقراطية في المجال الفكري في فترة تسود فيها القيود على الفكر التقدمي العلمي.

وقد بدأ الاعداد لـ «قضايا فكرية» والتخطيط لها بعقد جلسات اشترك فيها عدد من خلاصة المثقفين في مختلف التخصصات. وقد تأكد منذ البداية انها تهتدي بالاشتراكية العلمية.

وتجتذب «قضايا فكرية» عدداً متزايداً من المثقفين الوطنيين والديمقراطيين في مصر وفي العالم العربي. وتتميز الشخصيات التي تساهم فيها من علماء في الاقتصاد والسياسة والفلسفة والتاريخ وغيرهم. ونظرة إلى اسماء كاتبي المقالات والدراسات والمساهمين في الندوات التي تدعو إليها «قضايا فكرية» والتي تنشر فيها تقنعنا بمدى اتساع الجبهة الفكرية والثقافية التي كونتها.

وفي كل عدد موضوع محوري اساسي تصب فيه المقالات والدراسات والمائدة المستديرة وكذلك عروض الكتب. هذا إلى جانب افتتاحية العدد وتقديم المائدة المستديرة.

ويقع الكتاب الاول في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير وقد جاء في افتتاحيته «... النظرية التي نحتاجها ليست نظرية محايدة أو فوق الطبقات، بل نظرية تنحاز إلى الجماهير الكادحة، إلى العمال والفلاحين وباقي الشعب العامل، إلى الغالبية الساحقة من السكان. لسنا في حاجة إلى نظرية تنحاز إلى الفئات الطفيلية التي تستغل قوت الشعب، ولسنا في حاجة إلى نظرية تخدم الامبريالية والاستعمار أو الصهيونية والقوى الرجعية وتدعو إلى الحرب والعنصرية».

والقضايا المحورية التي تعالجها «قضايا فكرية» هي القضايا الاساسية التي تشغل تفكير المناضلين المصريين.

والقضية المحورية للكتاب الاول الذي صدر في تموز (يوليو) ١٩٨٥ هو «من الذي يحكم مصر»؟ وقد بدأ العدد بدراسات نظرية عامة عن الدولة والديمقراطية والسلطة ثم دراسات تطبيقية مثل دراسة عن «انعكاسات بنية الطبقة الحاكمة على هيكل ومسار التصنيع في مصر» للدكتور سعد حافظ و «تحقيق اولي في مسألة المليونيرات» لجمال الشرقاوي، ودراسة عن الدولة والقرية المصرية وغيرها. هذا فضلاً عن باب القراءات والتعليقات الذي يعرض كتابي لينين «الدولة في الماركسية» و «الدولة والثورة» وعدد من المؤلفات الاخرى. ويشارك في البحوث وعروض الكتب ٢٤ كاتباً من مختلف التخصصات. اما المائدة المستديرة فقد ساهم فيها ١٤ من الباحثين والمفكرين من اجيال مختلفة استمرت حوارتهم على مدى خمس جلسات وعلى امتداد ما يزيد عن العشرين ساعة.

وفي الحوار تعددت الافكار والاجتهادات ولكن كما قال محمود العالم في كلمته الختامية «لم

يكن هدف الندوة بالطبع الوصول إلى نتائج نهائية، بل إلى توضيح وتحديد وجهات النظر المختلفة، وابراز الاشكالات المتعلقة بالموضوع، دفعاً إلى مزيد من الحوار، وإلى مزيد من الاجتهاد بالرأي، على ان المهم الا يقتصر هذا الحوار علينا، أو على الصفوة من المثقفين، وانما ان تشارك فيه جماهير الشعب».

ويقع الكتاب الثاني في ٢٣٤ صفحة من القطع الكبير وقد صدر في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ ومحور الكتاب موضوع هام هو «مصر بين التبعية والاختيار الاشتراكي» واشترك في كتابة المقالات والقراءات والتعليمات ٢٠ كاتباً منهم عدد من للكتاب غير الماركسيين مثل الدكتور سمير امين والدكتور جودة عبد الخالق من الاقتصاديين والدكتور رؤوف عباس من اساتذة التاريخ والمستشار صلاح عبد المجيد من رجال القانون وغيرهم. وهذا يعني اجتذاب عدد اكبر من القوى الوطنية والديمقراطية من المثقفين للمشاركة في «قضايا فكرية» وهم يقبلون على الكتابة تطوعاً دون مقابل تقديراً منهم للدور الكبير الذي تلعبه.

كتب محمود امين العالم في افتتاحية هذا العدد: «بينما نحن في غمرة الاعداد لهذا الكتاب الثاني من «قضايا فكرية» الذي يعرض لآليات واشكاليات التبعية في مصر، ولطريق الخروج منها، جاء خطاب الرئيس محمد حسني مبارك في افتتاح الدورة الحالية لمجلس الشعب. وفي هذا الخطاب يتعرض السيد الرئيس لموضوع التبعية فيعلن بشكل قاطع تحديه لمن يقول بان «في مصر سمة واحدة من سمات التبعية» ويتهم هذا القول بانه «وليد محاولات قميئة عرجاء تروج لخيال في نفوس مريضة» بل يتهم القائلين بانهم عملاء لجهات اجنبية! وفي مواجهة هذا التحدي القاطع، وهذه الاتهامات الخطيرة، تضاعفت مسؤولية انجاز هذا العدد من «قضايا فكرية».

واشترك في المائدة المستديرة ٢٣ مفكراً من مختلف الاتجاهات والتخصصات ودارت اعمالها على ثلاث جلسات، رأس الجلسة الاولى الدكتور فؤاد مرسي رجل الاقتصاد المعروف وأحد القادة البارزين في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي. وادار الجلسة الثانية الدكتور سمير امين مساعد السكرتير العام للامم المتحدة وادار الجلسة الثالثة الدكتور فوزي منصور استاذ الاقتصاد. وشملت المشاورات عدداً كبيراً من الباحثين والخبراء والمناضلين الوطنيين التقدميين. وكان ذلك مفيداً جداً في بلورة نقاط الحوار الجوهرية المتصلة بقضية التبعية.

وكان الاتجاه السائد في الآراء التي ابديت ان حالة التبعية التي تواجهها مصر الآن هي نتاج لتطور اوضاع الامبريالية العالمية ومحاولاتها المحافظة على هيمنتها على السوق العالمية. وان القاعدة الاجتماعية للتبعية تتمثل في حلف من اقسام البرجوازية المصرية يضم الرأسمالية القديمة التقليدية والرأسمالية البيروقراطية والفئات الطفيلية.

وتحددت السمات الخاصة لاوضاع التبعية في مصر بما يلي: زيادة الاندماج في الاقتصاد الرأسمالي العالمي، ومن ثم المخططات الكونية للامبريالية العالمية. وساعد على ذلك التوسع في القروض والمعونات بدلاً من التراكم المحلي، والاستيراد الواسع للسلاح، وكافة صور الارتباط العسكري التي يجلبها.

واتفق في الحوار على فشل النموذج الرأسمالي للتطور في مصر وان البديل هو تعبئة القوى الوطنية والديمقراطية في جبهة واحدة للنضال ضد التبعية ومن اجل الاستقلال الوطني.

والكتابان الثالث والرابع صدرا في مجلد واحد في ٤٨٥ صفحة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٦ يدور حول محور واحد هو «ازمة النظام الرأسمالي في مصر. لماذا.. وإلى أين»؟

وتبحث الدراسات عن التغيرات الاساسية في هيكل الرأسمالية في مصر (٥٢ - ٧٠) تراكم رأس المال في مصر ودور الرأسمالية التجارية - حول الطبيعة الطفيلية والريعية للرأسمالية المصرية المعاصرة - مساهمة في فهم تناقضات البرجوازية والبيروقراطية. وتدور المائدة المستديرة حول موضوع «ازمة النظام الرأسمالي في مصر - الجذور - الاليات - احتمالات المستقبل». وقد تناول المشاركون في الندوة الاشكالات البنيوية الناتجة عن ظروف نشأة وتطور البرجوازية المصرية، وكذلك الاشكاليات الراهنة لهذه البرجوازية، على ضوء الامكانات المتاحة لها، وظروف التبعية التي تفرض نفسها على مجمل اوضاع مصر، تاريخياً، وبصفة خاصة في المرحلة الحالية.

والكتاب الخامس (٢٩٠) صفحة صدر في (مايو) ايار ١٩٨٧ وموضوعه «الطبقة العاملة المصرية - التراث - الواقع - آفاق المستقبل». وميزة هذا العدد انه يجمع مثقفين باحثين ونظريين مع نخبة من ابرز العمال الذين مارسوا وارتبطوا ارتباطات وثيقة بالجماهير العمالية في اهم المناطق العمالية في مصر (مجمع الحديد والصلب في حلوان - مصانع المحلة الكبرى للغزل والنسيج - مصانع النسيج في شبرا الخيمة - عمال السكة الحديد وغيرها من التركزات العمالية).

وقد تحدث الدكتور سعد حافظ في دراسته «الطبقة العاملة المصرية، ماهيتها، وخصائصها الهيكلية» عن خصوصيات بناء المجتمع المصري ومنها الطبقة العاملة المصرية وهي كما يقول:

١) الطابع الريفي لشرائح ليست بالقليلة وارتباط هذه الشرائح بقيم المجتمع الفردي.

٢) تسخير العقيدة الدينية من قبل البرجوازية بشرائحها المختلفة على ارضية العداء للايديولوجية الاجتماعية للطبقة العاملة.

٣) دور السلطة البرجوازية الحاكمة في تزييف الوعي لدى الطبقة العاملة فيما يتعلق

بايديولوجيتها الاجتماعية وكسبها على ارضية العداء لها.

٤) ضغوط الحياة اليومية الملحة المستقطبة افراد الطبقة العاملة في النضال من اجل البقاء في دوامة استنزاف قوتهم المنتجة من اجل رغيف الخبز ضيقت من الامكانيات المادية لمساحة الوقت من اجل اعمال الفكر وتنمية الوعي. وقد ساعد على ذلك ارتفاع نسبة الامية.

٥) انقسام العامل بين موقعين طبقيين بالنسبة لشرائح كثيرة من العمال ففي اطار دوامة الحياة اليومية انصرف كثير من العمال إلى الاشتغال بالاعمال الحرفية لايجاد حل فردي لمشكلاتهم الملحة الحادة. أو الاشتغال باعمال تجارية محدودة، أو في مجال خدمات النقل، بل واشتغل البعض منهم في مجالات طفيلية غير منتجة. وقد ادت هذه الظاهرة إلى احداث نوع من التمييع للشعور بالانتماء للطبقة العاملة من خلال صفة البرجوازي الصغير التي تكسبها له المهنة الاخرى.

وهناك دراسة عن علاقة الهجرة ببعض مؤشرات تبلور الطبقة العاملة في مصر. واهمية هذه الدراسة انه مع سياسة الانفتاح الاقتصادي وتزايد الصعوبات المعيشية امام العمال لجأ عدد كبير من العمال إلى الهجرة للخارج (عدد المصريين في الخارج يصل إلى حوالي ٣ ملايين شخص اغلبهم من العمال) أي أكثر من خمس مجموع العاملين يعملون الان في الخارج. ويخلص د. نادر فرجاني كاتب هذه الدراسة إلى ان الهجرة قد ساعدت في اضعاف تبلور الطبقة العاملة المصرية.

ثم هناك دراسات عن الشركات المتعددة الجنسية والطبقة العاملة ومستوى المعيشة من بينها دراسة عن اجور الطبقة العاملة بين التضخم وعوائد حقوق التملك وعن الاضرابات في شركات القطاع العام وتقرير عن احوال المعيشة في منطقة عمالية. ويأتي بعد ذلك عدد من الدارسات عن الحركة النقابية والديمقراطية لبعض القيادات النقابية مثل محمد جمال امام وعبد المجيد احمد. وهناك دراسة للكاتب الصحفي محمد سيد أحمد بعنوان «هل للطبقة العاملة مستقبل مع حلول عصر الروبوت؟». وهي مقالة نظرية هامة تناقش التغيرات الكبيرة التي احدثتها الثورة العلمية والتكنولوجية واثرها على الطبقة العاملة وعلى الثورة الاجتماعية.

وفي (ابريل) نيسان ١٩٨٨ صدر الكتاب السادس من قضايا فكرية وعنوانه «الصراع العربي الصهيوني» (الجزء الاول في ٢٧٧ صفحة). وهذا الموضوع هام بالذات اليوم عندما تتواصل على الارض المحتلة انتفاضة الشعب الفلسطيني. ويحتوي هذا العدد على مقالات عن جذور وجوهر الصهيونية وحلفها مع الامبريالية الامريكية، وعن «المفهوم الاسرائيلي للسلام» وطابعه العدواني والطريق للتغلب على الازمة.

ويواصل الكتاب السابع من «قضايا فكرية» (٢٨٠ صفحة) تغطية هذا الموضوع. وقد صدر في (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٨٨. وبين الكتاب نجد اسماء كتاب وباحثين مصريين.

مثل احمد عبد المعطي حجازي وجمال الغيطاني ورفعت السعيد وسمير امين ومحمد عمارة، وشخصيات فلسطينية مثل بشير البرغوثي رئيس تحرير مجلة «الطليعة» المقدسية، ونعيم الاشهب عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني واحمد صدقي الدجاني عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك كريم مروة نائب الامين العام للحزب الشيوعي اللبناني وهم يقدرون عالياً انتفاضة الشعب الفلسطيني التي بعثت الروح الكفاحية للعملية العربية الثورية عموماً.

وفي الختام، فاننا نود ان نقول ان «قضايا فكرية» هي حدث هام وبارز في الحياة الفكرية في المجتمع المصري. وهذا هو ما يعترف به النقاد من كل الاتجاهات في مصر وفي غيرها من البلاد العربية. وهي حدث هام واضافة جديدة بالنسبة لليسار المصري فهي تضع الاسس لنظرية مصرية تقوم على المنهج الماركسي اللينيني وتهتدي به. وهي من الصروح الفكرية الضخمة التي يرجع الفضل في بنائها إلى التقدميين المصريين.

ومع ذلك فما زالت «قضايا فكرية» تحتاج إلى جهد كبير لتبسيط الاسلوب بحيث تكون في متناول جماهير اوسع. ويفضل ايضاً تقليل حجم الصفحات دون اختصار للمضمون، ولكن على حساب الاطناب الزائد في بعض المقالات.

مراعاة ذلك يجعل فائدة «قضايا فكرية» اكبر واهم. ولكنها مع ذلك واسعة الانتشار ويطبع منها ٥٠٠٠ نسخة وتنفذ بشكل كامل ونظراً لكبر حجمها فان القارىء لا يقرأها في جلسة واحدة ولكن في جلسات عديدة. وهي بالنسبة له مرجع أو كنز يرجع اليه عند الحاجة.

في الذكرى الأولى لمجزرة حلبجة

نشاطات المنظمات الشبابية والطلابية العراقية

تحت شعار «شبية وطلبة العراق مع شبيبة وطلبة العالم في النضال ضد الاسلحة الكيمياوية» اقامت المنظمات الطلابية والشبابية العراقية فعالية سياسية بمناسبة الذكرى الأولى لمجزرة حلبجة التي اقترفها النظام العراقي الدكتاتوري . وقد نظمت الفعالية يومي ١٧ و١٨ / آذار/ ١٩٨٩ في دمشق، وشاركت فيها وفود عديدة مثلت المنظمات الشبابية والطلابية العربية والعالمية .

وتضمن برنامج الفعالية مهرجاناً خطابياً سياسياً القيت فيه كلمات :-

١ ـ المنظمات الشبابية والطلابية العراقية .
٢ ـ الحركة الوطنية العراقية .
٣ ـ اتحاد شبيبة الثورة والاتحاد الوطني لطلبة سورية .
٤ ـ اتحاد الطلاب العالمي .
٥ ـ اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي .
٦ ـ اتحاد الشباب العربي .

ادانت الكلمات النظام العراقي لاستخدامه الاسلحة الكيمياوية وانتهاكه لحقوق الانسان في العراق ومصادرته للحريات الديمقراطية وحرب الابادة ضد الشعب الكردي وعبرت المنظمات عن تضامنها مع نضال طلبة وشبيبة وشعب العراق في سبيل السلم

والديمقراطية والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق.

كما نظمت طاولة مستديرة تدارست المحاور التالية (١) خطر استعمال السلاح الكيمياوي على تفجير وتأجيج الصراعات في العالم (٢) اثر استخدام الاسلحة الكيمياوية على الانسان والبيئة (٣) دور الدوائر الامبريالية في تصنيع وتشجيع استخدام السلاح الكيمياوي. وقدمت فيها مداخلات تحدثت عن مخاطر اتساع استخدام هذا السلاح الفتاك وضرورة تحريمه الشامل وادانة مستخدميه، كما قدمت وقائع ملموسة عن استخدام النظام العراقي للاسلحة الكيمياوية والممارسات اللاانسانية والمنافية لابسط حقوق الانسان التي اقترفها هذا النظام بحق الشعب العراقي.

وتضمنت الفعالية ايضاً شهادات شهود عيان وافلام فيديو ومعرضاً للصور الفوتوغرافية وامسية للاغنية السياسية اكدت شجب واستنكار وفضح جريمة استخدام الاسلحة الكيمياوية من قبل طغمة بغداد الدكتاتورية الفاشية ضد ابناء شعبنا العراقي وقواه واحزابه ومنظماته الوطنية والديمقراطية.

وناشد المشاركون في الفعالية الرأي العام العربي والعالمي لتوسيع التضامن والدعم لنضال الشعب العراقي في سبيل:

١ ـ التحريم الشامل لاستعمال الاسلحة الكيمياوية ليس في الحروب بين الدول كما نصت عليه اتفاقية جنيف عام ١٩٢٥، بل ومن الحكومات ضد شعوبها ايضاً.

٢ ـ تحريم انتاج الاسلحة الكيمياوية وفرض رقابة صارمة على تصدير المواد المستخدمة في صنعها وتدمير مخزوناتها تحت اشراف هيئة الامم المتحدة.

٣ ـ اعتبار استخدام الاسلحة الكيمياوية جريمة حرب ومعاقبة مرتكبيها كأشخاص وكدول بالعقوبات القانونية والسياسية والعسكرية والاقتصادية من قبل الامم المتحدة وهيئاتها المختصة.

٤ ـ اعتبار يوم فاجعة حلبجة ـ ١٧ آذار ـ يوماً عالمياً للنضال ضد الاسلحة الكيمياوية وفي سبيل تحريمها واتلاف مخزوناتها.

٥ ـ الضغط على الحكومة العراقية لوقف حملات القمع والارهاب والاعدامات والتهجير القسري وانتهاك حقوق الانسان ووقف حرب الابادة ضد ابناء كردستان العراق.

٦ ـ مطالبة النظام العراقي باطلاق سراح المعتقلين السياسيين والكشف عن مصير المفقودين وضمان عودة المهجرين والمهاجرين وتعويضهم عما لحق بهم من خسائر واضرار.

١٨/ آذار/ ١٩٨٩

تأثير استخدام السلاح الكيمياوي على الانسان والبيئة

فيما يلي نص مداخلة المنظمات الطلابية والشبابية العراقية ضمن الطاولة المستديرة التي أقامتها هذه المنظمات لمناسبة الذكرى الأولى لمجزرة حلبجة.

أشارت وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦ / ١٩٨ / ٥ في ٢١ / ٤ / ١٩٨٨ إلى استخدام النظام العراقي للسلاح الكيمياوي منذ ١٩٨١ لحد الآن.

أرسلت الأمم المتحدة بعثات في آذار / ٨٤، نيسان / ٨٥، شباط وآذار / ٨٦، نيسان وأيار / ٨٧، آذار ونيسان / ٨٨، مرتين في تموز / ٨٨، أواسط آب / ٨٨ وجميعها أكدت استخدام العراق للسلاح الكيمياوي.

غادر العراق في ايلول / ٨٨ أكثر من ١٠٠ ألف مواطن، نتيجة لهجوم النظام العراقي على كردستان بمختلف أنواع الأسلحة منها السلاح الكيمياوي. وقد تأكد ذلك من خلال الأقوال التالية لشهود عيان لجأوا إلى تركيا ويعيشون الآن في مخيمات تفتقر إلى أبسط الشروط الصحية والانسانية.

- ماتت الحيوانات الأليفة والطيور، وحتى الأسماك في النهر.
- تغير لون الدنيا إلى الأصفر، جفت الأشجار وتساقطت أوراقها وانبعثت منها رائحة شيء محروق.
- حدثت انفجارات بأصوات ضعيفة مصحوبة بسحب غازية بيضاء أو ملونة.
- سقط الذين استنشقوا الغازات السامة وسالت من أفواههم الدماء بدون جروح.
- تحول لون جسم المصابين إلى الأزرق ثم إلى الأسود.

وفي قرى تركية تبعد من عشرة إلى عشرين كم عن مواقع استخدام السلاح الكيمياوي أوضح سكان القرى بأن مجاميع النحل في منطقتهم تعرضت للهلاك، وأصابهم الاسهال والتقيؤ بعد أكل لحوم الحيوانات.

هذه بعض الدلائل على استخدام النظام العراقي للسلاح الكيمياوي، هذا السلاح الذي أدرك العالم خطورته وبشاعته منذ الحرب العالمية الأولى، مما حفز ذلك عصبة الأمم على توقيع اتفاقية تحريم استخدام هذا السلاح وذلك في ١٧ / حزيران / ١٩٢٥.

ولم تسجل خلال الحرب العالمية الثانية أية حالة استخدام لمثل هذا النوع من الأسلحة رغم شراسة الحرب وحجم خسائرها وطبيعة مشعليها (النازية والفاشية) وذلك تعبيراً عن الاقتناع بحجم وبشاعة المجازر التي ستحل بشعوبهم وبلدانهم إن استُخدمت بصورة متبادلة.

ومع ذلك فقد حصلت بعض الخروقات لتلك الاتفاقية من قبل بعض الأنظمة الامبريالية (ايطاليا ضد اثيوبيا عام ١٩٣٦، اليابان ضد الصين ١٩٤١، أمريكا ضد فييتنام خلال الستينات والسبعينات)، وأبى النظام العراق إلا أن يفوق هذه الأنظمة بإجرامه فسجل سبقاً تاريخياً باستخدامه هذا السلاح ضد أبناء وطنه مسبباً بذلك كوارث رهيبة، أضخمها مجزرة أم الرصاص في البصرة شباط /٨٦ عندما قصف النظام العراقي بالسلاح الكيمياوي الجيشين العراقي والايراني عندما كانا متلاحمين في معركة بالسلاح الأبيض، ومجزرة حلبجة ضد السكان الأمنين في كردستان العراق آذار / ١٩٨٨ وقد راح ضحيتها خمسة آلاف قتيل وبين سبعة إلى عشرة آلاف اصابة مات الكثير منهم لاحقاً.

ولأجل التعرف على التأثيرات المختلفة للسلاح الكيمياوي، لا بد من القول أولاً بصورة عامة أن ضرره على الحياة عموماً والانسان خاصة هو فعل فيزيولوجي يعوق بعض الوظائف الحياتية أو يمنعها مسبباً الموت في الحالات الأكثر خطورة، ويمكن تشخيص الحالات الآتية لتأثير السلاح الكيمياوي على الانسان.

١ ـ حالة التسمم: تؤدي هذه الحالة إلى تدمير الجهاز العصبي وتسمم الدم ثم إلى الوفاة ويمكن أن تترك اصابة الجهاز العصبي أثراً على الوضع العصبي والنفسي مدى الحياة في الحالات التي لا تحصل فيها الوفاة. والغازات التي تسبب هذه الحالة هي غاز السيانيد، التابون السارين، الزومان وغازات (أف) وكل هذه الأنواع هي أخطر الغازات المستخدمة. وقد شاع استخدام النظام العراقي لغاز السيانيد الذي يظهر تأثيره بعد دقائق معدودة من استخدامه.

٢ ـ حالة البثور: يسبب الغاز الحكة والتهيج، يظهر تأثيرها بعد دقائق أو ساعات، حيث يمتص الغاز عن طريق الجلد. من أبرز أنواعه الايبرايث أو غاز الخردل، اللويزايث. ويسبب غاز الخردل اصابات أكثر من الوفيات. وقد لا تذهب آثار التقرحات والبثور التي لا تندمل والتشوهات الجلدية والجروح مدى الحياة.

٣ ـ حالة الاختناق: تسبب حالات الاحتقان والسعال والاختناق، تصيب الجهاز التنفسي والرئتين وقد يستخدم المصاب إذا بقي حياً جهاز التنفس الاصطناعي مدى الحياة. يظهر تأثير الغاز بعد (٤) إلى (٦) ساعات، ومن أهم الغازات التي تسبب هذه الحالة الفوسجين والديفوسجين.

٤ ـ حالة التهيج : تؤثر على العينين وتسبب استمرار الدموع وكذلك العمى الدائم أو المؤقت وتضعف البصر، كما تؤثر على الأنف وتسبب العطاس المستمر أو التقيؤ أو الاسهال يكون السلاح الذي يسببها بشكل دخان، وأبرز الغازات هنا الاستيفون والادامسيت.

ومهما يكن من أمر فإن الاصابة بإحدى هذه الحالات آنياً تعتمد على شدة تركيز الغازات أو السلاح المستخدم، ومدة التعرض إليه، وكذلك على طبيعة وجغرافية المنطقة وسرعة الريح واتجاهها وطبيعة الوقاية. . الخ.

الآثار التي تظهر على الانسان مستقبلاً

١ ـ الاصابة بالعقم أو تشوه الجهاز التناسلي مما قد يسبب ظهور حالات تشوه بالولادات أو حصول ولادات ميتة.

٢ ـ الاصابة بالأمراض السرطانية المختلفة سواء بصورة مباشرة أم لاحقاً.

٣ ـ تأثير الكثير من المركبات الكيمياوية المستخدمة كسلاح كيمياوي على تركيب بعض الحوامض النووية التي تكون الجينات أو الصبغات الوراثية بحيث تؤدي إلى تشويه الصفات الوراثية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

الآثار النفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع

بالاضافة إلى حالات العقم والسرطان والحالة الوراثية، أو الاصابات التشويهية المباشرة والتي ستترك حتماً أثرها النفسي على الانسان الفرد وتنعكس حتماً على سلوكه الاجتماعي وسط محيطه، فإن هناك تأثيرات على الوضع النفسي والاجتماعي للمجتمع ككل تتجلى في:

١ ـ حالة الرعب والخوف الدائم عند الناس نتيجة لتوقعهم استخدام السلاح الكيمياوي الذي لا يشبه السلاح التقليدي لا من ناحية الاستعمال ولا النتائج إذ أنه لا يُحدث صوتاً قوياً في الانفجار، ويتم توجيهه نحو الهدف من مسافة بعيدة ليصل إليه منتشراً بتأثير الرياح دون أن يلاحظ بوضوح، وليس أدل على ذلك من المشاهد المرعبة في حلبجة. إن مثل حالة الخوف والرعب هذه تصيب المجتمع بالتوتر والاضطراب وتخلق جواً نفسياً سيئاً يتصف باليأس والاحباط ويفقد الناس القدرة على حسن التصرف في المواقف الصعبة، ويشيع حالة الخمول وضعف الانتاجية على صعيد المجتمع كله.

٢ ـ التحرك المتواصل وهجر مناطق السكن تحاشياً لهجوم مماثل أو التهجير القسري منها والابتعاد عن البيئة التي اعتاد الانسان عليها، وكل ذلك يسبب مشاكل اجتماعية عديدة ليست بالحسبان، بدءاً من تحول مناطق سكانية واسعة مأهولة إلى مناطق مهجورة، مروراً بالتجميع القسري للناس في مناطق وبطرق وأعداد غير مخطط لها ولا تنم عن رغبة ذاتية (كما يحصل الآن في المجمعات أو المعسكرات التي يعيش فيها أبناء شعبنا العراقي سواء في تركيا أم ايران) وما يسببه ذلك من أمراض اجتماعية مختلفة وانتهاء بضرورة التأقلم مع واقع جديد

بعاداته وتقاليده والتخلي عنْ العادات والتقاليد التي نشأت بتوارث أجيال عديدة. وقد أشار إلى ذلك بصواب تقرير بعثة الكونغرس الأمريكي التي زارت معسكرات اللاجئين من أبناء شعبنا الكردي في تركيا في ٢١ / ٩ / ١٩٨٨ : «ستختفي الأنماط الحياتية التي هي وليدة قرون من الزمان في هذه المناطق التي سكنها الانسان منذ فجر الحضارة الانسانية».

الآثار المباشرة على البيئة

سواء تعرضت البيئة إلى السلاح الكيمياوي الخاص بالبيئة أم ذلك الموجه نحو الانسان، فإن آثاراً ليست قليلة تظهر على البيئة تتجلى في:.

١ ـ انتشار تأثير هذه السموم إلى مناطق لم تطالها قبلاً عبر الرياح.

٢ ـ اصفرار أوراق الأشجار ثم سقوطها، أو جفاف الأشجار ثم موتها نتيجة منع الاحتفاظ بالمادة الندية للأشجار.

٣ ـ انخفاض القيمة الغذائية للمحاصيل الزراعية (اتلاف الكثير من البروتينات الغذائية والفيتامينات ذاتها نتيجة تفاعل السموم معها كما قد يسبب كثرة الاستخدام للغازات السامة إلى سميّة ـ النباتات.

٤ ـ اصابة التربة بأضرار كبيرة خاصة فقدانها لخصوبتها بفعل ترسب المواد السامة الثابتة على الأرض (خاصة الغازات المهيجة التي تهدف إلى تسميم محيط القوى الحية) الأمر الذي يقلل انتاجيتها وسرعة تعريتها.

٥ ـ التأثير على الحيوانات سواء بالاصابات المباشرة أو المستقبلية التي تؤدي إلى هزالها أو إلى قطع انجابها وعقمها.

إن كل تلك الآثار تسبب خللاً في التوازن البيئي والطبيعي بين الكائنات الحية والبيئة المحيطة بها، ومهما بدت تلك الآثار من البشاعة والوحشية فإن الواقع الذي خلفته جريمة حلبجة يفوق التصور، ويشكل جريمة كبرى بحق الانسانية ووصمة عار في جبين النظام العراقي تقع علينا جميعاً مسؤولية فضحها.ـ

المصادر:

ـ مجلة ستراتيجيا عدد ٧٤.

ـ الأسلحة الكيمياوية والجرثومية وآثارها / د. عيادي د. معتز.

ـ تقرير بعثة الكونغرس الأمريكي إلى معسكرات اللاجئين / في ٢١ / ٩ / ١٩٨٨.

ـ المذكرة المرفوعة إلى الأمم المتحدة والهيئات الدولية من قبل المنظمات الديمقراطية العراقية.

بلاغ صحفي عن نتائج اللقاءات بين القوى الوطنية والاسلامية العراقية

شهدت الاشهر الاخيرة لقاءات متواصلة بين القوى الوطنية والاسلامية العراقية في سبيل صياغة اطار للتعاون فيما بينها يوحد نضالها الهادف لاسقاط الدكتاتورية واقامة حكومة وطنية بديلة.

ان هذه اللقاءات تكتسب اهميتها من كونها تضم لاول مرة، القوى الاسلامية إلى جانب القوى الوطنية. وبشعور عال بالمسؤولية بذلت جهود مكثفة لاشاعة افضل الاجواء الايجابية التي من شأنها دفع عملية التفاعل باتجاه انضاج صيغة العمل المشترك. وتميزت هذه اللقاءات بروح الرغبة المخلصة لدى جميع الاطراف لتذليل الصعوبات التي تحول دون تحقيق الاهداف المنشودة.

وقد انجزت بالفعل المهمة الاساسية المتمثلة في صيغة ميثاق العمل المشترك بين القوى الوطنية والاسلامية، الذي يشكل الحد الادنى للقواسم المشتركة لنضال هذه القوى. واقرت هذه الصيغة بأجماع القوى المشاركة الاسلامية والوطنية وذلك بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٩٨٩، وجرى الاتفاق على ان يوقع هذا الميثاق ويعلن مع الفقرة الانتقالية الملحقة به، واستمرار التباحث لانجاز النظام الداخلي له، إلا ان ممثلي المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق ارتأوا، فيما بعد، ادخال مزيد من الاضافات والتعديلات على الميثاق لاتخاذ الموقف النهائي بشأن التوقيع عليه مما حال دون انجاز هذه المهمة النبيلة.

لقد كنا، كقوى وطنية، نطمح ونتطلع، بحرص شديد إلى ان تنجز هذه الخطوة الهامة في الموعد الذي اقر لاعلانها بالاجماع، وان نوقع معاً على ميثاق العمل المشترك بين القوى الوطنية والاسلامية، وننتقل إلى انجاز صيغة النظام الداخلي لنتابع النضال من اجل تحقيق اهدافنا المشتركة التي جسدها الميثاق.

اننا في الوقت الذي نعلن تمسكنا وحرصنا على مواصلة الجهود لتذليل الصعوبات التي حالت حتى الان، دون توقيع الاخوة في الحركة الاسلامية على الميثاق، نعبر عن الثقة والامل في ان تنجح القوى الاسلامية التي كان لها شرف المساهمة في الجهد المشترك لميلاد الصيغة التحالفية الراهنة، في تبوء موقعها الطبيعي في اطار هذه الصيغة.

وحتى يحين الوقت الذي تنضج فيه صيغة العمل المشترك للقوى الوطنية والاسلامية العراقية أو أية صيغة تحالفية اخرى شاملة وجامعة، وهو ما تنتظره وتتطلع اليه جماهير شعبنا، بالحاح، فأننا نعرب، انطلاقاً من المصلحة العليا لشعبنا، عن استعدادنا الكامل لبذل كل الجهود مع الاخوة في الحركة الاسلامية لاستكمال مسيرتنا المشتركة، وتعزيز كل اشكال التنسيق والتعاون والعمل المشترك مع كل الاطراف الراغبة في ذلك.

اننا ممثلي الحركة الوطنية العراقية، انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية التاريخية ازاء مصائر شعبنا ووطننا، وادراكاً للاوضاع الخطيرة التي تمر بها بلادنا، والمتمثلة في اشتداد وتائر الارهاب ضد عموم شعبنا العراقي والحرب الشوفينية ضد شعبنا الكردي، حد استخدام الاسلحة الكيمياوية المدانة والمحرمة دولياً ضد ابناء شعبنا الابرياء وخصوصاً في كردستان وفي استمرار المحن والمآسي التي يعاني منها شعبنا جراء نهج النظام وحربه وعواقبها، انطلاقاً من ذلك وادراكاً له نعلن عن النتائج التي توصلت إليها اللقاءات بين القوى الوطنية والاسلامية، اثر جهود ومساع حثيثة، وكثمرة من ثمرات الحوار البناء المفعم بروح الشعور العالي بالمسؤولية لدى الجميع ازاء قضية انقاذ شعبنا ووطننا من الكارثة التي حلت بهما على يد نظام المجرم صدام حسين.

ونعتبر التوصل إلى صيغة ميثاق العمل المشترك انجازاً هاماً للشعب العراقي ولقوى حركة التحرر الوطني واصدقاء الشعب العراقي وحلفائه، وبداية مرحلة نوعية جديدة في العمل المشترك، لا بد من ان تتطور في مجرى النشاط الموحد، والتفاعل في الاتجاهات التي تكرس وحدة عمل كل قوى شعبنا وتتحول إلى نموذج لحركات التحرر في منطقتنا.

ان هذه النتائج ذات اهمية كبيرة ليس فقط في النضال من اجل اسقاط الدكتاتورية وانما ايضاً في اشاعة المناخ الذي سيؤدي إلى خلق اوضاع سياسية في العراق تسهم في ظلها كل قوى شعبنا لتجاوز حالة الانقسام والحيلولة دون اضعاف النضال المشترك بالاستفادة من التجربة التاريخية التي اكدت ان منجزات الشعب العراقي كانت تقترن باستمرار باللقاء والعمل المشترك وان اخفاقاته وانكساراته كان تقترن بفرقة الصفوف والاحتراب والانغمار في الصراعات.

ان هذه الحصيلة التي نجتمع لاعلانها تأتي في ظروف معقدة يخوض فيها شعبنا نضالاً دؤوباً شاقاً ضد دكتاتورية شرسة يصعب ايجاد شبيه لها في كل انحاء العالم. بيد ان شراسة هذه الدكتاتورية تفضح ازمتها وقوتها «الظاهرية» التي تكشف عنها، من بين مظاهر عديدة صراعاتها الداخلية وحالة التفكك التي تعاني منها.

ومن الطبيعي النظر إلى اعلان هذه النتائج باعتبارها تعبيراً عن ارادة المقاومة التي يتمتع بها شعبنا، ومظهراً من مظاهر تصدي الحركة الشعبية لحالة الانكسار التي تعاني منها منطقتنا. وهو في الوقت ذاته شكل من اشكال الرد على محاولات الدكتاتورية للظهور امام الرأي العام العربي والعالمي بمظهر زائف وعلى غير حقيقتها، في الوقت الذي هي ضالعة بالنشاطات المشبوهة والتآمر على حركة التحرر وفصائلها التقدمية.

ان ميثاق العمل المشترك الذي هو نتيجة لاجماع الارادة الخيرة للقوى والاحزاب والشخصيات الوطنية والاسلامية، الذي عبرت تنظيمات وشخصيات وطنية واسلامية اخرى عن استعدادها للانضمام اليه، يقر لكل طرف استقلاله الايديولوجي والتنظيمي والسياسي ونشاطه المستقل، وحقه في الدعوة إلى مبادئه واهدافه البعيدة والقريبة على النحو الذي يخدم اهداف هذا الميثاق.

اننا ندعو جماهير شعبنا، بعربه وكرده واقلياته القومية، إلى رص الصفوف والالتفاف حول قواه الوطنية، ومواصلة الكفاح في سبيل الاماني الوطنية. ونناشد كل قوى التحرر والتقدم العربية والعالمية والدول الشقيقة والصديقة، لدعم نضال شعبنا في سبيل تحقيق سلم عادل والتضامن مع كفاحنا المشروع للاطاحة بالدكتاتورية وتحقيق اهداف شعبنا النبيلة.

١ ـ الجبهة الكردستانية العراقية التي تضم:
ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني / العراق.
ـ الاتحاد الوطني الكردستاني.
ـ حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني.
ـ الحزب الاشتراكي الكردستاني / العراق.
ـ الحزب الاشتراكي الكردي.
ـ منظمة اقليم كردستان للحزب الشيوعي العراقي.
٢ ـ الحزب الشيوعي العراقي.
٣ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي / قيادة قطر العراق.
٤ ـ الحزب الاشتراكي في العراق.
٥ ـ التجمع الديمقراطي العراقي.
٦ ـ الاتحاد الديمقراطي العراقي.
٧ ـ القوميون المستقلون.

٧ / آذار / ١٩٨٩

الهند

المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الهندي

ـ انعقد في كلكتا في الفترة (٦ ـ ١٢) آذار ١٩٨٩، المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الهندي وحضره (٩٥٦) مندوبـاً و (٩١) مندوباً بديلاً ومجموع المندوبين الحاضرين كان (١١٣٠) يشمل قدماء الشيوعيين (٦١) و (٣٦) مدعواً. وكان التمثيل في المؤتمر استناداً إلى

قاعدة مندوب واحد لكل (٥٠٠) عضو (ومجموع الأعضاء في الحزب يزيد على نصف مليون). ويشكل الحاضرون ٩٤٪ من المندوبين.

وقد حضر المؤتمر (٤٥) ممثلاً للأحزاب الشيوعية الشقيقة ولحركات التحرر الوطني التي دُعيت إلى المؤتمر وقدمت تحياتها. إن حضور ممثلي الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني إلى المؤتمر خطوة تُساعد على تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية.

ـ ناقش المؤتمر مشروع تقرير حول التطورات في الأوضاع الوطنية والعالمية، ونشاط الحزب منذ مؤتمره الثالث عشر عام ١٩٨٦، إلى جانب مشروع القرار السياسي.

ـ كما ناقش المؤتمر مشروع التقرير التنظيمي ومقترحات التعديل على النظام الداخلي وتقرير لجنة الرقابة.

ـ وناقش المؤتمر مشروع برنامج الحزب الشيوعي الهندي والتعديلات المقترحة عليه.

كان تنظيم المؤتمر من ناحية الشرعية والديمقراطية الحزبية ممتازاً، واتبع نظام تقديم المداخلات على أساس تمثيل الآراء في وفود منظمات الحزب وأُعطي المجال أيضاً لابداء الآراء التي تمثل رأي الأقلية في هذه الوفود وحتى أُعطي المجال أحياناً لابداء الآراء الشخصيّة. وكانت جميع الوثائق المقدّمة الى المؤتمر قد نوقشت في قواعد الحزب وفي الكونفرنسات المحلية. وقد درس كونفرنس الحزب مسألة الترشيحات إلى الهيئات العليا والمقترحات المقدمة من القاعدة الحزبية بهذا الشأن وأعدَّ قائمة المرشحين لهذه الهيئات. كانت أكثرية الجلسات مفتوحة، عدا يومين من المؤتمر للجلسات المغلقة.

ـ انصبّت المناقشات السياسية على:

١ ـ الموقف من حكومة راجيف غاندي ومن حزب المؤتمر الحاكم، وموضوع المحالفات السياسية مع قوى اليسار ومع الأحزاب البورجوازية التقدمية بما في ذلك عناصر ديمقراطية في الحزب الحاكم.

٢ ـ الموقف من الوحدة مع «الحزب الشيوعي الهندي الماركسي»، ووحدة الشيوعيين في الهند، وكان هنالك اجماع على أهميّة هذه العملية على اختلاف الطرق التي تؤدي إلى هذه الوحدة. وكان هنالك تأكيد على وحدة قوى اليسار وتعزيز دورها في الحياة السياسية لكي تكون البديل لحكومة غاندي.

٣ ـ الاهتمام بالحركة العمالية، ووحدة الحركة النقابية، مع الاهتمام بالحركة الفلاحية ومطالب الجماهير الكادحة من العمال والفلاحين وسائر الشغيلة، والاهتمام بقضايا الشبيبة والطلاب وبتعزيز دور المرأة في الحزب والحركة الديمقراطية العامّة، والاهتمام بالأوضاع المعاشية لكل فقراء الهند.

٤ ـ الاهتمام بالمسائل الطائفية والأقليات الدينيّة ووقف الأعمال الارهابية للمتطرفين في

هذا المجال، عن طريق برنامج واسع وتفصيلي للوصول إلى الحل الديمقراطي الصحيح لهذه المسألة التي تهدّد كيان المجتمع الهندي.

٥ ـ وكان هنالك تأييد اجماعي للسياسة الخارجية التي تتبعها الهند والتي تتسم بكونها سياسة سلمية مناصرة لحركات التحرر الوطني وصديقة للاتحاد السوفييتي وللبلدان الاشتراكية، وجرت الاشادة بدور الهند في حركة عدم الانحياز وفي مساهمتها في حل المشاكل الملتهبة في جنوب آسيا وبنفس الوقت ثم فضح سياسة هذه الحكومة الاقتصادية التي هي لمصلحة الأغنياء من كبار الرأسماليين ومالكي الأرض ورضوخها لضغوط الاحتكارات الدولية واهمالها لمصلحة أكثرية الشعب الهندي من الكادحين. وكذلك تم انتقاد سياستها الداخلية في محاولتها لتجاوز الحريات الديمقراطية المنصوص عليها في الدستور الهندي ومحاولتها تعزيز دور الحكومة المركزية على حساب حكومات الولايات المختلفة، ومعالجاتها الخاطئة لمسألة الطائفية والأقليات الدينية.

ـ أما في مجال التنظيم، فقد قدّم التقرير التنظيمي انتقادات أساسيّة للسياسة التنظيمية للحزب والتي تتسم بجوهرها بالانعزالية سواء كان ذلك في الحركة النقابية أو في حركة الشباب أو في الحركة النسائية. وأيّد المؤتمر هذه الانتقادات واتخذ قراراً بوجوب العمل الجدي داخل المنظمات النقابية وترك سياسة تكوين نقابات شيوعية موازية، والتقرّب أكثر إلى مشاكل العمال والعناية بتطوير النضالات حولها. وفي مجال الشبيبة اعتبر قرار تكوين منظمة شباب-شيوعية خاطئاً، وتقرر الانطلاق إلى الشباب الغير حزبي وشباب المنظمات الشبابية المختلفة من أجل الوصول إلى منظمة شبابية توحّد كل هذه القوى. وفي مجال العمل بين النساء قدم التقرير التنظيمي نقداً ذاتياً شديداً لضعف توجه المنظمات الحزبية نحو كسب النساء حيث أن نسبة النساء في الحزب هي أقل من واحد بالمائة، وإن تقديم الكادر النسوي يعاني من صعوبة حقيقية في المنظمات الحزبية، كما إن العمل الجماهيري النسوي يعاني من نقاط ضعف جدية واتخذ المؤتمر قرارات اضافية حول معالجة هذه النواقص والأخطاء.

ـ وفي مجال تعديل البرنامج، انصبت المناقشات على التعديلات المقترحة، وتوصّلت هيئة الرئاسة إلى استنتاج يدعو إلى مواصلة النقاشات والدراسات حول البرنامج في جميع منظمات الحزب، وعقد مؤتمر خاص قادم (بعد سنة) لاقرار البرنامج الجديد، بعد إغناء هذه المسألة بالعمل الايديولوجي والفكري في عموم الحزب بغية التوصل إلى الصيغة الصحيحة حول استراتيجية الحزب.

هذا وألقت الرفيقة الدكتورة نزيهة الدليمي كلمة حزبنا وفيما يلي نصها:

أيها الرفاق الأعزاء

اسمحوا لي باسم الحزب الشيوعي العراقي أن أحيي بحرارة مؤتمركم الرابع عشر،

متمنيّة لكم كل النجاح في نضالكم المجيد من أجل السلام، والسيادة الوطنية ومن أجل الدفاع عن مصالح الشغيلة الهنديّة.

إن الشيوعيين في آسيا، ومن بينهم الشيوعيون العراقيون، يكنون للشيوعيين الهنود مشاعر التقدير والاعتزاز، للدور الذي يقوم به الحزب الشيوعي الهندي في مجرى نضال الشعب من أجل قضايا التحرر الوطني والديمقراطية والسلام في آسيا وفي العالم كلّه.

واليوم، حين تمرّ البشريّة بمنعطف دقيق اجتماعي وتكنولوجي وعلمي، وتتضافر فيه جهود كل قوى الخير والسلام في العالم من أجل التوصل إلى نزع السلاح النووي وكل أسلحة التدمير الشامل بما فيها السلاح الكيمياوي والجرثومي، ومن أجل حل النزاعات الاقليمية والدولية بالطرق السلمية، وإشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية وارساء التعامل الدولي على أساس التكافؤ، وحرية اختيار الشعوب للنظام الاقتصادي ـ الاجتماعي، فإن للشيوعيين الهنود دوراً مهمًا يؤدونه في إطار النضال الذي يخوضه الشعب الهندي في تحقيق هذه الأهداف، الذي جرى التعبير عنه في إعلان دلهي لعام ١٩٨٦، وفي البيان المشترك للقمة السوفييتية ـ الهندية، ولا سيما ما يخص منطقتي المحيط الهادي والمحيط الهندي، وحتى غرباً ليشمل منطقة الخليج والشرق الأوسط.

وينظر الشيوعيون العراقيون باعتزاز إلى النضال الذي يخوضه الحزب الشيوعي الهندي دفاعاً عن مصالح الطبقة العاملة الهندية وجميع الشغيلة الهنود ضد الاحتكارات المحلية والأجنبية، وضد مالكي الأرض الكبار والبيروقراطيين، من أجل التوصل إلى الحلول الشافية للمشكلات المعقدة التي تواجه المجتمع الهندي، سواء تلك التي توارثها عن الحكم الكولونيالي دون أن تجد حلاً على أيدي الحكام البورجوازيين، أو تلك التي نشأت بفعل هيمنة الرأسمال الاحتكاري، وفي مقدمتها مشكلات التمييز الطائفي والديني.

إن الشيوعيين العراقيين يتابعون باهتمام مساعيكم من أجل وحدة الشيوعيين الهنود على أساس المبادىء الماركسية ـ اللينينية.

أيها الرفاق الأعزاء:

كانت الحضارتان العظيمتان والعريقتان اللتان ازدهرتا في الهند وفي بلاد الرافدين ترتبطان ببعضهما على مرّ العصور وتتبادلان التأثير، وقد نتج عن هذا التفاعل تقدماً ثقافياً مرموقاً عاد على البشرية وعلى شعوب المنطقة بالخير والتقدّم.

وقد تأكد هذا التفاعل الحضاري في العصور الحديثة ويذكر الشيوعيون العراقيون بالاعتزاز أن روّاد الماركسية في العراق قد استفادوا من معارف رفاقهم الشيوعيين الهنود وخبراتهم النضالية، ويكنّ الشيوعيون العراقيون الاحترام والامتنان للتضامن الذي ظلّوا

يجدونه لديكمُ في أيام المحن الصعبة. واليوم حيث نخوض نضالنا في ظروف شديدة الصعوبة، نتطلّع من جديد إلى دعمكم وتضامنكم.

إن شعبنا، أيها الرفاق، هو ضحية الارهاب والحرب التي كانت من صُنع يدي الحكم الدكتاتوري في العراق. لقد استقبل شعبنا إيقاف اطلاق النار في الحرب العراقية - الايرانية بحماس وتطلّع، فقد عانى شعبنا ألواناً من الشقاء والدمار خلال ثمان سنوات من هذه الحرب.

- إن شعبنا يطالب، بأن يُتبع إيقاف اطلاق النار، بالجهود الجديّة من أجل الوصول إلى اتفاقية للسلام بين البلدين ويطالب أيضاً في أن يُشرع بوضع حدّ لأشكال الاضطهاد والارهاب والقتل الجماعي، وإن شعبنا أخذ يدرك جيداً ضرورة الحريات الديمقراطية، وفي مقدمتها حريّة العمل للأحزاب السياسية، وحرية التنظيم لمختلف أنواع المنظمات السياسية والاجتماعية، وحرية التعبير في الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى لكل القوى الوطنية والديمقراطية، إذ أن المشاكل الاقتصادية - الاجتماعية والسياسية التي تواجه بلادنا لا يمكن حلّها إلاّ عبر الديمقراطية وليس غير الديمقراطية من وسيلة ناجحة لحل هذه المشاكل.

إن الموقف الذي اتخذه الحكم الدكتاتوري بعد إيقاف اطلاق النار تجاه مشاكل البلاد الملتهبة قد بدّد كل التوقعات حول توجهه إلى الديمقراطية وأظهر مرّة أخرى طابعه المعادي للديمقراطية.

لقد اضطر هؤلاء الحكّام، تحت ضغط الرأي العام المحلي والعالمي، لا سيما الاستنكار العالمي الواسع الذي جوبه به استخدامهم السلاح الكيمياوي ضد شعبنا، والدعوة العالمية المتزايدة إلى مراعاة حقوق الانسان في العراق، إلى التظاهر بالرغبة في حلّ المشكلات الداخلية. لقد شرعوا يتحدثون عن التعددية و «العفو» ولكن لم ينتج عن ذلك إجراءات ملموسة وجديّة في التطبيق، وعلى العكس من ذلك فإن اجراءاتهم الارهابيّة التالية سرعان ما فضحت زيف ادعاءاتهم هذه، وأظهرت أن كل ما يشغل بال هؤلاء الحكّام هو ليس البحث عن مخرج لحل المشكلات الضخمة التي تسببوا في خلقها وإنما البحث عن سبيل ينجيهم من احتمالات انفجار الوضع السياسي والاقتصادي المتأزّم في البلاد والحفاظ على سلطتهم غير المحدودة. إن ما يؤرقهم حقاً هو أن سلاح الارهاب والديماغوجيا لا يجديان بعد الآن.

لقد رفضت الحكومة العراقية دعوات القوى الوطنية المعارضة إلى حل المسألة الكردية حلاً سلمياً وبدلاً من ذلك شن الحكم هجوماً عسكرياً شاملاً استخدم فيه حتى الأسلحة الكيمياوية بهدف تصفية قوى المعارضة. مسبباً قتل الألوف من الفلاحين الأبرياء وعوائلهم وهجرة عشرات الألوف منهم إلى تركيا وإيران وتدمير مئات القرى ومحوها من الأساس من أجل

تغيير الطابع القومي والتاريخي لكردستان العراق.

رفاقنا الأعزاء

إننا إذ نطرح هموم ومعاناة شعبنا، فلأننا واثقون من أن رفاقنا في الحزب الشيوعي الهندي، وكل القوى الديمقراطية يقفون إلى جانبنا، «سيواصلون تأييدنا ودعم نضالنا ضد الارهاب والاضطهاد الذي يمارسه الحكّام الدكتاتوريون في العراق.

- يعيش الحزب الشيوعي الهندي.
- يعيش التضامن بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الهندي.
- يعيش نضال الشيوعيين من أجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي.

مجلس التعاون العربي

إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة

من الطبيعي أن يدعم كل مناضل الاتجاهات الوحدوية.

كما أن أهمية التكامل الاقتصادي أصبحت من المسلمات في عصر التجمعات الكبرى والتكنولوجيا الحديثة وعملقة الانتاج التي تفترض تعبئة الموارد البشرية والمادية والعلمية وتوسيع الأسواق.

لكن هذه القواعد والمبادىء، المستقرة في وعينا ووجداننا، لا يمكن اطلاقها بشكل مجرد وكأحكام مسبقة تنطبق في كافة الأحوال. فلكم استُخدمت وابتذلت أفضل وأروع ما ابتدعته الانسانية من مبادىء وشعارات وما نسجته من قيم وأحلام وتطلعات للبشرية من جانب أشرس قوى الرجعية وأعظمها عداءاً للشعوب، لتحيلها إلى النقيض، فقد علمتنا الحياة أن نقيّم كل حالة على حدة في إطارها التاريخي ـ الواقعي وبناءاً على نوعية القوى الاجتماعية الداعية والمحركة لها. ألم نعاصر ونكتوي بنيران اشتراكية «أحزاب الاحتكارية

الفاشية» و «حريات» في حراسة المشانق و «المغارم» ومختلف أشكال «الجبهات والتحالفات» التي سُخِرت لشن الحروب وقمع الشعوب. . إلخ. فالعبرة بالمضمون والمحتوى وليست في الشكل والمظهر.

في هذا الاطار يمكن النظر إلى «مجلس التعاون العربي» بقدر مشروع من الشك والتوجس. .

وقد حاولت أطرافه ـ في سيل مكثف من التصريحات ـ نفي الصفة السياسية عنه والتأكيد على أنه «ليس محوراً سياسياً وليس موجهاً ضد أحد» رغم واقع القواسم السياسية المشتركة ـ ومعيار الاختيار والانتقاء نفسه ـ للتجمع الرباعي، والذي يستند أساساً إلى ركائز ثلاث هي مصر كامب ديفيد، سلطة التبعية والعلاقات الخاصة ومذكرات التفاهم العسكري مع أمريكا، ونظام العراق الفاشي بحروبه التوسعية وحملات الإبادة الكيمياوية للشعب الكردي، والمملكة الهاشمية بدورها التاريخي المشهود وعلاقاتها الوثيقة بالامبريالية والكيان الصهيوني. أما اليمن الشمالي فهي موطىء القدم في الجزيرة العربية، بعد أن امتنعت السعودية عن الانضمام للتجمع. فقد بذل مبارك جهوداً كبيرة لاقناعها بالالتحاق به إلا أن اقتراحاته لم تلق أذناً صاغية. فهي تخشى دور المنافس المصري وتهديده لمركزها وتأثيرها الاقليمي بينما نجد اليمن الشمالي خاصة بعد اكتشاف النفط ـ تلجأ إلى هذا التجمع للاحتماء به اتقاءاً للضغوط والأطماع السعودية المتنامية.

ولم يحرصوا طويلاً على عملية التمويه هذه، إذ سرعان ما اضطروا للكشف عن حقيقة توجهاتهم، إذ صرح أسامة الباز في اليوم التالي على التوقيع مباشرة بأن الاجتماعات ستستمر على مستوى القمة. . يتم خلالها بحث أمور لها أولوية خاصة منها القضية الفلسطينية والجهود المبذولة لاحلال السلام في المنطقة والقضية اللبنانية وسبل دفع جهود السلام بين العراق وإيران (صحف ١٨ / ٢ / ١٩٨٩).

ومما يؤكد طابع هذا التجمع كمحور سياسي اسقاطه لعناصر التكامل الاقتصادي ولاعتبارات التجانس والتواصل الشعبي والجغرافي، إذ يفتقر على هذا البلد ويتملص من آخر ويتعرج في مساره، مستبعداً أقطاراً هي أقرب بالقطع من تلك التي يضمها فما يجمع بين اليمن الديمـوقراطي والجمهورية العربية اليمنية (كشعب واحد) وبين مصر والسودان وليبيا ثم الأردن وسوريا ولبنان. . الخ هو أعظم بما لا يقارن بالروابط بين الدول الأربع المتمحورة، رغم ما يجمعهم جميعاً من انتماء عربي.

أما بدعة كون المجلس «مفتوح للجميع» فينفيها أن الالتحاق به لا يتوقف على الاقرار بالقانون الأساسي، وإنما يشترط موافقة «اجماعية» من كل الأعضاء بل وقد صدرت تصريحات من مصر والعراق تعني بأن سوريا لم تستوف بعد شروط القبول!! لا ندري بأي حق تنتزع

هذه الهيئة حق اصدار القرارات والأحكام . . حول السلوك السياسي!!

إن مصدر المبادرة وتوقيت التحرك له دلالته القاطعة في تقييم مضمونه ومراميه. فالمشروع نابع من القاهرة يجري في اطار «عودة» دورها العربي وتعميم كامب ديفيد ووجه بصعوبات ومقاومة، وتم تعديله وتحويره ليولد على صورة «المجلس التعاون العربي» لتتحول مصر من نظام محاصر منبوذ إلى زعامة محور يحاصر جزر المقاومة الثورية ويعمل على عزل القوى المناهضة للامبريالية في المنطقة والحجر عليها.

وقد ناور مبارك على عدة محاور: فهو يشترط الأغلبية لا الاجماع في قرارات جامعة الدول العربية. ثم يحاول الالتحاق بمجلس التعاون الخليجي (وهو ما رفضته السعودية سواء بالنسبة لمصر أو العراق رغم الالحاح والضغوط) فيلجأ إلى اقتراح «تجمع اقتصادي» أوسع في جولته الخليجية (والأمريكية) في عام ١٩٨٧ وتظل الرياض ممتنعة فيقترح حلف ثلاثي (مصر ـ الأردن ـ العراق) في أواخر عام ١٩٨٨ (اجتماع العقبة). حيث يوجه أسامة الباز حديثه إلى الناخب الاسرائيلي قائلاً «نريد أن تعلم (اسرائيل) أن هناك شريكاً عربياً مستعداً للتعاون. وأن البديل العربي موجود ومتاح» (صحف ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٨).

وعندما سوّفت الرياض وتلكأت بادر «الثلاثي» إلى ضم الجمهورية العربية اليمنية كعنصر ضاغط على الحليف السعودي، مستثمراً الخلافات التاريخية بينهما على الحدود اضافة إلى الطموحات المستجدة باكتشاف حقول غنية بالنفط في اليمن بل وكان أحد مبررات تشكيل المحور الجديد أن «دول الخليج تتحدث في الجامعة العربية بصوت واحد وهو الأمر الذي يشكل ضغطاً هائلاً على الدول المنفردة، ومع نشأة تكتلات أخرى يمكن تعديل موازين القوى في النظام العربي» (من استطلاع لآراء الخبراء في الأهرام ١١ / ٢ / ١٩٨٩).

ولا تخفى هنا الجهود التي يبذلها النظام المصري لاثبات أهليته ليلعب دور الوكيل للمصالح الأمبريالية في المنطقة، ومنافسته للسعودية في هذا المضمار، بعد افول الحقبة النفطية. وقد تجسدت مشروعاته ليس فقط في ممارسات النظام ولكن أيضاً في «برنامج استراتيجية مصر العربية» الذي أقر في مجلس الشعب عام ١٩٨٧ وكان يتضمن «نظام دفاع عربي» واجراءات لتشكيل قيادة عسكرية مشتركة وقوات «انتشار سريع، عربية ومحكمة عدل قومية». . . الخ بالتنسيق مع مجلس التعاون الخليجي،وأمام الفشل جعل مدخله من «البوابة الاقتصادية».

ولكن الانتفاضة الفلسطينية المجيدة جاءت لتعصف بهذه المخططات كما أن استمرارها حفز الرجعيات العربية على المناورة بدهاء وابتكار أساليب جديدة أو معدلة لترتيب الأوضاع الكفيلة بتطويق تفاعلاتها وعواقبها على المستوى العربي. وإذ فشل مبارك «بمبادرته» في اجهاضها وأخفقت كافة المحاولات المتنوعة لانجاز هذا الهدف، انتقلت الرجعية العربية من

مرحلة العمل على تصفية الحركة الثورية إلى التحضير لاحتواء نتائجها.

فإذا كانت «الدولة الفلسطينية» احتمالاً وارداً تترسخ معطياته بالواقع الجديد باعتباره «شر لا بد منه» - فلا يمكن للرجعية أن تكتفي بإذابتها في مشروعها المستهدف للوحدة الكونفدرالية مع الأردن بالصيغة التي تخطط لها، ولكن تبدو ضرورة تأمين أكثر احكاماً من خلال ربط المملكة الهاشمية بالمحور الأكثر تبعية وقدرة على «ضبط الأمور» من الناحية السياسية والعسكرية.

وفي هذا المناخ يبادر ياسر عرفات إلى استرضاء وطمأنة الجميع فيلقي بتصريحه العجيب لاذاعة «سي. بي. اس» مقترحاً اقامة «اتحاد اقتصادي يضم الأردن واسرائيل وفلسطين ولبنان» يدعم بواسطة مشاريع مشتركة «بما فيها مشروع مارشال يحظى بدعم الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية واليابان وأوبيك»!!

وبطبيعة الحال فإن «مجلس التعاون العربي» ليس مرشحاً لاداء هذا الدور وحده ولم يشكل خصيصاً للقيام به ولكنه يدخل في اطار اعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة ككل، طبقاً للمخطط المعتمد لتعميم «كامب ديفيد» وتحسباً لتفجرات شعبية وصعود متوقع في المد الثوري.

اليسار العربي

أدب وفن

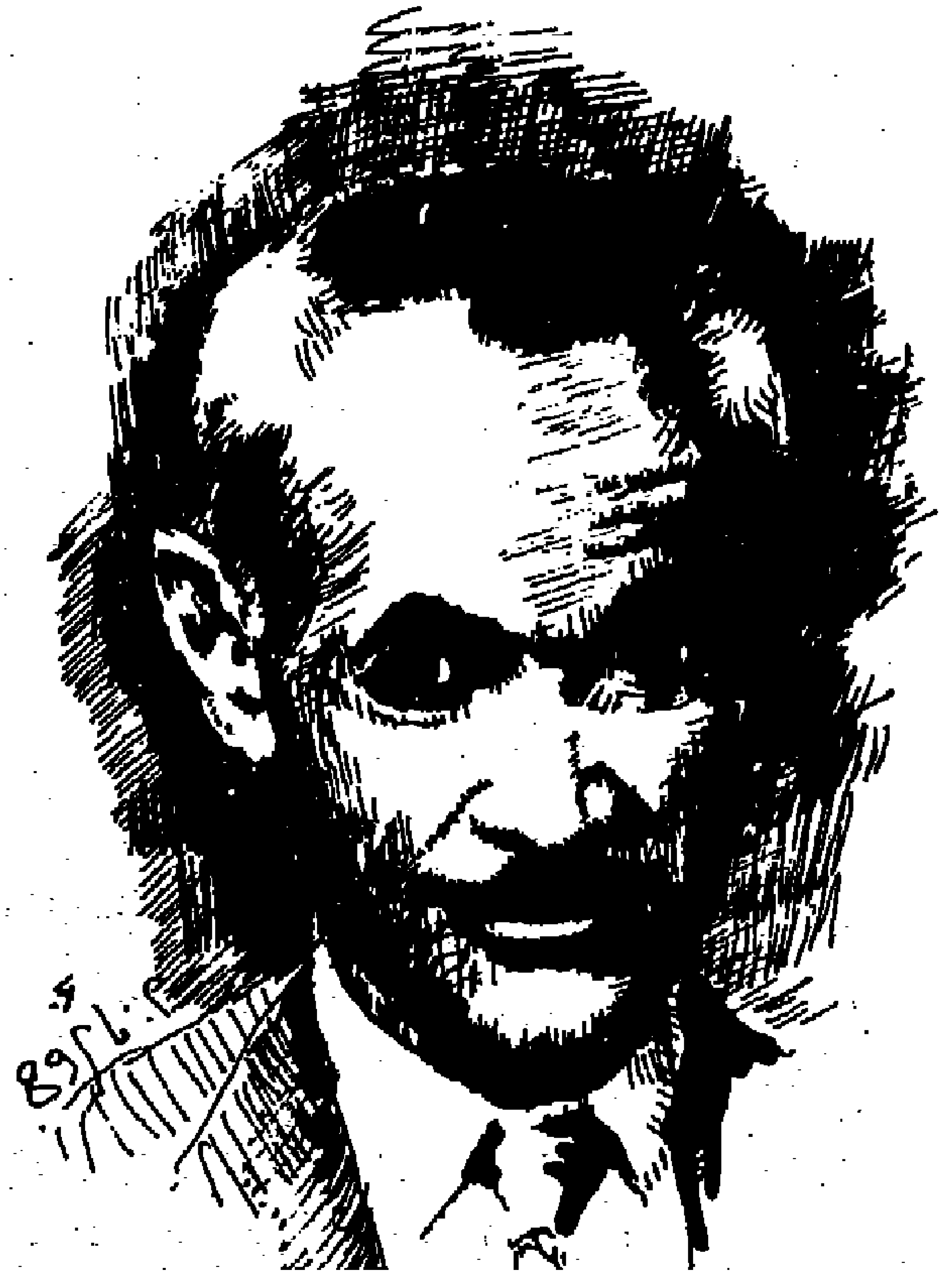

عبد الله گوران

في هذا الملف دراسـات ومقالات حول شاعرنا الكبير عبد الله كوران، مع ترجمة لبعض قصـائـده. به نحاول الاقتراب من عالمه الشعري المتنوع، ونقدم للقـارىء العربي صورة، وإن تكن متواضعة، عن هذا المبدع الذي حظيّ بحب شعبه حد العبادة.

بهذا الملف تعبّر مجلتنا، من جديد، عن اهتمامها بالثقافة الكردية، واعتزازها بالدور البارز الذي لعبه كوران في تطوير هذه الثقافة واغناء الحياة الروحية للشعب الكـردي، وفي النضـال، فكرياً وسياسياً، ضد الامبريالية والرجعية، وفي سبيل توطيد الاخوة العربية الكردية.

ليس مصادفة ان يأتي ملف كوران في آذار. فهذا الشهر يعبق بنوروز، العيد القـومي لشعبنـا الكردي، وكذلك بعيد ميلاد حزبنا قبل ٥٥ عاماً، الحزب الذي ناضل الشاعر سنين طويلة في صفوفه. وأخيراً، وليس آخراً، تحل في آذار أول ذكرى لمذبحة حلبجة التي انجبت شاعر كردستان الكبير.

كوران الظاهرة

د. رفيق صابر

عبد الله كوران (١٩٠٤ - ١٩٦٢) من ابرز رموز الثقافة الكردية المعاصرة، كان لنتاجاته الابداعية المتنوعة، وخاصة قصائده المتجددة دور ريادي في تطوير الثقافة الروحية لشعبنا الكردي، واغنائها بمضامين نوعية جديدة، وفي خلق وعي جمالي ومعرفي جديد في المجتمع الكردي.

لقد احدث كوران تغيراً جذرياً في بنية الشعر الكردي المعاصر، شكلاً ومضموناً.. لغة واوزاناً ورؤيا. واسس على انقاض الشعر التقليدي، الذي كان في ذروة ركوده ورتابته انذاك، حركة شعرية حديثة نابعة من صميم المجتمع، ومتجاوبة مع تطلعات الانسان المعاصر ويقظة الحياة الفكرية والروحية للشعب الكردي في تلك الفترة.

ان سحر ابداعات كوران يكمن في شفافيته وجماليته اللغوية البالغة الرقة، وفي اصالته العميقة النابعة عن قدرته الابداعية على استيعاب تراث شعبه الثقافي، وتفاعله الخلاق مع الاتجاهات الادبية المعاصرة في آن واحد. فقد تميزت ابداعاته الشعرية برؤياها العميقة وبنائها الفني الجديد، مما أدى، الى تغير هيكلية القصيدة وطريقة التعبير في الشعر الكردي المعاصر.

ان عمق الرؤيا الشعرية لدى كوران وشموليتها ينطبقان قبل كل شيء في اكتشافه لخصائص اللغة الكردية وللاسس التي تتحكم بالمفردة الشعرية وعلاقتها مع غيرها. ان هذه

الخصوصية تتطلب ايجاد الاوزان الشعرية التي لا تنسجم معها فحسب، بل تساعد ايضاً على خلق آلية جديدة لنظام العلاقة بين المفردات. لذلك اهمل كوران اوزان العروض التي كانت سائدة في الشعر الكردي من قبل. وكمبدع أصيل اكتشف أوزاناً شعرية نابعة تاريخياً من خصوصية اللغة الكردية وإيقاعيتها الموسيقية التي تنظم العلاقة الداخلية بين المفردات.

لقد اثار كوران ضجة عندما ازاح القناع الزائف عن اللغة الشعرية السائدة آنذاك، والتي كانت غارقة في الزخرفات اللفظية، مبتعدة تماماً عن خصوصية وجماليات اللغة الكردية (ان الجميل غريب دائماً كما يقول بودلير)، وابدع بدلاً عنها لغة شعرية صافية شفافة بسيطة نابعة من صميم المجتمع الكردي. واكد، من خلال قصائده، أن كل كلمة في لغة الام هي شعرية بحد ذاتها طالما تحمل معها مدلولها الخاص. من هنا بدأت، باعتقادي، انطلاقة كوران التجديدية. فقد جعلت من عملية العودة الى الاوزان الشعرية الفولكلورية، بكل ابعادها ومستلزمات تطويرها ـ خاصة اللغوية منها ـ اساساً لبناء رؤياه ونظريته الشعريتين.

أن الايقاعية، التي تتحكم بهذه الاوزان، تتطلب نظاماً متميزاً من العلاقة بين المفردات لكي تولّد تناغماً داخلياً، وايقاعية موسيقية معينة في القصيدة تختلف كلياً عن ايقاعية التفعيلة الخليلية. انها لا تعتمد على العلاقة الداخلية بين سكونية الحرف وحركيته (التي هي من خصوصيات المفردة العربية) أو على مقدار تكرار التفعيلة في البيت الشعري، وإنما تعتمد بالاساس على عدد الاصوات (التي تضم أكثر من حرف) في الكلمة، وكذلك على تنظيم هذه الاصوات اثناء عملية تكرارها في البيت الشعري، مثلاً على شكل (٤، ٨، ١٦، ٢٠) أو (٥، ١٠، ١٥) أو (٣ + ٤، ٤ + ٣.. الخ)، لتتشكل بذلك الحالة اللغوية الشعرية (بمعناها النظمي). لذا فان اول ما تتطلبها هذه العملية هي الركون الى تكوينية الكلمة النابعة من صميم خصوصية اللغة، أي البناء التركيبي للمفردة الشعرية. ربما لهذا السبب كلما ابتعد كوران عن استخدام العروض ـ لعدم انسجامه مع خصائص اللغة الكردية ـ كما يقول هو في مقدمة مجموعته الشعرية الاولى ـ كلما تفادى استخدام المفردات العربية والتركية التي كانت طاغية في اللغة الادبية الكردية حتى اوائل الثلاثينات، وذلك بتأثير الثقافة العربية الاسلامية، وبتأثير الاستعباد القومي والثقافي تاريخياً. وكانت اوزان العروض تساعد حقاً في جعل هذه المفردات الغير كردية مألوفة ذهنياً في سياقها الشعري (مثلما هو الحال مع اية قرآنية تقريباً) حتى اذا كانت غير واضحة المعاني للقارىء الذي غالباً ما يقرأ القصيدة العمودية ـ العروضية بأذنيه وليس بعينيه.

ان التغيير النوعي الذي احدثه كوران في الشعر الكردي المعاصر خلال عملية تطوره تركز اساساً في المراحل الاولى من تجديد اللغة والرؤيا الشعريتين. إلا انها لم تأخذا المدى التكميلي الاوسع حتى بالقياس الى المرحلة التي عاشها كوران. فقد حافظت لغته الشعرية،

رغم تطورها النوعي، على طابعها الواقعي وبقت المفردة الشعرية الديـة، الى حد كبير، في حدود معناها التعبيري الوصفي. فالمفردة عنده تحمل دلالتها القاموسية الايضاحية، لمدلولها الايحائي الذي يعطي للكلمة - اضافة الى معناها القاموسي - ابعاداً ومعاني جديدة في سياقها الشعري. لذلك فقد كانت عملية تجديده للشعر الكردي، في السنوات الاخيرة من عمره، تتطور افقياً لا عمودياً، كمياً لا نوعياً، ربما بسبب دخوله المتكرر للسجون ومطاردته من قبل الاجهزة القمعية التي حرمته من توفير الظروف المناسبة له لتطوير أدواته الفنية.

وبـالرغم من التغيير الذي طرأ على مضامين قصائده وتوجهه الجدي نحو المواضيع الاجتـماعية والسياسية، فقـد بقيت لغتـه الشعـرية، الى حد ما، في اطـارهـا الـوصفي التـوضيحي. فهي اذ تكون ملائمة لوصف جمال المرأة أو الطبيعة، تصبح لغة مباشرة بل وتقريرية أحياناً، عند استخدامها لتناول المسائل الاجتماعية والسياسية. لكن ذلك لا يقلل اطلاقاً من دور كوران الريادي في تجديد الشعر الكردي، وفي تفجير الطاقات الجمالية للغة الكردية.

ان كوران اول من جعلنا نكتشف جماليات لغتنا القومية التي هي مصدر بقائنا كشعب مازال مهدداً بالابادة، جعلنا نشعر، بل ونعتز بان لدينا لغة جميلة تنبع منها فطرياً موسيقى شعرية متميزة، كالشلالات الفضية في جبال كردستان. انه أول من علمنا ضرورة تطوير هذه اللغة شعرياً وحياتياً، بل ونضالياً ان صح القول، وذلك في تفاعلها مع الاتجاهات الادبية والفكرية المعاصرة واغنائها باستمرار.

ان محاولة كوران لتغيير الشعر الكردي جذرياً، ولازالة الرتابة والسطحية في حياتنا الثقـافية، لم تكن محاولة تجريبية رغبوية، وإنما جاءت بمثابة تكملة لحركة تجديدية شملت مختلف جوانب ثقافتنا الروحية، بضمنها اللغة الادبية، وذلك انعكاساً لتنامي وتطور الوعي القـومي ويقـظة الحياة القومية، بعد انهيار الامبراطورية العثمانية، بتأثير جملة من العوامل الـداخلية والخارجية، وهي عوامل متقاربة نسبياً لدى الشعوب التي تحررت من الاستعباد العثماني في تلك الفترة.

كان كوران مرتبطاً عضوياً بقضية شعبه واستطاع، كظاهرة ثقافية، ان يعكس مرحلة كاملة من حياة شعبنا. ويبدو ان ظهوره كان بمثابة ضرورة موضوعية ارتبطت بالنهضة القومية للشعب الكردي، وبانتعاش الحركة التحررية في كردستان الجنوبية، التي دخلت في فترة ما بين الحربين الكونيتين مرحلة نوعية جديدة في تطورها. وكان كوران من المساهمين البارزين في تطوير الحياة الفكرية والروحية في كردستان العراق. وذروة هذه التطورات، في اعتقادي، هو ظهور الافكار الاشتراكية العلمية في المجتمع الكردي وانعكاسها في الثقافة الروحية، ومن ثم تحولهـا من نظام معـرفي الى ممارسـة ثورية، وذلك بالارتباط مع انبثاق تنظيمات الحزب

الشيوعي العراقي في كردستان العراق منذ بداية الاربعينات. وجاء ظهور الافكار الاشتراكية العلمية في كردستان مثابة مرحلة نوعية جديدة في مجمل الحياة الروحية للشعب الكردي. فمن الطبيعي جداً ان يكون كوراننا المجدد من رواد حملة هذه النظرية الثورية في نضاله لتغيير الواقع المأساوي لشعبه.

ساهم كوران، مع عدد من زملائه المثقفين، مساهمة جادة في نشر الافكار الاشتراكية العلمية في كردستان عن طريق نتاجاته الابداعية وترجمة عدد من الكتب الماركسية الى اللغة الكردية. وكذلك ساهم في تبلور الموقف الاجتماعي الطبقي في الادب الكردي. فقد توجه، مع عدد من الادباء الاكراد، الى الاهتمام الجدي، ولاول مرة، بهموم وتطلعات الطبقات الكادحة في المجتمع الكردي والى التعبير الصادق عن معاناتهم (مثلاً قصيدته «في أعماق البئر» التي تدور حول عامل النفط وغيرها) والى الدفاع عن حقوقهم ليس من منطلق اخلاقي وحسب، وإنما ايضاً من قناعة فكرية بأهمية موقع هذه الطبقات في خلق حياة انسانية افضل.

ارتبط كوران بقضية شعبه عميق الارتباط، وكان عاشقاً حقيقياً للجمال الذي طالما وجده في طبيعة كردستان الخلابة. فكتب لها قصائد رائعة لا مثيل لها في الشعر الكردي. وهي قصائد تجعلنا نشعر بجمال كردستاننا عميق الشعور، فنعشقها مثله، وبالتالي تدفعنا الى ان نناضل بحماس شبيه بحماسه من أجل حريتها، ومن أجل تمتع شعبها، المهدد بالابادة، بحقه في تقرير مصيره.

انه لحلم بعيد.. ولكنه حلم كوراني جميل.

كوران: الفن واقاليم الاسئلة الصعبة

د. كمال ميراودلي

ترجمة : شيروان

مهما اجهد النفس، لا استطيع
حشر الخيال الذي يُسكرني
في اطار شعري
بوح الروح، كلمات لساني
لم هذا البون بينهما؟
اردت للروح ان تنبسط كالسفر
لتجلو الدنيا التي ابهى من الربيع
لتجلو: الاماني، الآمال، الاحلام
أبهى من نجمة القبة الزرقاء
لتجلو المعاني المحيطية الاغوار
حيث تداعب الانسام وجهها على مهل
لتجلو الدنيا التي لا دمع لشعرها
وهو أكثر بكاء من الدموع.

حيث بسمة الطلعة التي لا مرايا لها
تشع بنور اسطع من الشمس!
ولكن واحسرتاه! فتلك الاشعار الجميلة
طيور توصوص، تغرِّد في اعشاشها
ولا تمرِّر ابداً على الورق باقلامها!

* * *

أهذه شكوى من الشعر، أم صرخة للامساك بروحه، أم استسلام لاستنتاج متشائم بانه حتى الفن لا يمكن ان يضاهي تلك الاحاسيس الروحية المخبأة في الاعماق المجهولة للانسان، والتي كتب عليها البقاء صامتة، مستكينة؟

ما هو الشعر؟ ما هو الفن؟ ماذا يعني التعبير أو اللغة؟

هذه الاسئلة تطرح بعمق، والحاح، وتركيز في ثنايا القصيدة

الفكرة الاساسية للقصيدة: الصراع بين الاحساس والتعبير، فالشاعر يقول أن هناك الكثير من الاحاسيس الرقيقة والخيالات الجميلة تولد في اعماقه، غير ان اللغة والكلمات تقف عاجزة عن التعبير عنها. وهذا ما يسبب المًا ومعاناة روحية للانسان الفنان لا يمكنه الخلاص منها إلا بالتمني والرجاء.

ويتم التعبير عن هذه الفكرة الاساسية عبر ثلاث خطوات أو مراحل منطقية:

ففي البيتين الاولين يتم الابلاغ عن كيفية وماهية الصراع. الشاعر يقول: كثيراً ما تسكرني خيالات واحاسيس قوية، ولكن بالرغم من كل ما أبذله من الجهود فانني عاجز عن صياغتها في اطار شعري. ولست أدري لماذا كل هذا البعد بين مشاعري والكلمات التي استعملها للتعبير عنها. أي ان الشاعر يشعر في هذه الحالات بالاغتراب حتى عن شعره وبان هذا الأخير ليس معبراً صادقاً عن معاناته واحلامه، وان الفن لا يروي ظمأه إلى دنيا الجمال.

هذا هو معطى «موضوعة» الصراع.

في الخطوة الثانية: يضع الشاعر مقابل هذا المعطى، معطى مضاداً فبعد وصفه للحالة التي هو فيها، يعطينا لوحة للحالة التي كان يتمنى ان يكون عليها، الحالة المفترضة المشتهاة، فيبدأ برسم تلك اللوحة بكلمتي «كنت أريد»:-

(كنت أريد) للروح ان تبسط كالسَّفر
لتجلو الدنيا التي ابهى من الربيع.

فـ (كنت أريد) انتقالة للمعطى المضاد. أي لا أريد ان تكون كلماتي واحاسيسي بعيدة

عن بعضها بهذا الشكل، وان تكون أعماق روحي عصية عن التعبير بهذا الشكل المفجع، بل كنت اتمنى للروح ان تُبسط كالسِّفر لتجلو مكنوناتها. وهنا يعدد الشاعر صوراً من تلك الدنيا المخبأة في روحه.

الخطوة الثالثة: هي محصلة المعطيين، الموضوعتين المكونتين للفكرة الاساسية، فالشاعر هنا يوضح ان تمنياته عديمة الجدوى ولا طائل من ورائها. فتلك الاشعار الجميلة تظل طيوراً تغرد في اعشاشها وتأبى الخروج منها وتستعصي على الامساك بها.

فلنلق نظرة أخرى على المسألة برمتها.

ـ القصيدة بحد ذاتها تشكل نوعاً من (التناقض). . أي تناقض نفسها بنفسها، ولكن دون ان تلغي حقيقتها أو الغرض منها. الشاعر يقول: بان هناك مجموعة من الاحاسيس والاماني تهز كياني وتحرك روحي ولكنها لا تتحول اشعاراً ولا تدخل في اطار القصيدة. غير انه يعبر فعلاً عن هذه الحالة وتلك الاحاسيس والأماني في قصيدة، قصيدة رفيعة الصنعة، مؤثرة وجميلة.

ان هذا لا يلغي ما يرمي اليه كوران: فهو يريد القول إنّ المسألة اعمق من هذا بكثير، وان ما عبر عنه في القصيدة قاصرٌ عن ان يكون ما (أراد) هو التعبير عنه. فالدنيا التي يصورها في ثنايا هذه القصيدة ليست تلك الدنيا التي تجيش في عروقه وتملأ عقله احلاماً وأماني ورغبات!

والجديد الذي تمكن من ايصاله هو فقط ما يبلغه الينا حين يقول: لا تظنوا ان كل الافكار الجميلة ستنطلق طيوراً حرة عالية التحليق في سماء الاحاسيس والمشاعر وتملأ دنيا الفن والطبيعة حبوراً وسعادة بتغريدها. كلا! فهناك طيور كثيرة لا تغادر اعشاشها وليست هناك من أذنٍ تسعدُ بسماع انغامها. تلك هي قصائد الاعماق، التي تبقى في أعماق الشاعر تورثه القلق وتحثه على البحث.

ذلك هو الصراع بين الحس والتعبير.

خيال اسمى من الشعر يوصل الشاعر إلى الثمالة، إلى مدى يعدم جسراً، وفضاءٍ لا يمتليء يمتد بين بوح الروح وكلمات اللسان.

فما هو الزمن والمسافة الممتدان بين ولادة الاحساس والتعبير عنه في شكلٍ فني؟

وهل ان المشكلة كامنة في اللغة فقط؟

وهل ان اللغز ينصب فخاخه في الكلمات؟!

وهل هناك من وسيلة أخرى للتعبير عن الافكار العميقة، والاحاسيس المكنونة سوى اللغة؟

بالطبع ليس غريباً ان لا تكون اللغة سهلة القياد لكل من أمسك بالقلم وأراد تصوير

خيالاته واحاسيسه، وان تبقى في جزر الاصوات السرية نغماً لم يسمع وجملة لم تكتب ابداً.

وليس غريباً ان لا يتمكن كل كاتب من قوانين الكلام ومن طرق باب التعبير. .

ولكن ماذا عن كوران! نعم، كوران!

فحين يقف كوران استاذ الكلمة الكردية ومريد دنيا المعاناة وتلاوين الروح متشكياً من قدرته على بلورة خيالاته، معانياً من الشك وعدم الرضى وفقدان الطمأنينة أمام فورة المشاعر والرغبات والتوق إلى التعبير عنها بأكثر الكلمات ملاءمة. . حينذاك ندرك ان سؤالاً صعباً يطرق بالحاح باب الاستعصاء الفلسفي ويطالب بفتح الرتاج عن لغز عبقري.

فما هي قدرة اللغة ذاتها؟

وهل ان القصيدة المشتهاة تستعصي على البوح لمجرد عجز المشاعر عن ذلك؟ أم ان اللغة نفسها تقف عاجزة واداة غير مكتملة أمام قوة مشاعر الانسان ومعاني الحياة الغنية بتنوعها.

فلنستمع لنشيد حزين آخر من كوران:

ها هو، مرة اخرى، من ركن قلبي القصي،
يعلو رنين جرس التأسي
بتؤدة، واهنا، رويدا
يضع هوى روحي على ارتعاشة الحزنِ
متمهلاً، مرتجفاً، مستكيناً
يئن من ركنه القصي!
فينطق لسان لا ارتوي من الاصغاء اليه
كلما رن رنينه. .
لسان، انشودة، صوت، نغمة
شكوى، شهقة، تأوه. .
لا افقهه، ولا أفهم ما يقول
ولكن روحي تنشج بالبكاء معه!
ما الأمر ياروحي التي لا ضفاف لها ولا تعليل
وجهلي بكِ حتامَ يطول؟
ما هذا الصوت، هذه النغمة البعيدة

التي ترغم الشعور على فتح عيونه؟
الضجر يتملكني عندما تقبل، وما ان ان تهجر
حتى تظل رغبة القلب هائمة خلفها من مشوار إلى آخر!
ما هذا الجرس الذي يرن مهموماً
والضباب يغطي دياره؟

لقد سمى كوران قصيدته هذه بـ «جرس الضجر». وكتب في هامش عنها يقول:

«احياناً اشعر في اعماق قلبي بشعور من الضجر يشبه نوعاً من الثمالة، ولكنه يُحدِثُ في دنيا افكاري وخيالاتي هيجاناً يوصلني حد الانهاك، ولكن حين يخفي نفسه عني لفترة طويلة، نوعاً ما فان روحي تبدأ كالطفل، تبكي متلهفة عليه..

أردت صياغة هذه الافكار في قالب شعري، ومهما بذلت من جهد، لم استطع سوى انجاز ما ترونه»

اذن شعور من الضجر يشبه الثمالة، وثمالة تهيج دنيا الخيالات وتنهك المرء!

فما سر هذا الضجر؟

القصيدة قسمان: اولهما وصف للطريقة التي ينتابه بها ذلك الشعور.

والثاني: حديث الشاعر مع روحه وشكواه لها.

ها هو، مرة اخرى، من ركن قلبي القصي،
يعلو رنين جرس التأسي

«ها هو، مرة أخرى»؟! تبين ان تلك ليست حالة فريدة تحدث مرة واحدة، وانما هي حالة متكررة الحدوث. وفي الهامش عندما يقول «أحياناً» يؤكد هذا الواقع. وذلك الشعور يتبدى في صور وتجليات عديدة، ولكنه لا يتحول إلى كلمات واضحة جلية المعاني ويتبقى متخفياً، دون ان ينال هذا الاختفاء من قوة تأثيره، وانما على العكس، فان هذا الغموض بالذات يثير روح كوران ويجبرها على النشيج.

ولكن لدى كوران تلك الرغبة الانسانية الساعية إلى اماطة اللثام عن المجهول فيسائل روحه مذهولاً عن سرها وسر ذلك الصوت. وهو يماثل هنا بين روحه والصوت كونهما مجهولين لا عنوان لهما ولا دالة، واثرهما الوحيد يتجلى في اثارة الشاعر وخضّ أعماقه. فالروح لا حدود لها ولا ضفاف. والصوت نغم بعيد، حزين، يغمر الضباب دياره.

لقد اعتاد الانسان منذ القدم ان ينسب الظواهر الغامضة والمشاعر غير المفسرة إلى «وجود» ما، خلقه في الفكر واللغة، ويوجه اليه كل الاسئلة الصعبة عن الوجود والعدم

المعروف والمبهم، الممكن والمستحيل.

فاذا كان هذا الشعور الغامض، هذه الشمالة ذات المغزى تعود لدينا الروح، فما هي الروح ياترى؟

في قصيدته السابقة التي تصف تجربة روحية داخلية يسمي الشاعر روحه بظاهرة لا ضفاف لها ولا تعليل، أما في قصيدته «الروح» فهو ينظر اليها ليس كتجربة داخلية بل كسؤال وموضوع خارجي يقف قبالته ويوجه اليه اسئلته التي لا جواب لها:

لست ادري، ايتها الروح، ما انتِ؟
يارفيقة حياتي العزيزة
ويامحركة جسدي
ومُشعرتي بالحر والبرد
يازخم قلبي الجيّاش
ورفيقة عمري الابدية
مُذْ ولدتُ ولحين مماتي
اظل لا أعرف من انتِ؟ ومن أنا؟
انتِ لستِ أنا، وأنا لست انتِ
فهل انتِ دنياي؟ أم انني دنيا:
اصبحتِ انتِ نتاجها
انت والحياة من منكما هي الأخرى
وايكما وقود السراج؟
ومن منكما هو الضياء
أم انه كليكما: هي الأخرى؟
لست أدري، وحائر انا
ياطلسم حياتي.
وكل ما آره واضحاً:
ان الفراقَ هو المآل!
يوماً ما.. غداً أو بعد غد
ليس معروفاً كيف ومتى

ستختفين انتِ، والجسد سيموت
وسيترك الجسد قبراً
تذكاراً لدهرٍ ما
ولكن أنتِ ايتها الروح
اين دليل بقائك وفنائك:
اين قبركِ وعنوانكِ؟

اسئلة كثيرة ومباشرة تتلاحق فتمنح القصيدة بساطتها وتجعل الجمل قصيرة يكمن الجواب في الاسئلة، ويتركز السؤال في الاجوبة ذلك ان السؤال والجواب وجهان لسؤال كوران الاساسي، وهو سؤال اساسي للفلسفة ايضاً: مسألة الاختلاف والانقطاع بين الجسد والروح، بين الحياة والوعي.

في القسم الأول، وبموازاة الاسئلة، يطرح الشاعر الافكار المألوفة حول (الروح) باعتبارها رفيقة الحياة ومصدراً لقوة الجسد واحساساته، وهي (أي الروح) ترافق الانسان طالما هو حيّ يتنفس. ولكن اللغز يبدأ من هنا: هل ان الانسان وروحه منفصلان؟ هل ان الجسد والروح شيئان مختلفان؟ وهل ان دنيا الانسان هي دنيا الروح ام ان كلاًّ منهما دنيا قائمة بذاتها؟ هل تعطى الحياة للانسان ثم تصبح الروح محركتها أم ان الروح موجودة قبل حياة الانسان؟ أم ان الحياة والروح شيء واحد واتجاه واحد؟

كوران لا يملك جواباً عن هذه الاسئلة. كل ما يعرفه ان النهاية هي افتراق هذين الشيئين، واذا كان الجسد يختار قبراً ليكون دليلاً على وجوده الذي انتهى، فما الذي يحل بالروح وما دليل بقائها أو فنائها؟

وفي السؤال الأخير يطرح كوران شكه الفلسفي وتبقى الروح لغزاً ليس إلا.

غير ان مسألة (الروح) كلغز فلسفي مرتبطة بمسألة أخرى، تلك هي مسألة الموت الذي يقف المرء وتفكيره عاجزين امامه. فالموت الطبيعي من المسائل الوجودية التي لا يملك المرء ازاءها سوى الشكوى العقيمة والأسى الذي لا يغير شيئاً، ذلك ان الموت معادل ديالكتيكي للحياة. وحياة الانسان ليست سوى كفاح ضد الألم والصعاب ومن أجل الفرح والسعادة. وان التجربة الحياتية لأي شخص مليئة بصور الموت والحياة، الظفر والانتكاس، الأمل واليأس، العطاء واللاجدوى.. ويكفي لانسانٍ مرهف الحس مثل كوران ان يسمع بكاء طفل رضيع في هدأة الليل لينفجر في اعماقه العديد من الاسئلة المؤلمة والمعاناة المقلقة، كما نرى ذلك في قصيدته «إلى ابني هيوا»:

لا تبكِ ياهيوا، كفاك نشيجاً منتصف الليل، كفاك بكاءً

لِمَ تحرم عيني المجهدتين من إكسير الغفوة؟
بني! ياصغيري! ياضيف دنياي الحديث الخلق
ها ان بكاءك يحرق روحي المعذبة
فلِمَ هذا البكاء الذي لا غاية له! ولِمَ النشيجُ المُجفل لليل!
لِمَ هذه القطرات الصغيرة التي تنساب من عينيك بلا مآل؟
ما فرقك عن البرعم الصغير النامي على غصن ربيعي
فلم يستغرق هو في النوم لحين الذبول؟
وكالجدي المولود تواً، لم لا تدفعك نشوة اللعب على قوائمك
كفرخ العصفور الذي يفترش عشه ثعبان ملتو!
ما الذي يؤلمك، بنيّ، لم تصرّ على هذا النواح!
فبالله ما الأمر، ما السرّ في كونك هكذا محكوماً بالبكاء:
انت الذي لا تفقه الهم؟ ولا تعرف معنى البكاء!

* * *

وهـذا عالم آخر من عوالم الفن: الارتفاع بحدث عادي، بالمقاييس العامة المألوفة، ببكاء طفل في منتصف الليل، إلى مستوى سؤالٍ فلسفيّ، إلى اقليم الاسئلة التي لا جواب لها.

الشاعر يعرف ان هذه الدموع لا معنى لها بالنسبة لطفل لا يعرف معنىً للهموم، ولكنه لا يكف عن التساؤل: اذن لِمَ يبك هذا الطفل؟ انه يربط البكاء بالحزن والهموم وينظر للاخيرة كخصلة وجودية ـ اجتماعية للانسان حيث قد يجد البكاء تبريره في الآلام والصعاب التي تضعها الحياة في طريق الفرد، ولكن هذا يصح على اناس ذاقوا مرارة هذه الآلام كالشاعر نفسه، وليس على هيوا، هذا الطفل الصغير.

لو انك تجرعت السم كأبيك الذي قاسى من الحسرة
وذر الزمن غبار آمالك كله في مهب الريح
واشتعل في لهيب واضطرام اليأس والحزن
ربيع عمرك الغض: ورداً وثماراً!
نعم، بنيّ، لو ان قليلاً من تعاسة الادراك
قتّم بوجهك مثلي، ليس الليل بل النهار الوضاء أيضاً

يريك ما أرى من ظلام
لكنتَ محقاً ان تهز العرش بانين روحك المعذبة
وان ترش نجوم السماء بدمع القلب
لكنتَ محقاً ان تجعل من كل هذا البكاء المبهم الذي لا معنى له:
لساناً للشرح والابلاغ عن شكواك من هذه الدنيا
لكنتَ محقاً ان تبكي بدون انقطاع في وجه خطيئتي الابوية
وان تملأ البحر بصاقاً وتقذفها على جبهة ابوّتي

هنا نرى أي سؤال عميق فجره بكاء هيوا المبهم في اعماق كوران، وكيف انه بحكم انسانيته وحسه المرهف وضميره الحيّ يحس بمسؤوليته كأب ازاء مصير ابنه وآلامه الحاضرة والمنتظرة. ونفهم من المقطع هذا أي عذاب كان من نصيب كوران وكيف ان ادراكه للحقائق وفهمه للحياة بكل قسوتها يجعل ليس ليل الشاعر قاتماً فقط بل النهار الوضاء أيضا. وان مجرد التفكير بان حياة ابنه ستأخذ نفس مجرى حياته هو، يهزه إلى الدرجة التي يعطي فيها الحق لابنه ان يملأ البحر بصاقاً ويرميها في وجه ابوته له!

ولكنه يعود ويطمئن نفسه بان ابنه لا يزال صغيراً وربما تكون حياته أكثر سعادة وفرحاً من حياته هو فيقول:

لكن، بنيَّ، وانت الآن في فجر الحياة
تقف عند عتبة طلسم الحظ المجهول
ما الدليل على ان نهر عمرك سيتبع مجرى عمري؟
ولن يكون....
نعم، ياجديبي، ولو ان حياة الجميع متشابهة
وبين المهد واللحد علينا قطع نفس الطريق
واننا جميعاً في قافلة الحياة المُسَّيرة
نأتي ونرحل.. إلى ان نصل، أي نموت
غير ان رحلة العمر رحلة ملأى بالسحر والغموض
كقطرتين من نبع واحد: احداها عكرة والأخرى صافية
فهناك من يحث الخطى الشريدة على الشوك، مثلي

وهناك من يفترش حرير البساتين!
وكما تُجهّم الروح اليائسة الضجرة وجه الدنيا
فالروح السعيدة تفيض عليه نورا
بنيّ! فكما الحظ التعيس يبكي من غرائب هذه الحياة
هناك شيء ـ السعادة ـ يحيطها الضحك
فلا تخف عبثاً، لا تحزن، ولا تبك من الآن
فمن يدري ما الذي كتب على جبينك هذا؟

وكما يقر كوران هنا بحتمية الموت، كحقيقة تبدأ من المهد إلا انه يصور الحياة ايضاً كنهر ورحلة سحرية، والافراد في هذه الرحلة يختلفون فهناك من يمضي على الشوك وهناك من ينعم بالبساتين، وكما ان هناك تعاسة البكاء فهناك سعادة الضحك فما الداعي لأن يبكي هيوا منذ الآن، ومن يدري فلربما الايام تخبىء له السعادة؟!

غير ان الحياة لم تبرر، وللاسف، آمال كوران هذه، فبدلاً من عمر مديد وحياة سعيدة تمضي كالنهر الهادر، رأى كوران موت ابنه المبكر، فيرثيه بقصيدة رقيقة:

يابني الوحيد، ياأمل حياتي
يانجمة صباحاتي الوضاءة
يانهاراً نوروزياً ذهبي الضياء
ياهالة قمري الصيفي البيضاء
يانسمة الافق الربيعية
ويا ارتعاشة مروجي الندية

وعلى طريقة المراثي الكردية الاصيلة يمضي كوران في رثائه المؤثر هذا مصوراً لوحة ربيعية ابدية وشموس نظرات هيوا قبالة غيوم الموت المقتربة:

انها نظراتك الأخيرة، فبالله عليك
انظر اليّ ملياً بعينيك الزرقاوين
لاذرف الدمع عندما اجلس تعيساً
ثكلا لرحيلك
لذكرى بركتين، بركتين بلا قرار
ألفتها سمكة روحي..

اذرف الدمع مدراراً
دمعاً يذيب الكبد والقلب

كوران يرجو هيوا ان يتأمله ملياً لتطبع في ذاكرته صورة تينك العينين اللتين الفتهما روح كوران كما تألف السمكة لجة البحر، ذلك انه اوان الموت وهطول الدمع، كما يقول كوران.

وبنفس الطريقة يرثي كوران ابنته كولاله التي ماتت صغيرة، فيمسك بتلابيب الموت بحنق أكبر ويهزه بشدة، ذلك ان شكواه انين انسان متألم معذب. . . انه نقل حي للحظة المأساة والفجيعة:

بنيتي، ياذخر حياتي، وذكرى شبابي
ياباكورة حلوة المذاق لشجرة غرامي قصيرة الأجل
ياقطرة من دمي الناري. .
يافلذة كبدي العزيزة، يانور عيني

إلى هنا تنساب القصيدة بهدوء والصور تعكس بداية الحياة والآمال المعلقة عليها. ثم تنقضّ الكارثة ويقبل الموت فيرتفع انين كوران الأب والشاعر الفنان:

القبر! ياارضاً سوداء، ياهوة ظلماء
ياوحشاً يفترسُ جسد الامهات والآباء
لقد كدست حولي الشقيقات والاشقاء
وبقيت لي بنت واحدة، فجعلتها لك طعمًا؟
أي فخ هذا؟ وأي عدل ايها الظالم
تُصلي الجحيم وتجعله حالي
من أجل لقمة واحدة من اللحم البريء
لمَ حَرمتني من نور البصر؟

ولا يرى كوران في قسوة الموت هذه، تلك القسوة التي حرمته من الأم والأب والشقيقات والاشقاء وطالت حتى ابنته الوحيدة، لا يرى بصيصاً من المعنى وشيئاً من المنطق ولا يرى سبباً معقولاً. فيستمر في حديثه مع القبر:

فاذا كنتِ، ايتها الأرض الظالمة، مسلوبة الاختيار
واموركِ أيضاً محض اضطرار

فمن يكن المسؤول عن فعلتك:
الطبيعة، أي شيء، بل وحتى ذات الله
نعم: أي كائن أو أي شخص كان السبب
فله اوجه احتجاجي أكثر الجميع
اذرف الدمع، اطلق الآهات
سلاح العاجز المقيدة رقبته بالسلاسل.

ويجد كوران امام فاجعة الموت نفسه عاجزاً مقيد الرقبة بالسلاسل، ليس لديه من سلاح سوى الدموع والآهات وهو يدرك لا جدوى هذا السلاح.

* * *

في قصيدة «وردة قصيرة الأجل»، التي كرسها لحسناء قضى مرض السل عليها، نرى تجربة اخرى لكوران مع الموت.. انها تتمثل هذه المرة في موت امرأة حسناء كانت في حياتها آية للجمال ومعبداً للعشق:

في فجر الشباب والجمال ايتها الوردة
ايتها الوردة الزاهية، الوردية
كنت كنجمة ساطعة
وفي بسمتك كان يتراءى تجلي مطلع الربيع
وعلى نغماتك كانت الطيور المترنمة
تزداد شوقاً وتلهفاً
في عينيك كانت نجمتا صباح جليتين، منورتين
تدفعان اللحاظ سابحة إلى أمواج السحر
وأما قدمي جمالك كانت الرؤوس المطأطئة
تنحني لسجدة العشق أمام كعبتها
ايتها الوردة!
كنت اظن ان نظرات شوق الزمن
لن تشبع من الرنو إلى بهائك ابدا
كنت اظن ان رياح الخريف الباردة،
محال عليها ان تلمس رؤوس اغصانك الناعمة

ولكن ما أسرع ما تدعك
جسدك الناعم الوردي
ايتها الوردة الجميلة
بين اصابع السـل
ما أعجل ما ذاب حسنك في هجير الهموم
وظل عظمان، سيتهرءان في صدر الأرض
ان بقيت علامة من مرابع جمالك
فهو ذلك الانين الهادر من مآتم الاحباب
هي تلك القطرات المنسكبة من اعين البكاء
ولكن . . نامي واطمئني، فمهما تعاقب الليل والنهار
فسيتبعك انين وبكاء دون انتهاء
الانين والبكاء يتيمان بعدك
يتيمان هائمان

ومرة أخرى لا يملك الشاعر ازاء هذا الغياب القسري وهذه الرحلة الحتمية سوى الدموع والحفاظ على الذكرى.

* * *

وفي قصيدة أخرى بعنوان «طفل بلا أم» يصف كوران بشكل مؤثر منظر طفل يتمدد جائعاً إلى جانب امه التي فارقت الحياة، والشاعر هنا لا يريد ان يعكس احساساته الداخلية بقدر ما يريد ان يوجه نظر الآخرين إلى مأساوية الحادث.

غير ان كوران كانسان مرهف الحس، متصل بكل ما هو جميل واصيل، لا يتأثر فقط بموت البشر، بل ان افول نجمة في السماء يملأ روحه حزناً وتعاطفاً:

اوان الغروب: في سماء الاصيل
تتلألأ نجمة؛ وضاءة، عذبة
يغمرها محيط من الزرقة، وحيدة
تتأمل دنيا المساء!
في ألقها اثر من العيون الشهل
وفي ارتعاشها بسمة الشفاه القانية

وكالوردة التي تزين بها حسناء شعرها
لا ترتوي من النظر اليها العين الرانية؟
وأنا واحد من هؤلاء الناظرين
قلبي اسير هذا الجمال المسائي
اقف قبالتها على تلٍ
ويظل انتباهي الثمل مشدوهاً ببسمتها
يقبل الظلام. . ونجوم أخرى
ترمي خمارها في وجه الدنيا تباعاً
أما هي فرويداً تنزلق، خافته تصل طرف السماء
وشفاه الافق الظمأى كالقطر ترتشفها
فتموت - يالهفي - صريعة الافول!
في أية روح لا تهيّج الالم
هذه النجمة وسيرتها الحزينة.

هنا يمنح الفن تلك النجمة وما يحيطها روح الانسان، ويخلد في صورة رائعة سيرتها المليئة حزناً وجمالاً، ويفتح عيوننا، نحن القراء، لتظر بانتباه اعمق واحساس أرق إلى ما يحيط بنا من سماء ونجوم وما يرافقها من احداث وتغييرات مهما ضؤلت. . . وبشوق أكثر وحنوّ أرق يعبر كوران عن لهفته لما ينتظر زهور اللبلاب من ذبول وتساقط:

بحرقة تذرف عيوني الدمع، يازهرة اللبلاب الزاهية الالوان
ما سر ذبولكِ المبكر هذا؟ ما علة انكماشك؟
لحظات منذ ان اشرقت الشمس، فلماذا تقفين هكذا باهتة؟
بالله عليكِ ايتها الزهرة. . رحماك تمهلي
صبراً، حلّفتكِ الله، لحظة أخرى انتظري
دعي العمر يفلت، كالشمس في عز الشتاء، من غيوم المحنِ
فانا رفيق رحلتكِ، أنا أيضاً يازهرة اللبلاب محكوم بالموت
فالخليقة ليست معي بارق مما هي معكِ
فمثلك مكوثي قصير وربيعي سريع الأفول
ومثلك، مثل كل الدنيا، سائر نحو الزوالِ ازدهاري

مسرعاً كمطر الصيفِ، ماضٍ نحو الفناء هذا العمر الجحود
وكندى العشب، ليس من مصير، سوى التبخر

على الرغم من ان فكرة هذه القصيدة مستعارة من قصيدة انكليزية، إلا ان كوران اعاد صياغة الفكرة بشكل يزاوج معه بين تعاطفه الانساني الرومانسي واللوحة المفجعة لموت زهرة رقيقة، ويتعرض هنا لنسبية مديات العمر، ويؤكد بان الطبيعة ليست أكثر رفقاً على الانسان من رفقها على غيره من الكائنات والاشجار والزهور. فربيع عمره ينقضي سريعاً كتبخر الندى على العشب.

الخلاصة: توقفت في هذا البحث عند نوعين من قصائد كوران ـ الأول منها هي القصائد التي تصف حالات نفسية مبهمة على الشاعر، وعوالم روحية داخلية يسكنها الضجر والثمالة واليأس والاضطراب والجزع . . . وكل هذا راجع إلى هيامه خلف سر، جمال ليس واضح المعالم حتى بالنسبة له . . ولا يمكن فهم هذا التوق بمعزل عن كامل سيرته المليئة باحداث الموت والمعاناة والانبهار أمام الجمال وعظمة الفن.

ان هذا الشعور الغامض سمة من سمات الروح القلقة لشاعر مرهف الحس لم يوفر له مجتمعه وحياته الفرصة لكي يروي ظمأه من معين الابداع الفني ولا ان ينال ما تتوق اليه روحه، ومؤشر على الفراغ الكبير الذي تركه لديه انعدام تجربة الحب والاشباع العاطفي بالشكل الذي كانت روحه الشاعرة تتلهف اليه. ومن الواضح ان التحليل الدقيق لهذه الظاهرة يحتاج إلى مراجعة دقيقة لكامل التجربة الشعرية لكوران، الأمر الذي لا يتحقق في مجال كهذا ـ للاسف. لذا ركزنا على الجوهر الفني لهذه الظاهرة: كمعضلة اللغة ومحاولة تطويعها للتعبير عن المواضيع التي تستقر على تخوم الصمت، واللاجواب، والبكاء، وتلك التي تقع في الفضاء الخارج عن الفكر واللغة. ومن هنا فعدا القصيدتين الاولتين، وتشكل اولاهما صدى لعالم من الجمال المستعصي على الشكل، والثانية لا تنفصم عن حالة الظمأ المستديمة لروح الشاعر تجاه الفن والحياة، نقول عدا هاتين القصيدتين تعرضنا لقصائد أخرى تدور افكارها حول الروح والموت والاسئلة التي لا جواب لها، وعلى الرغم من ان كوران يقرّب تعقد الروح والموت والحياة من معضلة فلسفية، إلا ان القصائد ليست فلسفية بأي تقييم وليست لدى كوران قصائد فلسفية. فالفلسفة تعني استخدام العقل كاداة للتحليل وللتفسير المتكامل للظواهر في احتمالاتها المتنوعة. غير ان تعامل كوران مع تلك المضامين تعامل ذاتي ـ عاطفي ـ فني. وهذا التعامل بالذات يسمح له بتحويل بكاء طفل من ظاهرة فيزيائية (اذ قد يقول لك الطبيب: انه جائع، أو يتألم أو ان الحليب لا يناسبه) إلى موضوع عاطفي

ينصهر ظله الفلسفي في بوتقة العاطفة الروحية والنغمة الشعرية. هذا التناول الفني هو نفسه الذي يرفع تجربة موت الاعزاء إلى تجربة فنية تثير التعاطف لدى كل انسان ويخرجها من اطارها الفردي إلى الاطار الانساني الشمولي. لقد مكنته قدرته اللغوية الرفيعة وحسه الفني وخبرته العالية بفن الشعر، وجمعه الموفق بين النغمة والصورة الشعريتين لأيصال مضامين قصائده، مكنته ان يحول مشاعره الانسانية ومعاناته إلى صور فنية خالدة يحق للشعب الكردي ان يفتخر بها جيلاً بعد جيل ويتذوقها. من الطبيعي ان تتفاوت القصائد في مستواها الفني، وهو أمر مرتبط بمدى النجاح في استخدام اللغة واحتمالات الصوت من أجل ايجاد التناغم الهارموني بين العاطفة الداخلية والصورة الخارجية، أي لابراز عملية تمظهر المحتوى في النتاج الادبي، وهي العملية التي تعكس الاشكال العاطفي والفني الذي أشار اليه كوران في قصيدتيه «قصيدة الروح» و «جرس الضجر». بالطبع ليس هذا إلا دليلاً على احساس الشاعر برسالته الفنية كونه مبدعاً وليس مجرد «كاتب اشعار». فهو يتعامل مع مواضيعه بكل هذا العمق والوضوح. كما يعكس احساسه باهمية التجربة الانسانية التي يمتلكها وضرورة احترامها وعكسها في صيغة جديدة بالتجربة. وأي اخفاق له في هذا المسعى يسبب له قلقاً وألماً روحياً كبيراً. ولكن ما هو واضح من هذه القصائد وبدون مواربة، حقيقة انه متى ما تعرض كوران لحدث انساني أو عاطفي ذي قدرة على التأثير العميق في الوجدان، فانه يفلح في رفع اللغة إلى عالم الابداع سواء في اختياره للكلمات المناسبة الواضحة والصور الفنية الرقيقة أو في وقوعه على النغمة والايقاع والموسيقى العاكسة لما هو داخلي وعميق. وحصيلة كل هذا نتاج شعري يحمل سمة الخلود.

وكما يتضح من قصائده «إلى هيوا»، «إلى كولاله»، «وردة قصيرة الأجل»، «إلى زهرة اللبلاب» فانه يدخل صلب التجربة بصيغة المخاطبة المباشرة للشخوص والمواضيع، ثم يمنحها عمقها الداخلي: اي مزاوجتها مع نبض الروح وسكناتها، فتتحول إلى الدنيا التي تفتح في افيائها طفلة الابداع عيونها وتنعم بعالم الفن الرائع. أما في القصائد التي لم تمنح البعد الداخلي، أو فتحت هذا البعد ولكن ليست بالدرجة المطلوبة، كما نلاحظ في قصيدة «إلى الروح» (حيث تقف الروح كلغز يقف خارجاً) أو «طفل بلا أم» والتي يبغي من ورائها مجرد رواية الحادث أو في «سيرة نجمة» (التي تبدأ كموضوع جمالي خارجي وتبدأ بالاقتراب من دنيا احاسيس الشاعر مع اقترابها من الافول) في هاتين القصيدتين نرى استخدام الوصف أو السرد طاغيين، فتتخذ القصيدة شكلاً تصويرياً (سيرة نجمة) أو شكل تقرير (طفل بلا أم) فنرى ان وحدة الموسيقى والصورة، بخلاف القصائد الأخرى، لا تمنح هاتين القصيدتين حركة.

أرى ضرورياً ان ابدي ملاحظة أخرى: ان قصائد الرثاء التي اشرنا اليها هنا هي تلك

التي تنتهي عند حدود البكاء، بكلمة أخرى، فان الموت كحادث حتمي واضطراري ينتهي بالبكاء والنحيب. وقد قصدنا من عرضها التعرف على الطريقة التي تعامل بها كوران، كشاعر فنـان، مع حالات الموت تلك. ولكن لكوران قصائد رثاء أخرى قيلت في موت الشعراء والشهـداء والابـطال امثال بيكه س وبيره ميرد ومحمود جودت وهه لو به ك وقاله، حيث يتعامل بشكل آخر مع موضوعة الموت ومعناه التأريخي والاجتماعي. ففيها لا تنتهي الحياة بالموت كما لا ينتهي الموت بالبكاء والنواح، ذلك ان حياة هذه الشخصيات تستمر حتى بعد الموت وتفعل فعلها في مسيرة الكفاح الانساني. ولكننا اقتصرنا في هذا البحث على حالات الموت التي لا ينفع معها سوى البكاء أو التي كما يقول كوران لا تجد فيها استمراراً للحياة سوى اطياف تتراءى في احـلام الليالي الخريفية، وحيث لا نأمة تأتي من عالم صمتها ومن اقليم الاسئلة التي لا جواب عليها. وحده الفن، كتعبير عن رغبة الانسان الجارفة والمستمرة في الخلود، لا يسمح حتى بضياع تلك الحالات، بل يحولها تجارب وصوراً خالدة. وفي هذا يكمن مضمون وفحوى رسالة الفن. وفي هذا يكمن صراع الانسان الشاعر والفنان: الظمأ للخلود في وجه ظاهرة الموت التي تقف كحتمية لا تخضع للعقل والمنطق، وتلقي بظلها الاسود على حياة الانسان. اذن كيف يمكن للانسان ان يفلت من الموت؟ أو في الاقل ان يضمن خلود الافكار الحقة والمشاعر الجميلة والافعال الحميدة؟ في الفن يكمن جواب هذه الاسئلة ـ كما يقول كوران في مرثيته لـ «بيكه س»:-

جمال واحد لا تصفر برياح الخريف
اوراقه ابدا
ذاك الذي يجري من الروح
ونبع القلب:
كرقة الروح، وبشر المحيا
والتفاني
القلب الطيب، والروح النقية
الفكر الوضاء، والعمل الخير
وقبل كل هذا:
موهبة الفن الجميل!

نبذة عن الشعر الكردي مع توكيد على كوران

ترجمة هيام جاويد

خلال مهرجان نوروز الذي اقامه المركز الثقافي الكردي في لندن عام ١٩٨٥ القت الاديبة هانا برامينس محاضرة نشر فيما يلي ترجمتها بعد حذف بعض المقاطع غير الجوهرية.

تتمحور محاضرتي المختصرة هذه على الشعر الكردي الذي يمثل، في رأيي، الشكل الرئيسي للادب الكردي. ثم انتقل الى دراسة اعمال كوران، على وجه الخصوص، باعتباره شاعراً محدثاً.

لست ضليعة في هذا الموضوع لانني، وللاسف، لا اتكلم الكردية، مما يؤدي الى صعوبة الالمام الجيد به. لذا كان عليّ ان اسأل اولئك الملمين بالشعر الكردي عموماً، والذين يعرفون عن كوران اكثر مما لديّ، كي يتحملوا العبء معي.

استقيت المعلومات التي ترد في محاضرتي من صحيفتين تصدران في الدول الاسكندنافية، احداهما كردستانوت (اخبار من كردستان)، التي تطبع في اوسلو ويحررها ف. لارسن، والاخرى صحيفة سفينسك ـ كردسك (الصحيفة السويدية الكردية) التي تطبع في استوكهولم ويحررها فرهاد شاكلي، وهو شاعر من الجيل الجديد تعلم الكثير من كوران.

استميحكم العذر، اذا ما قمت بين آونة واخرى بالاشارة الى احداث تاريخية، انتم

على علم بها، وذلك اثناء حديثي عن تاريخ الادب الكردي. وكما يشير فرهاد شاكلي في مقدمة لبحث عن الشعر الكردي الكلاسيكي والمعاصر، فان هناك صلة قوية تربط ما بين حالة الشعر والاوضاع السياسية في اية فترة. وقد عبر عن ذلك قائلاً «بتتبعنا لتاريخ الشعر الكردي، في مختلف مراحل ركوده وانتعاشه، ترتسم امامنا صورة شيقة عن اوضاع الادب ومكانته في المجتمع» وعلى الرغم من ان علاقة الادب بالوضع السياسي هي علاقة معقدة من وجهات عديدة، فالواقع يبين ان الحياة الادبية تنتعش في فترات الرخاء والحرية النسبية. وهو ما حدث بالفعل منذ البداية الرسمية للشعر الكردي، اي فترة ظهور الشعر الكلاسيكي لما يسمى بالمدرسة الكورمانجية الشمالية في القرن السادس عشر، الى الجيل الجديد من شعراء كردستان الجنوبية، اي الجيل الذي اعقب كوران، الجيل الذي ظهر في بداية السبعينات وتنعّم، لمدة اربع سنوات تقريباً، بفترة السلام النسبي في كردستان العراق.

لكن ذلك لا يجيز لنا القول، ان شعباً مضطهداً يمكن اسكاته فعلاً. فلم يستطع القمع الفكري، أو السجن والنفي ان يسكت الاكراد لا سابقاً ولا حالياً. خير دليل على ذلك اعمال بعض الشعراء المعاصرين امثال قدري جان وسواره ي ايلخاني اللذين لم تكشف اعمالهما إلاّ الآن، لانهما عاشا وكتبا في مثل هذه الظروف الصعبة. كما ان المهرجان الحالي هو دليل آخر على النشاط الثقافي المتواصل، ثم ان المواضيع المتكررة في الشعر الكردي، عن الحنين الى الوطن الضائع، وعن المستبدين الاغراب وعن الغضب ما هي إلاّ شواهد على هذه الاستمرارية الكفاحية.

سأحاول ان اعطي مقدمة وجيزة، وذلك في نطاق وجود صيغة رسمية لتاريخ الادب الكردي تحمل الى حد كبير، طابع فترات الانفراج التي ذكرتها. في القرن السادس عشر، عاش في امارة بوتان عاصمة الجزيرة الشاعر الصوفي مُلاي جزيري (١٥٧٠ - ١٦٤٠) وهو مشهور بقصائده التي تتحدث عن حب المرأة، والله، هذين الحبين اللذين غالباً ما يمتزجان في كل واحد، وقد اشتهر بوطنيته الرومانسية ايضاً. كان فخوراً بكونه كردياً: «انا زهرة في جنة بوتان / أنا حجر متوهج في ليل كردستان». كان «جزيري» وشاعر القرن السابع عشر أحمد خاني شاعرين في المدرسة الكورمانجية الشمالية. تعود شهرة خاني الى قصيدته الملحمية مم وزين والى شعره الغنائي وكذلك لوضعه اول قاموس عربي كردي للاطفال، وهو قاموس منظوم شعراً، واخيراً لقصيدته الدينية الطويلة. ويؤهله كل ما تقدم لان يحظى بمكانة اهم من سابقه. تمحورت قصيدته الملحمية تلك حول قصة حب تتحدث عن مثل الشاعر الفلسفية والسياسية وهي تزودنا بصورة غنية عن كردستان في ذلك الوقت، لذا يمكن اعتبارها ايضاً وثيقة تاريخية مهمة.

شكلت امارتا اردلان بعاصمتها سنندج وهما حالياً في الجزء الايراني من كردستان،

مركزين مهمين آخرين للثقافة الكردية. عاش في سنندج الشاعر المتصوف مولوي (١٨٠٦ - ١٨٨٢). ويعتبر شعره ذروة الشعر الكردي الكلاسيكي. وهو واحد من ثلاثة متصوفة عظام في التراث الكردي. والصوفي، كما تعلمون، ينتمي الى رجال عرفوا في الاسلام بالزهد واعتنقوا فيما بعد الافكار القائلة بوحدة الوجود. يعمل المتصوف على تجريد نفسه من الانانية، وينأى بها عن كل الرغبات والغايات والمراهنات، وهو يؤمن ان ذلك هو السبيل الوحيد لاحتواء حب الله الذي يجعل منه انساناً حراً لا يمس. وقد كتب المتصوف الايراني الشهير عمر الخيام: «انه هو الذي جعلنا ما نحن، فنحن لم نخلق انفسنا». هذا الايمان وتعرية ما في المرء من صفات غير مستحبة هي تعاليم المتصوفة.

ان للعرف الصوفي حضوراً متميزاً في العديد من الآداب الشرقية، وهو لا يخلو من الاهمية من وجهة نظر الادب الاكثر حداثة. وهناك تشابه بين اندماج الجزيري في حب الله والمرأة والانصهار الذي نجده في شعر كوران بين حبه للطبيعة والمرأة الكردية. وعلى الرغم من اني لا استطيع الجزم، لكنني ارى صلة تربط ما بين المراثي التي كتبها مولوي عند موت زوجته، وتلك التي كتبها كوران بعنوان مرثاة لـ «كولاله». ان الحب الشمولي في مواجهة العالم القاسي والمعاناة الصعبة هي الفكرة التي نجدها عند الشعراء الثلاثة، جزيري، ومولوي، وكوران، وهي منبع قوة لهم ولشعرهم. ولا يمكن المبالغة في اهمية هذه القوة. وهي القوة ذاتها التي استمدها كوران من موسيقى درويش عبد الله الكردية، الذي كان عليه ان يعاني جهالة اناس قساة غير متعلمين.

تمثل السليمانية المركز الثالث للشعر الكردي الكلاسيكي، وفيها عاش ثلاثة من الشعراء الهامين: نالي، وسالم، وكردي في مطلع القرن التاسع عشر. كتب هؤلاء اعمالهم باللهجة الكرمانجية الجنوبية. وقد يكون من الاصح ان اساس لغتهم الادبية مزيج من عدة لهجات كرمانجية جنوبية.

كان نالي يحب امرأة تدعى حبيبة مما وسم اشعاره الاولى بشوق واحلام الغرام العنيف. ولكن بعد ان هاجم الاتراك العثمانيون مقاطعة بابان وقاموا باحتلالها، اضطر نالي الى الهرب وقضاء بقية حياته في المنفى. واكثر قصائده شهرة هي تلك التي ضمّنها في رسالة من دمشق الى زميله الشاعر سالم. وفيها يتراءى له وطنه كردستان بأنهاره وسهوله وطبيعته الخلابة، فيهتف قائلاً:

«كي اصف ألم المنفى
نار الفراق العاتية تتقد في داخلي

فتذيب قلبي
ذاك الذي يتسيّل من عيني . . .
آن اوان عودتي
أم كتب عليّ التغرب حتى النفس الأخير؟»

انا بقراءتنا لقصيدة نالي هذه ورسالة سالم الجوابية، نحصل على صورة شاملة ومركبة لفترة عصيبة من تاريخ كردستان عاشها هذان الشاعران. شملت المدرسة الكرمانجية الجنوبية هذه آخرين مثل حاجي قادر كويي، وشيخ رضا، ومحوي. تابع حاجي قادر كويي وطور رسالة احمد خاني، فتميزت اعماله بالتأكيد على مثله القومية. أراد ان يعي الناس تقاليدهم ولغتهم والتطلع الى العلم والواقع العصري لكي يتمكنوا من بناء كردستان حرة.

يشكل شيخ رضا ظاهرة خاصة في الادب الكردي لتميزه في كتابة هجاء متطور على نحو استثنائي لم يكتب السابقون مثيلاً له ولا اللاحقون. كان ينتقد المجتمع باسلوب لاذع بلغة غنية، اتسمت بصور دقيقة ومفصلة. أما ثالثهم فهو الشاعر المتصوف محوي الذي احتل شعره وشعر مولوي منزلة رفيعة في الشعر الصوفي ضمن التراث الكردي.

اتسمت الفترة الواقعة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من تاريخ الشرق الاوسط، بالفوضى فكان على الاكراد والآخرين، لاسيما ضمن الامبراطورية العثمانية تحمل تغيرات كبيرة. وكما حصل في عموم اوربا، تنامت المثل القومية بين اولئك الرازحين تحت الاحتلال التركي. فناضل الناس من اجل احياء تراثهم وثقافتهم الاصلية ومن اجل تنقية لغاتهم متطلعين الى الاستقلال السياسي مما دفعهم الى تكوين منظمات سياسية وثقافية. وكان اصدار المجلات والصحف والكتب، جزءاً هاماً من هذا النضال.

كانت كردستان اول صحيفة باللغة الكردية، ظهر اول عدد منها في القاهرة في نيسان عام ١٨٩٨. وقد واظبت على الصدور في كل من القاهرة، وجنيف، ولندن وفي الوطن في وقت واحد، طيلة اربع سنين.

من ناحية ثانية، كان هناك العديد من المثقفين الاكراد داخل الادارة العثمانية. ونتيجة للضغط الذي مارسته هذه النخبة على الحكومة، اضافة الى نضال الشعب القومي، اضطر السلطان عبد الحميد الى تعديل سياسته. وجاء بالاصلاح الدستوري لعام ١٩٠٨ الذي فتح مجالاً اوسع للحرية السياسية والثقافية. اثر ذلك، ظهر العديد من الصحف والمجلات الكردية مثل، روزي كرد (هه تاوي كرد فيما بعد): في استنبول عام ١٩١٣، يك بون: في استنبول عام ١٩١٣، بانكي كرد: في بغداد عام ١٩١٤، كردستان وورمى: في سابلاخ

(مهاباد حالياً) عام ١٩١٤، وكردستان: في حلب عام ١٩١٥، زين: في استنبول عام ١٩١٩.

على الرغم من ولادة كوران في عام ١٩٠٥، ينبغي النظر الى آرائه واعماله على خلفية فترة «الانفراج» المبكرة تلك. اشتهر كوران باحياء البحر الاصيل للشعر الكردي، اي الاشكال التي وجدت في الاغاني الشعبية الكردية القديمة وفي الشعر المحلي القديم. كما قام بتجديد اللغة ليس فقط بتفادي استعمال الكلمات العربية المستعارة. وما كل تلك الجهود إلاّ استمرار للكفاح القومي، او الرومانسية القومية، التي ميّزت القرن التاسع عشر. ولكن، وكما تعرفون، فان ما حدث في اعقاب الحرب العالمية الاولى، وخصوصاً بعد مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣، كان مأساة لكردستان، التي مزقت بين اربع دول، بعد نكث الوعود التي كانت قد اعطيت للاكراد. وبالطبع، فان تمزق البلاد هذا قد ادى الى تغيرات عنيفة نحو الاسوأ. ثم اصبحت كردستان الجنوبية، اي الجزء العراقي، مركزاً للثقافة الكردية، وانتقلت النخبة الثقافية التي نشطت في استنبول الى هناك. ويجب ان نذكر هنا اسم اللغوي الكبير والمؤرخ الثقافي توفيق وهبي الذي يعود اليه الفضل في مؤلفات عديدة حول اللغة الكردية، نذكر منها: المعجم الكردي ـ الانجليزي، ومؤلف عن المنحوتات الصخرية في كهف كاندك وكذلك حول آثار عبدة اله النور Mithraism في الحضر وفي كردستان العراقية.

وهنا، في كردستان الجنوبية، انبثقت التقاليد المستحدثة في الشعر الكردي. وبهذا الصدد ارى من الانسب مقارنة هذه «الحداثة» التي حدثت في روسيا وفي امريكا الجنوبية مع شعراء مثل بابلو نيرودا وسيزار فاليو، وليس مقارنتها بالتراث المستحدث الغربي الذي تميّز باستعمال الشعر الحر وتخلى عن الاشكال التقليدية، كما اتسم، في احوال كثيرة، بتحمسه للتطور التكنولوجي والتقدم أو المدينة المتحللة. لم يحترف المحدثون الاكراد الشعر الحر. وان كوران، كما اسلفت، عاد الى التراث القديم في الشعر لكي يحصل على الاشكال التي ابتغى اتخاذها. ان واحدة من ابرز المشاكل التي تواجهنا عند قيامنا بترجمة كوران، أو شعراء اكراد آخرين، هي على وجه التحديد صعوبة، ولا نقول استحالة، استعادة اشكال العروض التي استعملوها. وأرى ان فقدانها يعني فقدان الكثير من الخاصية الموسيقية للشعر. عموماً تعتبر ترجمة الشعر من اية لغة مسألة صعبة، والترجمة عن الكردية بالذات تواجه صعوبة خاصة. قال احدهم ان الشعر الحقيقي هو الذي يضيع عند ترجمته وهذا ينطبق على وجه الخصوص بالنسبة للشعر الكردي.

ولد كوران، اذن، في عام ١٩٠٥ في مدينة حلبجة في الجزء العراقي من كردستان، من عائلة ذات اصل اريستوقراطي كانت قد نزحت الى حلبجة من الجزء الشرقي من كردستان. في عام ١٩٢١ درس كوران في «مدرسة العلم» في كركوك إلاّ انه تركها بعد مقتل اخيه الاكبر

وعاد الى مدينته للاعتناء بوالدته. أمتهن التعليم بين ١٩٢٥ - ١٩٣٧ في مدارس ابتدائية في حلبجة وهورمان.

اثناء الحرب العالمية الثانية، عمل لدى محطة اذاعة الحلفاء التي كانت تبث من يافا بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية.

نشط كوران سياسياً، وناضل من اجل الديمقراطية والسلم. وفي ظل الحكم الملكي العراقي، القي القبض عليه عام ١٩٥١ لاول مرة، ضمن العديد من الاكراد المعارضين والشيوعيين، وظل سجيناً حتى تشرين ثاني ١٩٥٢. ثم عمل محرراً لصحيفة زين (الحياة) بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤، ثم اعيد اعتقاله في خريف ١٩٥٤ وحكم عليه بالسجن لمدة سنة، مع سنة اضافية قضاها في بدرة. في ايلول ١٩٥٦ اطلق سراحه ليعتقل مرة اخرى بعد شهرين من ذلك. واستمر سجنه هذه المرة حتى آب ١٩٥٨، اي بعد مرور شهر على تحول العراق الى الحكم الجمهوري اصبح اقرب الى صورة البطل في اعين الشعب والسلطة. فأرسل في وفود الى الاتحاد السوفييتي والصين وكوريا الشمالية. وفي بداية عام ١٩٥٩ تولى مهمة تحرير جريدة (الشفق)، والتي تغيّر اسمها بعد ذلك الى (البيان). وفي خريف ١٩٦٠ اصبح كوران مدرساً للادب واللغة الكردية في جامعة بغداد.

في عام ١٩٦٢ اصيب بالسرطان واجريت له عملية اتضح انها جاءت متأخرة جداً. سافر الى موسكو في نيسان من نفس العام، لتلقي العلاج في مستشفى الكرملين وبعد ذلك في مصح برفيج. ثم اعيد الى كردستان بعد ثلاثة اشهر حيث توفي هناك في شهر تشرين الثاني من نفس العام.

نشر كوران الشعر في اغلب الصحف الكردية التي صدرت منذ عام ١٩٣٠ وحتى مماته. وفي عام ١٩٥٠ نشر له ديوانان بعنوان «الجنة والذاكرة» و«الدموع والفن» كما ظهرت له دواوين شعرية عديدة بعد وفاته، اضافة الى قصائده الكاملة التي نشرت في عام ١٩٨٠.

بدأ كوران حياته كشاعر كلاسيكي، كما هو الحال مع الشعراء الكبار، ثم تخلى تدريجياً عن هذا الاسلوب، اذ تخلى عن اشكال العروض العربية وعثر على اشكال كردية اصيلة. واهم المواضيع التي ميّزت شعر كوران هي الطبيعة والمرأة وحب كردستان ومثل الحرية. كان كوران ملمّا بالحداثة الغربية، وادعى البعض انه يمكن تلمس تأثير بعض شعراء تلك الفترة عليه وخصوصاً أليوت، في طريقة كوران لوصف الطبيعة. ولعل اكثر ما يدهشني من اسلوب كوران هو وصفه التفصيلي لمشاهد المنطقة الكردية بجبالها وانهارها ومناخها الحار، انه يصف كل ذلك بحس رومانسي متوهج يختلف كل الاختلاف اللامبالاة الساخرة التي يمكن ان نجدها عند شاعر مثل اليوت. لكن كوران قد يعبّر أحياناً عن مثلٍ أو آراء ارستقراطية يتبناها إليوت كذلك، كما هو الحال عند كوران في قصيدته «درويش عبد الله»*.

يمكن القول ان شعر كوران ينقسم، شكلاً ومضموناً، الى ثلاث فترات. وقد حملته الاحداث التي مرّ خلالها، والافكار الجديدة التي وفدت الى شعره، على استنباط اشكال جديدة. وكما اسلفت كان في البداية شاعراً كلاسيكياً. ثم كتب شعراً رومانسياً يتمحور حول المرأة والطبيعة. وفي نظر كوران كثيراً ما تتمثل الطبيعة في المرأة وبالعكس، حيث يشكل الاثنان مصدري الهامه، ويتوحدان فيهما اسميته سابقاً حب «كلي الشمول». نتلمس هذا النوع من الرؤيا في قصيدته «الجمال والمرأة»، في ديوانه «الجنة والذكريات» حيث يتضح اعتماد الطبيعة على جمال المرأة فيقول:

«كل هذا معجزة وجمال
يلقي بنوره على طريق الوجود
لكن بدون ابتسامة حبيبتي
تخلو الطبيعة من النور»

تدعى المرحلة الثالثة من نتاج كوران بالواقعية، ولربما يكون من الانسب تسميتها بالفترة السياسية. ففي السنين الاخيرة من حياته ركز على النضال من أجل الحرية والصراع الطبقي، وكان الصوت المعبر عن العمال. وقد تم تلحين العديد من قصائده وهو على قيد الحياة. وهي ماتزال جزءاً من ذخيرة اغاني العمال الاكراد. كتب في هذه المرحلة ايضاً، قصيدة بعنوان «سجن الضحاك» وفيها يتناول اسطورة كاوه الحداد الذي كان قائداً لانتفاضة كردية اسطورية ضد الطاغية الرهيب الضحاك. وكما تعلمون، فان الاحتفال بنوروز يتمحور على هذه الاسطورة. فهي اسطورة قومية مركزية.

يدعي البعض ان المرحلة الاخيرة من شعر كوران تنطوي على ضعف في الجانب الجمالي من نتاجه. واجد في هذا الحكم قسوة. مع ذلك لا ضير من ايراده.

لكن كوران لم يعتقل جراء ما في قصائده الاخيرة من عنف، فقد كانت في غنى عن المجاهرة بانتمائها السياسي، من وجهة النظر الايديولوجية البحتة، لتفعل فعلها سياسياً. وهذا ما اثبتته تجربة العديد من البلدان، وعلى الاخص، في كردستان حيث تعتبر مجرد الكتابة باللغة الكردية، في كثير من الاحيان، عملاً جنائياً. انني لأتساءل، لم كل هذا الخوف من اللغة والشعر؟ ان الشاعرة الامريكية موريل روكيسير، وهي عنصر نشيط في حركة الحقوق المدنية ومناضلة من اجل اطلاق سراح الكتاب من السجن، تقول في كتابها «الحياة والشعر»: ـ «الخلق هو التبادل. وفي الشعر، يكون التبادل احد اشكال الطاقة، الطاقة الانسانية المنتقلة عبر القصيدة الى مسامع القارىء، ونعني بالطاقة الانسانية الوعي، اي

امكانية احداث التغيير في الظروف المعاشة» من هنا يأتي خوف السلطات من هذه الطاقة التي تحمل في جنباتها قوة التغيير بالكلمات، وبالشعر. ولذا علينا مواصلة الخلق والابداع في وجه العالم السلطوي.

نجد في شعر كوران نمطاً للمقاومة يجعل الابداع امراً مقبولاً وممكناً في ظل ظروف صعبة. يصف انطونيو غرامشي هذا النمط في رسالة من السجن بانه «تفاؤلية الارادة وتشاؤمية الفكر».

لم تنجز كتابة التاريخ بعد، ومايزال تاريخ الادب قيد الكتابة، ويراودني امل متواضع في المقدرة على المساعدة في وضع كوران والشعر الكردي عموماً على خارطة العالم.

---

* في شعر كوران لا نجد تأثير اليوت، بل تأثير بعض الشعراء الانجليز الرومانسيين مثل كيتس وبايرون وشيلي.

لمحات تمهيدية حول كوران

سيروان

-١-

عندما فتح عينيه ثم قلبه، كان المتراكم الاجتماعي ثقيلاً كأكداس من الرصاص جاثمة على جسد شبه ميّت، بقايا أمراض تاريخية جماعية، طاعون، تيفوس، ملازيا، سل و «رجولة» ظلامية تتعامل بالخنجر مع الجنس الأخر، وأغا يسخّر الناس (الذين يعاملهم كقطيع) لنفسه ويسرق قوتهم، مضافاً اليها الاستلاب الكامل لشخصية الانسان، والظلم القومي، وتعشعش الاستعمار المتعطش للنفط، والفيضانات الغاضبة أو القحط والجفاف والمجاعات. كل هذه الحقبة وقعت بين حربين عالميتين. ان القلب لم يعد يكفي لوحده، لا بد من الوعي ولامندوحة من العقل. .

-٢-

ازاح وجهه عن هذا المشهد العريض، الدموي، السوداوي، لينظر إلى نجوم السماء ولينضم إلى الطبيعة ويتضامن معها، هذا الانضمام ظل على المدى هوية سرمدية لشاعر يكشف لنا الجمال الطبيعي الخفي، والذي يحاول الانسان صناعة وصياغة صورته الاولية.

* نُشرت المقالة في مجلة «ثقافة الانصار» التي اصدرتها رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين / الانصار العدد (١) ١٩٨٤.

- ٣ -

التذّ الشاعر بأبيقورية ممتلئة، حلّق إلى اقصى مدى، أمتص الرحيق حد الثمالة، ولكنه كطائر يحوم حول عشه المهدد، يهبط إلى الارض، ليصطدم بالمشهد السوداوي العام فان حصيلته (كمال) ممرغ و(لامتناهي) مشتت. هذا الممرغ والمشتت قذف بتلميذه إلى الاعماق ليصنع منه المناضل العنيف.

حسية وتكاملية المطالب الكورانية ولدت لديه نقاء الروحية اليونانية، أي التزاوج العقلي والشعري أي(ابولوية) ذات تغريد منفرد في ظلام الواقع الذي خرب على الشاعر حلمه الطويل فيما بعد.

- ٤ -

الوليد البكر للتفكرات كان ايديولوجية (البلبل) الذي يجسد الفن. لا شيء، سوى الفن ولا يرى أمامه غير الفن. ولكن هل هذا ممكن ومتيسر لمن يتنفس وسط الاختناق الاجتماعي؟ لا بد من أن يشهد تحولات البلبل.

- ٥ -

المرأة بأشكالها الرائعة، زوجة، أخت، أم. هي آية الفن وجدليته الحسية العيانية تلهم كوران كل اشعاره. لهذا ليس غريباً أن تكون المدينة أمرأة (موسكو، ايتها المرأة الجميلة المتوشحة بالبياض) و(باكو تمشط شعرها).

هنا، عندنا، محبطة التكامل وحركتها معطوبة، ضمن الرقعة السوداء. ولكن ـ هناك ـ في الارض الاشتراكية بنفسجية وسنبلة وثدي خالد لاجيال صاعدة.

في قصيدة مبكرة (من كركوك خاطبت أمي ١٩٢١) يبوح بالانخلاع والتمزق. الحرب أكلت الناس الاحياء، بعثرت وفككت الاواصر، فهو في أكثر قصائده يبحث عن وصل الصلات المقطوعة. ويجمع الشتات، كتجميع صورة ممزقة لعائلة..

يبلغ الوصال أوجه حينما يصبح الشعب ابناً والقائد أباً (لينين ـ الاب ـ القائد في قصيدة طريق لينين).

- ٦ -

الصيغة التفضيلية، أداة هادية بيد الشاعر ومعاينة للمعطيات، هذه العادة المعتادة للمقارنة والتفاضل، تقلع الشاعر من تكلّسه في بؤر صورية منعزلة، تمنع عنه الآتي. وتجهّزه بديالكتيك فعّال، يفيده في التقدم بأتجاه انشاءات جمالية نضالية.

- ٧ -

في زمن الطغاة والقتلة، غناء البلبل لا يطاول دويّ العاصفة السوداء. والمرأة ـ الكمال تسير على ارض مملوءة قيماً واشواكاً. في البدء أوقد الشاعر مشعلاً، دفاعاً عن الفن الذي يعني

الصفاء، أصطدم بالفكر البالي المحنط والاسوار العالية، والاستعمار الاجنبي، وبالضبط، بشركات النفط الاحتكارية التي كانت تدير اللعبة السياسية في العهد الملكي. في شعره فضحٌ وتهجم عنيف على هذه الشركات قلّ ما نعثر عليه عند الشعراء المعاصرين له.

- ٨ -

كل القطاعات العريضة والمسحوقة من الناس مشمولة بالقهر. وهي نفسها تؤجج النضال. (الصغير والكبير) (العمال والفلاحون) (العرب والكرد).

- ٩ -

الحمامة البيضاء، ذلك الطائر الجميل، هي نتاج تحولات البلبل. انه كان السجين، رهن الزنزانة، مكبلاً بالقيود ولا يخطو أي خطوة. وأن افكاره تبرح الاماكن الفاسدة، انه الحمامة التي تحمل الرسالة الاممية، تعبر وتجتاز المسالك والمهالك لتحط على الارض العادلة.

- ١٠ -

لا أزمة ولا أصطناع فني، الفن الخالص سلاح فعال يزيّن جماليات النضال. كوران طائر يحلق بخفة ونشاط ورشاقة. جناح من الشعر والفن الخالص وآخر من الوطنية والنضال (قصيدة، رفيقي بي كه س). النظرية الجمالية عند كوران دائماً لصالح الفن والنضال.

- ١١ -

مع انه أحدث ثورة كبيرة، في عدة محاور، الا انه ظل، احياناً، ضمن المتوفر والسائد في الادب الكردي (أي الشعر فقط). كل ما كان في مقدوره هو أن ينفخ الروح في الاشكال المتوارثة المتيبّسة.. في القصيدة جمع بين الرسم والموسيقى والمسرحية، والحكاية والمقال السياسي والنقد الاجتماعي والنظرية حول الجمال والشعر. ولكنه مع هذا لم يخسر الشروط الخالدة للشعر.

- ١٢ -

في البداية تعالى الهمس والنشيج الرومانسي من كوران، شاحباً، رمادياً ويائساً، وأحياناً عنيفاً وقاسياً كحصان وحشي جامح لا يقبل الاستسلام. من هذا العنف عبر كوران إلى آفاق القصيدة الملحمية والانشادية.. إن كان المجتمع غابة حيوانات، فلا بد لهذه الحيوانات أن تعيش وفق الاخلاق المرسومة. وتطبق، كمبدأ أدنى، الشرط الوجودي للعقد الاجتماعي.

- ١٣ -

السلام العالمي مبدأ ناضل من أجله كوران، فهو (نصير سلم). قبلاً رأى أو سمع أو أحسّ أو شمّ رائحة حربين.

هؤلاء الذين يقبعون في ركن هادىء وبعيد نوعاً ما عن نار الحرب، كانوا يستغربون

هذه المطاليب الكونية ولكن كوران أحس بعمق المصائب البشرية، عرف لِمَ يثني على السلام وعرف كيف تتقدم البشرية وكيف تتوطد الديمقراطية والاشتراكية في ظل السلام.

الجميع يريدون السلام وهو ضروري للبشرية، حتى الطفل الصغير يحب السلام (قصيدة: طفل صغير محب للسلام).

- ١٤ -

أحس البلبل بأنه لم يعد باستطاعته النطّ والقفز والتحليق بحرية ضمن القالب الكلاسيكي. فلذا ومنذ وقت مبكر بدأ يفكر بزحزحة القافية والشكل العروضي (القافية مضيّقة/قصيدة كلّها). وجد ضالته في الاغاني الشعبية الفولكلورية، تعجب من بساطتها، وجمالها، وسهولة أدائها، وانسيابية موسيقاها. فنسج على منوالها قصائد ذوات جمل قصيرة، سريعة، وايقاعية وصل التموسق في بعضها إلى حد الصوتية كما في قصيدة (نباح وكورس اليونسكو) ص ٣٦٩.

- ١٥ -

كل قصائد الشاعر طوال، ذات نفس ممتدة، وحتى القسم الاقل، القصير، له رابطة بالصيرورة والتعجيل السرمدي لهذه القصائد..

بناها بملحمية اسطورية ذات عبق ديني استعاره من الاجواء الطفولية الاولى عندما كان تلميذاً دينياً. في قصائده الاحدث، ذات الشكل الجديد، نحس يضاً برصانة كلاسيكية وتراثية.

- ١٦ -

اجمالاً كل انشاءات الشاعر مكرّسة للطبيعة والمرأة والاطفال والنضال..وهي متضامنة ومتزامنة معاً في دواوينه (الجنة والذكرى) (دموع وفن) (الطبيعة والذات) (اللاوك والرسالة) (في غمرة النضال).

مقتطفات

١ - ايتها الحبيبة، يا الهة عشقي.
أيا فينوس. أيها الهيكل العاجي ذو الشعر
الابنوس

رحماك، لأجل ابولو

لا تدعي طير شعري يصمت عن التغريد.

ص ٤٤

٢ - بالاضافة إلى كونه موهوباً، فناناً
كان مخلصاً للوطن

(قصيدة - بي كه س. يارفيقي)

ص ٨٣

٣ - نهارنا لكسب القوت وليلنا للشعر

ص ١٢٢

٤ - ايتها الطيور الملونة المنوعة، لست صقراً
لا تطرن هلعاً حتى أقول لكنّ ما أنا:
أنا ايضاً ذرة صغيرة في هذا الكون العظيم
حتى أنني لا استطيع الطيران بجناح والتغني بمنقار
ولكن، مثلكن، ايتها الطيور، في قلبي رغبة للحرية
وديني، كدينكن، هو عبادة الطبيعة.

ص ١٧٠

ايها القمر العالي، اخط بعيداً
إلى بلد فيه حرية ونظام وكرامة

ص ٢١٨

وأن تفتح أبواب الحرف والفنون
لابناء الفلاحين والكادحين
ان تتفتح الابواب على مصاريعها
وأن تتحقق آمال الجموع

ص ٢٣٧

هؤلاء الحمقى يكسرون الكمان
وينتفون ريش البلبل
ص ٢٧٨

انا شعب، شعب العراق
وساقاي من العرب والكرد
ص ٢٩٢

المصدر:

سه رجه مى به ر هه مي كوران / به ركي به كه م* كوكردنه وه ى حه ى مه لا كريم / به غدا ١٩٨٠.
الاثار الكاملة لكوران / المجلد الاول / جمع محمد الملا عبد الكريم / بغداد / ١٩٨٠.

كوران .. وحفنة الزبيب...

طه خليل

كردي . . وكيس تبغ . .
حفنة زبيب . . وبندقية . .
ثم صخرة . .
وليأت العالم . .
كل العالم . . !!

هذه هي بساطة الحياة عند الشاعر كوران، التي يتحدى بها الارهاب والموت، وهو لا يكتشف الحياة، بل يصنعها من فيضان نهر أو تفتح بنفسج زاه . ! بهذه الاسلحة البسيطة يتحدى كوران العالم الأعوج . . !

ان الحديث عن كوران يحتم علينا ان نلامس الظروف التي عاشها والقنوات التي استقى منها، ففي احدى ليالي (١٩٠٤) ولد طفل في مدينة حلبجة وكانت فترة صباه تتسم بالغليان الجماهيري في كل مكان من العالم، فالحرب الامبريالية الأولى وما افرزتها من قلاقل في العالم، كانت قد ادخلت الناس في رعب تام وترقب وقلق عنيف! ومن الجهة الأخرى تحصل الافراح وتعلن موسكو ثورتها عام ١٩١٧ . ويزف لينين البشرى للشعوب المقهورة والمضطهدة وتتفتح عيون الشعوب المستعبدة، لاسيما في الشرق، وهي التي ابتلت بأشكال عديدة من القمع والاضطهاد والاستعمار والاغتراب . ولم

يكن الشعب الكردي في حالة يُحسد عليها، أضف إلى انه قد ابتلى ومنذ آلاف السنين باستعمار ليس فيه من الحضارة إلا بقدر ما يقمع ويضطهد، أقول هذا لأن الاستعمار بذاته قد يكون متحضراً فيكون في اضطهاده شيء من المعقولية!

ولهذا كان لابد من متنوري هذا العصر ان يأخذوا المسائل بنظرة جديدة، ومتفحصة لكل مجريات الأمور.

كان الأدب الكردي ـ لاسيما الشعر منه ـ حبيساً في كلاسيكيته، وتكرار معانيه وصوره وموسيقاه، وان اختلفت ايقاعاته أحياناً.

وقدر لعبد الله كوران ان يتقن أكثر من لغة. فإلى جانب لغته القومية كان تعلم التركية والفارسية والعربية والانكليزية، وهذا ما جعلة يطلع على آداب الأمم الأخرى ويستفيد من تجاربها، فقد تعمق في نتاجات الشعراء الأكراد الكلاسيكيين مثل: ملا جزيري، أحمد خاني فقي طيرا، مولوي ونالي وغيرهم. كما قرأ وترجم لناظم حكمت، والجواهري، والسيّاب ولأهم شعراء الرومانسية الثورية الانكليزية مثل شيللي، كيتس، بايرون. ويمكن ان نلاحظ تأثره الشديد بالرومانسيين، لاسيما في بكائياته اليائسة، بحيث كان لا يرى من الحياة إلا بؤسها وشقاءها ولا شيء فيها سوى البكاء. فهو يدعو للبكاء تخلصاً وتهرباً من مواجهة الأسى، وأي بشر لم يبك في ليل أساه، وما أطول ليل الأسى الكردي، يقول كوران:

«فلنبك.. كلما تذبل زهرة..
كلما يرحل طائر..
لنبك، حين ترمي الاشجار ذهبها..
نبكي، ونبكي.. نبكي..!
لن نمسح أعيننا.. أبداً..
أبداً سنظل نبكي..
أيها الخريف!

لكن كوران أدرك شيئاً فشيئاً ان البكاء لم يعد يشفي الغليل وهو يرى المجازر البشعة ترتكب بحق شعبه، ففي عام ١٩٣٠ أرادت الحكومة العراقية انشاء برلمان مزيف لكي يصادق على معاهدة ١٩٣٠ الاستعمارية، فدعت الحكومة إلى انتخابات صورية مزيفة، فقامت جماهير مدينة السليمانية الباسلة بانتفاضة شعبية في السادس من ايلول للاحتجاج على هذه الانتخابات، فقامت السلطات العراقية باطلاق النار على الجماهير الكردية المحتشدة قرب سراي الحكومة، حيث سقط الكثير من الضحايا. عندها أدرك كوران ان الجلادين

يزهون كالطواويس ان شاهدوا دموع الانكسار في أعين ضحاياهم، ويتقدم كوران من بلبل حديقة السراي قائلاً:

«اواه.. يابلبل حديقة السراي..
صحيح.. اننا في فصل الخريف..
لكنني اسقي ورودك بدمي..
فانشدني رثاءك يابلبل حدائق السراي!»

وهكذا صار كوران اللسان الذي يتحدث بضمير شعبه، ويترجم آلامه وآماله إلى قصائد خالدة على مر الزمن، قصائد جديدة في شكلها وعمقها. فلم يعد الشعر تعليمياً يلقي نصائحه على الآخرين، «هذا سيء، ذاك جيد، فأفعل هذا ولا تفعل ذاك.. الخ..» بل ان كوران راح يتهم الفاشيين ويسخر من اجهزتهم ومؤسساتهم (الشعبية) المزيفة. فرسم صورة كاريكاتورية ومأساوية لرجل البرلمان «المنتخب»، فيا ترى أية صفات ومؤهلات يجب ان يحوزها حتى يفوز بكرسي في البرلمان؟! ان كوران يرد على هذا السؤال، على لسان ذلك الرجل الذي يرشح نفسه، فيبين أهم مؤهلاته:

«أيها الملك، ياصاحب القصر الشاهق، وسيارات الكاديلاك..
أيها المخلص ياعبد السفارات..
أقسم ياسيدي.. لو صرت نائباً عن الأكراد..
فسأعمل جاهداً.. وبكل قواي...
سأشارك في ذبح الأكراد..
وتهشيم رؤوسهم أكثر.. وأكثر!»

ويلتصق كوران بهم الشعب ويصير رائداً للشعر الكردي الواقعي، فهو الوحيد الذي تمكن من ابراز مفاهيم الواقعية الاشتراكية في تمجيد الانسان واحترام انسانيته، وأدرك بحسه العفوي ان النصر سيكون للطبقة الصاعدة من العمال والفلاحين، فوقف عند قضاياهم الوطنية عامة. ورأى في الاصلاح الزراعي ضرورة حيوية للتقدم الاجتماعي والسياسي في كردستان وفي العراق عامة فالفلاح عند كوران هو ليس ذلك المخلوق التراجيدي والذاهل عن حقه، وكذلك هو ليس بالاسطورة، بل ان الفلاح يريد قطعة صغيرة من الأرض ومثلها من الديمقراطية والحرية، حتى يحول الأرض إلى جنة مزركشة. يقول على لسان الفلاح وهو

يحلم بالأرض التي سيزرعها :

«سأجعل من أعالي هذا العراق . . وأسفله .
أخضر . . كثوب زاه . .
ومزركش!»

ويدمغ الشاعر جبين الزمن بالعار حين يجد عـاملاً عاطلاً عن العيش، يشُد على بطنه من قسوة الجوع :

«عمل أيها المجتمع . . عمل . . عمل . .
لداء البطالة . . نريد حـلاً . . دواءً . .
انها وصمة عار في جبين القرن العشرين . . ان يبقى امرؤ دون عمل . . !
يشد على بطنه . .
من أجل رغيف من خبز . . !!»

لم تكن حياة كوران ذاتها إلا رحلات من العذاب والسجون والمطاردات، فقد دخل السجن أكثر من مرة، ولـوحق وتعـرض للكثير من الممارسات اللاانسانية، فمن زنزانته، الانفرادية، حيث ليل السجن يشتد عليه، كان ينشد لأمله الكبير، هذا الأمل الأقوى من قضبان الفولاذ، وحتى في هذه الظروف القاسية يدرك كوران بأنه قد ترك في الخارج شعباً كبيراً يسند ظهره :

«أنا ذلك السجين، في الزنزانات المظلمة/ وشمسَ عقيدتي تنير أمام بصري . .
أنا ذلك السجين، وراء أسوار الفولاذ . ./ لن أفقد أملي بالخلاص . .
أنا ذلك السجين، قبلة الجميع . ./ وليكن هذا الطريق السوي متعباً،
مليئاً بالأشواك . .
فالشعب كله . . يسند ظهري!! . .»

كان كوران مناضلاً بارزاً في صفوف حركة السلم العراقية، وكذلك عضواً في مجلسَ السلم العـالمي . وبعـد رحيل شهيدي السلم الامريكيين الزوجين «رزوتبرغ» خلال عام ١٩٥٤، كتب كوران قصيدة مؤثرة يخاطب فيها ولديهما قائلاً :

«أيها الوعلان الصغيران، من سلالة روزنبرغ . .
لقد فقدتما أباً واحداً، أماً واحدة . .
لكن ياأيها الوعلان الجميلان: ثمة ملايين من الآباء والامهات . .
حسبوكما أبنين مدللين . . لهم . .»

هكذا نجد ان كوران يلم بخصائص واقعيته إلماماً عميقاً، فليس هو مجرد مرآة عاكسة لحدث ما، بل هو مشارك في الحدث بصفته الفاعل الايجابي. وهو ليس حيادياً قط، وإلا تغدو الحياة تنكراً لأبسط القيم الانسانية وأنبلها. ولم يكن كوران ذلك المنفعل السريع، بل هو يتأمل كل شيء من حوله. وله في هذا الصدد فلسفة تأملية، وفكر متقد، وذوق رفيع. فمن لا يحب الجمال، الجمال المجرد إلا من نفسه؟ وهنا يكتفي بايضاح القضية تاركاً رد الفعل للآخرين، فهو، كما اسلفنا، لا ينصب نفسه معلماً اخلاقياً . . أو موجهاً تربوياً يهذب التعساء، بل انه يتسامى عن هذا الاسفاف الذي حاول الكثير من الادباء الأكراد ابقاء أدبنا الكردي في مستنقعه من النصائح والوصايا الابوية.

ألا فلنهدأ قليلاً أمام هذا البهاء الكوراني، وهذا الخريف الذي صار مرادفاً للألم والوجع عند الشاعر. . ولم لا مادام الشعب الكردي الجبلي لا يحب بطبيعته الخريف، هذا الشاحب البائس!

«آلاف الجميلات . .
حور العيون . .
ضامرات الخصور . .
قد ضمهن الثرى . . !
لكن ثمة جمال واحد، لن تستطيع ريح الخريف . .
ان تسقط ورقة منه . .
أو تضني خضرته الابدية . .
إنه جمال الروح . .
النابع من القلب!»

والمرأة . . كيف ينظر اليها كورلن، هل ينظر اليها كشاعر لا غير، شاعر يهتز للمرأة؟ أم ان الوجود يستكمل روعته بالمرأة؟ صحيح ان ـران يأخذ مفرداته وصوره من

الواقع الملموس، إلا انه يبتعد بخيالنا، ويفتح لنا آفاقاً فسيحة من الدهشة وهو يربط بين كل هذه العوالم المتباينة ربطاً يكاد يكون هو الحقيقة الواقعة. فماذا، وأية، وأي، وما هو، وهل.. يساوي المرأة شيء..!؟

وكوران حين يستعرض جسد المرأة فهو يفعل ذلك بكل حرية، فقد كان المجتمع الكردي ومنذ القدم يصف أي جزء من جسد المرأة دون تحفظ. ولدينا بعض الاغاني الشعبية والفولكلورية ان حاولنا ترجمتها سنجدها مليئة بايماءات جنسية وصور شاذة. الرقبة، الصدر، الأثداء، البطن، السرة... الخ؟ وكل هذا يبدو طبيعياً في المجتمع الكردي. يقول كوران:

«أي نجم ساطع، أية وردة برية..
أحمر كخديها كنهديها، وشفتيها و...!؟
أي سواد يماثل سواد عينيها..
سواد اهدابها..
وحواجبها.. وضفائرها..
ان الطبيعة ستظل أبد الدهر يتيمة..
ان لم تبتسم حبيبتي!»

ويظل الشعر يتيمًا بعض الوقت حين رحل كوران، فقلما يرتضي الشعر أبوة أحد، وضمن هذه المقتطفات البسيطة يمكن ان نلمس الشكل أو بآخر مدى أهمية هذا الشاعر في الحياة الأدبية الكردية، وكذلك في الحياة الاجتماعية والسياسية.

والشاعر كوران كان شديد العناية بالسبك اللغوي والفني في بنية القصيدة. وقد لعب دوراً كبيراً، لاسيما وقد ترأس تحرير مجلة زين «الحياة» الأدبية.

سلاماً لروح كوران الشاعر. وسلاماً لحلبجة الجريحة التي انجبته، ولكردستان التي ترتوي صخورها من دم ابنائها ولكن مهما كانت قاسية جبالك فدمنا كفيل بترطيبها وتطييب خاطرك ومعك المدن الجريحة..

وياكوران المسالم.. افتح عينيك قليلاً.. وانظر مسقط رأسك.. وياكوران العضو في مجلس السلم العالمي افتح ثقباً صغيراً في قبرك فستجيء اليك حمامات حلبجة الجريحات ويشكون اليك ما يفعله الطغاة.. ويجيء نخل العراق حزيناً يقدم شكواه اليك وتمره المحروق، وتجيء امهات المسمرين المتعبين بين الرصاص والرصاص، وستجيء امهات وحبيبات المنفيين، وسيجيء العراق، العراق كله اليك ياكوران.

مع كوران الشاعر الكبير.. مع الرفيق هوشيار

دلزار

التقيت الشاعر الكبير عبد الله كوران في فلسطين حيث كان يدير (اذاعة كردستان) التابعة لمحطة (الشرق الأدنى) في يافا، وهي اذاعة تابعة لبريطانيا.

كانت هذه الاذاعـة تبث الاخبار بعد الظهر، يلي ذلك تعليق سياسي يعده ويقدمه الاستاذ كوران، وتتضمن براجها الاغاني والموسيقى الكردية.

في الثاني من نيسان ١٩٤٥ (أي قبيل انتهاء الحرب بخمسة اسابيع) زرت كوران في دار الاذاعة برفقة علي رسول، وهو صديق من اهالي السليمانية. وهناك ايضاً تعرفنا على المذيع رؤوف الخالدي. رحبا بنا وامضينا سوية ما يزيد على الساعة.

بعد تعارفنا صرنا نلتقي في اغلب ايام الاحد، فنجلس في احدى مقاهي تل ابيب المطلة على البحر، ومعنا افسر رسول، كنا نشرب القهوة أو البيرة ونتحدث عن الوطن. وكان كوران يحدثنا عن خداع اليهود للعرب مثل شراء اراضي واملاك العرب بالمال الوفير والاستيلاء على المناطق العربية بدون ضجة.

لقد دلني كوران في يوم من الايام على دكان رجل أديب في يافا، التقيت به مع الاستاذ كوران، وظهر انه الاستاذ أحمد الدباغ، كان قاصاً فلسطينياً معروفاً. وكان مدرساً في العام الدراسي ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ في مدرستنا المتوسطة في كويسنجق. كان شيوعياً فلسطينياً معروفاً، وأخيراً علمت انه كان يزود كوران بالنشرات والمعلومات الحزبية.

في يوم آخر صادفت مع كوران، باحد اسواق يافا شخصاً قصير القامة نحيفاً، يعتمر طربوشاً، فصاح ملء شدقيه «ياسلام! هذا انت يااستاذ؟». ورحبَّ بكوران كثيراً... وقال لي كوران فيما بعد: انه الاستاذ عبد الوهاب محمد، موسيقي وملحن فلسطيني معروف، سبق

ولحن لنا أغلب الاغاني والاناشيد التي تبثها اذاعتنا مثل (ده مى رابه رينه ـ انه عصر التوثب) و (كوله كه نم ـ سمبلة القمح) و (اوبريت كولى حزينين ـ اوبرا الوردة الدامية) وغيرها . . .

افترقنا صيف ذلك العام بعودتي إلى الوطن وفي خريف ١٩٤٦ ذهبت إلى كويسنجق، وهناك اتصلت بالحزب . وبعد القاء القبض على مسؤول منظمة الحزب في السليمانية في آذار ١٩٥٣ كلفني الحزب بالانتقال إلى هناك فوصلت في الأول من نيسان . ولم تمض سوى أيام حتى اتصلت حزبياً بكوران والشاعر الشاب محمد صالح ديلان، وكانا حينذاك مرشحين للحزب . وكنا نجتمع في (كردى سيوان) أو (كاني قه لان) واحياناً في بيت كوران .

كان الرفيق كوران (واسمه الحزبي هوشيار) شديد الاخلاص لحزبه، ملتزماً لا يقدم على عمل بدون استشارته . وطيلة وجودي في السليمانية لم يتغيب ولا مرة عن الاجتماعات الحزبية .

اتذكر يوم تتويج فيصل الثاني والغاء الوصاية على العرش واعتبار الوصي عبد الإله ولياً للعهد في يوم ٢/مايس/ ١٩٥٣ . وابتعاداً عن الضوضاء والصخب والاحتفالات، خرجنا كوران وأنا ومحمد صالح ديلان في نزهة خارج المدينة، وجلبنا معنا سحارة (معلاقاً) وسفافيداً (اسياخاً) وسكراً وشاياً ومواد اخرى مع شيء من الفحم . . واحتلينا بقعة جميلة (كاني قه لان) حيث النبع الصافي الثر وبساط واسع من العشب الاخضر وأمامنا بحر من حقول القمح الخضراء المتموجة بهبوب النسيم، بقينا هناك من وقت الضحى وحتى قُبيل الغروب .

قرأت على كوران جملة من قصائدي وكان يصحح لي بعض الابيات ويشجعني على قول الشعر، وكان معي رواية (مم وزين) الشعرية للشاعر الكردي الكبير (أحمد الخاني ـ ١٦٥٠ م ـ ١٧٠٧ م).

لقد كان كوران معجباً بالرواية ويفهمها بصورة جيدة، رغم كونها منظومة باللهجة الكرمانجية الشمالية القديمة، قبل ما يقارب من ثلاثمائة سنة، وتطرقنا إلى مواضيع شتى، تتعلق بالوضع السياسي والاجتماعي وقتذاك وبالأدب والشعر قديماً وحديثاً .

فارقت السليمانية والرفيق كوران في يوم ١٩٥٤/٨/٦ متوجهاً إلى كركوك، وكان كوران قبل ذهابي إلى السليمانية وبعد مغادرتي لها رئيساً لتحرير جريدة (زين) . وقد جعلها عملياً لسان حال حركة السلم في كردستان وكان هو مسؤول حركة انصار السلم في السليمانية وعضواً نشيطاً في لجنة انصار السلام العراقية . .

في اواخر ١٩٥٤ القي القبض عليه وحوكم والقي به في السجن: بعيد انتصار ثورة ١٤/ تموز المجيدة اطلق سراحه مع العديد من الرفاق، توجه إلى السليمانية مع كل من بهاء الدين وعمر علي الشيخ حيث استقبلوا استقبال الابطال وبشكل لا ينسى أبداً . .

ظل وتوجه مع وفد لانصار السلام إلى موسكو في العام ١٩٥٩ . وعندها نظم قصيدتين

رائعتين (موسكو جوان ـ موسكو الجميلة) و (ريكاى لينين ـ طرق لينين).

في اواسط شهر ايلول من عام ١٩٦٠ عقد المؤتمر الثاني لمعلمي الكرد في شقلاوة، وكان كوران من ابرز المدعوين اليه وأنا أيضاً.

ألقى كوران في الامسية الشعرية قصيدة من قصائده العصماء، والقيت أنا قصيدة (رده ئه با ـ العاصفة). وفي اليوم الاخير من المؤتمر توجهنا والاستاذ كوران ومحمد ملا كريم والشاعر عثمان عوني والمعلم الشهيد كمال رشيد والمعلم يحيى عبد الحكيم إلا شلال (كه لى علي بيك) ثم إلى بيخال ومن هناك إلى منطقة دربند حاج عمران. وقد التقطت لنا الصور التذكارية.

بقرار من الحزب عينتَ محرراً في جريدة آزاى وكذلك الاستاذ كوران.

في اليوم الاول من اكتوبر ١٩٦٠ وصلت إلى بغداد وكان كوران هناك وقد استأجر شقة في عمارة بيضاء في شارع الشيخ عمر سكناها سوية وكان يسميها (كوشكى سبي ـ القصر الأبيض).

قضينا فترة سعيدة ومثمرة وغير قابلة للنسيان مع رب الشعر الكردي كوران ومع محمد ملا كريم ومحمد كريم فتح الله والقاص الشاب حسين عارف واحياناً مع الرفيق الخالد الذكر الشهيد نافع يونس صاحب امتياز جريدتنا آزادي.

اتذكر كنا نتغدى في الاسبوع مرتين أو ثلاث مرات (الباجه) في مطعم (الحاتي) عند شارع الشيخ عمر تلبية لرغبة محمد ملا كريم بالدرجة الأولى حيث كان من أكلة الباجه النهمين!

في صبيحة يوم من الايام قال لي كوران: دلزار وجدت مطعماً جيداً ورخيصاً فلنمض اليه ونفطر على الهريسة، وعند ذهابنا اليه كان مطعماً صغيراً في باب الشيخ يديره رجل فيلي... فرحب بنا وقدّم لنا الهريسة تكسوها طبقة من الدهن وحفنة من السكر، فكانت لذيذة حقاً، دفعنا له مقابل الماعون الواحد ثلاثين فلساً فقط!

احد الايام زارنا في غرفتنا في الجريدة، الرفيق الخالد الذكر سلام عادل وجلس بجوار كوران وأخذ يحدّثه باحترام واضح...

كان كوران يطالع كثيراً ويهتم بكتاب نقدي للأديب الراحل محمد مندور ويطالع بعض الكتب الادبية المكتوبة حول الأدب المقارن بالاضافة إلى الكتب الشعرية الانكليزية...

في احدى الامسيات قلت لكوران: لقد طالعت المجلة الكردية الفلانية وقرأت فيها قصيدة لـ (هوكر) ـ وهو نجله الكبير، القصيدة جيدة وفيها التماعات شعرية...

فقال كوران بالحرف الواحد: «نحن نتعب اثناء نظم الشعر ولكننا نتغلب عليه في آخر المطاف...».

ثم أردف ما معناه: انني لا إتعب اثناء نظم الشعر فحسب بل امرض مرضاً عضالاً لا استقر في مكان ولساعات عديدة اشعر بضعف شديد وأسهو عن كل شيء، إلى ان أفرغ من نظم القصيدة المعينة فاشعر براحة تامة وبسعادة طاغية ثم أعود إلى حالتي الطبيعية . . .

كان يحب مشاهدة الافلام الجيدة، وقد شاهدت افلاماً جيدة با لحاح منه. ففي خريف ١٩٦٠ شاهدنا جملة من الافلام السوفييتية ضمن اسبوع الافلام السوفييتية، دفعنا ثمن الافلام السبعة سلفاً كوران وأنا ومحمد ملا كريم ومحمد كريم فتح الله والقاص حسين عارف، واشترك معنا الرفيق نافع يونس في مشاهدة فلمين.

لقد كان كوران شاعر الحب والجمال قبل كل شيء وقصائده العاطفية هي من أروع القصائد التي قيلت في اللغة الكردية على الاطلاق. كان يعشق الجمال ويعبده سيما جمال المرأة يحب «الجمال الذي ينير الدرب لا الذي يجرح»!

بالاضافة إلى لغته الكردية كان يجيد الفارسية والتركية والعربية والانكليزية. وكان يستذوق الشعر الانكليزي بالدرجة الأولى ومتأثراً بالشاعر الانكليزي شيللي كذلك اليوت وبايرون وملتون وغيرهم.

منذ ان كنا نسكن سوية في شارع الشيخ عمر، كان كوران يشكو من آلام في معدته، يأكل قليلاً ويتأذى الكثير، وأخيراً علمت ان هذا كان بداية لمرضه الخبيث.

في شهر كانون الاول من عام ١٩٦٠ توقفت جريدتنا المناضلة (آزادي) عن الصدور بقرار من حكومة عبد الكريم قاسم، فعدت إلى قصبتي، أما كوران فقد كان محاضراً في كلية الآداب ـ القسم الكردي بجامعة بغداد فبقى يداوم فيها بعد انتهاء العطلة الصيفية.

وفي اوائل ١٩٦٢ أجريت له في بغداد علمية ناجحة في بادىء الأمر، وتم استئصال الورم الخبيث وعادت اليه عافيته، لحين من الوقت. إلا ان المرض سرعان ما عاوده مما اضطره ان يتوجه إلى الاتحاد السوفييتي. وبعد اشهر قلائل ظهر انه لا يرجى شفاؤه. لذلك اعادوه إلى العراق، لكي يتوفى في وطنه. . وكان بوده ان يبقى هناك لكي يتعالج، غير مدرك مصيره القريب! هذا ما استغله بعض الحاقدين من اعداء الشيوعية، وشرعوا يبثون شتى أنواع الاختلاقات باسم الرفيق كوران وموقفه من الاتحاد السوفيتي.

ولد كوران في حلبجة في العام ١٩٠٤ وتوفي في الساعة التاسعة والنصف من صبيحة ١٩٦٢/١١/١٨ في السليمانية وهو لما يزل قوي الارادة فياض العاطفة وقد نظم شعراً بليغاً ومؤثراً قبيل وفاته بفترة قصيرة.

لقد ترك لنا كوران ديواناً شعرّياً غنياً مطبوعاً. وله كتابات نثرية كثيرة تنتظر الطبع.

من شعر گوران

نوروز

البنفسجة المختبئة تحت الشوك
فتحت عيونها السود، فرأت
حقل النرجس بالف لحظ
يضحك: أصفر أبيض!

النرجس المستحم بالشمس الدافئة
كان يحمل بشرى للبنفسجة
قال: اختاه،
اختي الجميلة ذات العيون المليئة بالحياء،
باب الدار موصد
ولماذا الدموع من عينك تنهمر؟
انه الربيع
من على القمم البيضاء يظهر

شعاع وتألق الياقوتة الحمراء
مشاعل نيران بداية العالم الجديد! . .
البنفسجة الخجولة ذات العيون السود
بدأت بالغناء!
بانطلاق وبلا تردد
من وخز خنجر العدو
رمت بنفسها في حضن باقة الورود . .
وردة البنفسج المنزلية تحت الشوك
عندما وصلت ليدي المتلهفة،
امتلأت من عبيرها انفاسي،
وسكبت وشوشة العطر في مسامعي
ولبشارة: «اقبل . . نوروز!» أنبأتني
ايه ايها العيد الذي اقبل، ومضت
عن الفم، مرارة، عام انقضى!
ياعيدا لألوف الاعوام الخوالي
من ماضي الكرد المرير القاسي،
كنت أنت وحدك: عيدهم وربيعهم! . .
من الاحزان القديمة، والآلام القديمة
من جراح وصديد أيدي الطغاة القدامى،
ابعدتنا سنة أخرى
ومن هناك العيد الجميل
بمقدمك تقدم الركب،
حولاً كاملاً نحو الفجر!
أي: لنقطع الطريق مسرعين
لينتهي الليل سريعاً قبل عام
ذلك الليل مشاعل الشعوب،

تحرفه وتأتي على كيانه
من كل أرجاء الدنيا،
إلى ان تذرو رماده
رياح الحريق . .
حتى يتساقط غباره على
صفحات التاريخ ، كتناثر
ذرات التراب المنتشرة . . !
حينذاك، نوروز،
ايها العيد السعيد!
من حزن يتساقط الشوك ومن كمد،
ويصير سماداً لتربة الورد!
وأنت ومهرجان ربيعك
وألوان قممك وغاباتك،
في روضة أزهار الشعوب
تغدو وردة في الميدان . .
كل انسان يبصرها ويشم عبيرها،
يهتف : عاش نوروز الكرد.

١٩٦١

قصة اخوة

اخي العربي!
لمع سيف وغرق بريقه في دماء
سالت من عنق ابي . .
من عنق أبيك

على تراب التاريخ.
وفجعنا كلانا، بابوينا
الهموم تعصر أعيننا قطرة فقطرة
فتعانقنا وبكينا معا
فجعل البكاء منا أخوين
أما رجال العتمة
ذوو الرؤوس الملأى بالافاعي
فقد أخذونا من ايدينا
إلى سفح شجرة الالم
وشدوا الطوق في اعناقنا
وفي يد كل منا، دسوا معولا
والوعيد كان سوطاً يتحرك فوق رؤوسنا
وسخرنا لحفر الآبار
وهناك تحت شجرة الالم
تلاحمت اخوّتنا
فتهامسنا وسمينا شجرة الشوك تلك
اخوة العرب والكرد
ثم تعالت الضربات، ضربات المعاول
وتعالى انينك وصراخي في غمرة الكدح
ليل نهار، عاما.. عاما
حتى سالت ثروات هائلة من تلك الحفر
لتتجمع في جيوب قتلة آبائنا
مصاصي الشهد من كدحنا الشهي.
أخي العربي!
آه... كم من عباءة
كم من لباد.. مزقنا

اناء كنا نعمل مسخرين للظالمين
آه . . كم مسحنا العرق من جباهنا
ونحن مثقلون بالاحمال
وان حركنا ظهورنا المنهكة المحدودبة
كان الظالمون يهبون متوعدين
وكنا مجبرين ان نغرس المعاول
في الأرض، وفي جلودنا
دون ان نتوقف بكتفي هذه . . وبتلك
ومن رؤوس معاولنا تدفقت
سيول وسيول من ذهب وجواهر
وكانت تنهب . . وظللنا أنا وأنت
نمد يدي شحاذ من اجل كسوة رثة .
وكسرة خبز متعفن يابس
وعيوننا المترصدة، كانت تنتظر

أخي العربي!
ان أردنا ان تقطف اخوّتنا
ثمارا حلوة من الشجر
ان أردنا ان تتفتح حريتنا
عن ازهار كحدائق الربيع
ان أردنا ان يكون عامنا ابدا ازهى من كل عام غابر
وان لا تصل الينا ابدا يد الظالم الآثمة
فعلينا . . من طيب نوايانا
ان نسلك طريقا سويا
صوب الافق المضاء .
وعلينا ككل شعوب الأرض ان نسير

حيثما الشعلة البيضاء تجنح
على اجنحة حمام وادع
حيثما تطوي الشعلة الافق الازرق
إلى هناك نطير على جنحي كلمة طيبة
وتضيء الشعلة دربنا
وتضيء . . وسنشدو بامانينا لامانينا
ونغذ السير
للاف الزاهر باعذب امانينا.

عبدة الاوثان

ثقتي، أنا، في الغد
فالغد يحمل لي بشائر الخلاص!!
سأتحرر
من الجوع، والفقر،
ومن الجهل والاسقام،
من السخرة، والظلم والظالمين،
من العصا، والعذاب، والاحتكار
سأفرح بعد طول حزن مقيمْ. .
أنا انسان عارٍ جوعان
أحيا على أمل الغد الآتي!
بعرق الساعدين
الذي أُريقه قطرة فقطرة،
أغرس فسائل الغد

اطرز هذا العراق جنوبه وشماله،
كقطعة من سندس واستبرق . .
الليل طويل
والآلام شديدة
واناء القلب مترع بالدم . . .
وفيض الحقد يبعث في روح الجسارة،
رويدا . . رويدا
فيُلهب فيّ نار الكفاح
أنا الشعب، شعب العراق
الكرد أحد جناحي، والعرب جناحي الآخر . .
بالأمس كان مسار قافلتي غير مأمون . .
كان العدو يتربص به .
لذلك كنت قابعاً في مكاني
لم أكن استطيع السير . . ان أرحل . .
أما اليوم، فان طريقي مفتوحة فسيحة . .
الرغبات الجياشة تترى في رأسي . .
لذلك، فاني أريد ان أنطلق في سرعة الرصاص
ان أقطع درب التقدم . .
واجتاز مسالك السعادة

احتفل بنوروز

سأخلق نوروزي، واحتفل به . .
سأجعله حفلاً بهيجاً . .
انه عيد شعبي المقدس . .

هو ليس عيدي فحسب . .
إنه عيد الجميع . .
عيد انبعاث الشعوب

١٤ تموز:

إنه عرس الجمهورية . .
فيا ايها الجسد الراقد في الزنزانة . .
ايتها السلاسل . . اصمتي . .
صمت السكون في الاذن
وأنت، أيتها الريح المرتطمة بزنزانتي . .
اغفي كما يغفو الطفل الرضيع!

سجن بعقوبة ١٩٥٨

نداء من أدباء وكتّاب عرب

منذ مدة طويلة، ومن أجل تجاوز الأزمة السياسية التي تعصف بالبلاد، قدمت الحكومة الأفغـانية جملة مبـادرات سلمية، وبذلت جهوداً متوالية وصادقة ترمي إلى حل ديمقراطي عادل، يتمثل في اشراك جميع القوى الاجتماعية المسؤولة في ادارة شؤون البلاد، بشكل يحفظ وحدة البلاد ويؤمن حيادها ويمنع اراقة الدماء، ويدعم ما تم تحقيقه من اصلاح اجتماعي، ويسمح بعودة المهاجرين. ولم تدخر الحكومة الأفغانية أي جهد للوصول إلى هذه الأهداف الـوطنية الانسـانية المسؤولة. لكن كل هذه الجهود أصيبت بالاخفاق، بسبب تعنت قوى المعارضة، التي ترفض أي حل (سلمي) وتمارس غطرسة منفلته مرجعها الدعم الامبريالي الشامل، الذي يقفز فوق كل اعتبار انساني من أجل المصالح الامبريالية.

إن تعنت القـوى الـرجعية، المـدعـومة من الامبريالية الأمريكية أولاً، ومن القوى الظلامية والتابعة في العالمين العربي والاسلامي، لن يؤدّي إلا إلى سفك المزيد من الدماء، وتدمير النفوس البريئة، لأن هذه القوى لا تعرف الحوار، ولا تقبل إلا بسلطة سياسية مستبدة شاملة تحارب كل ما له علاقة بالديمقراطية وحقوق الانسان وبالتقدم الاجتماعي. وإذا كانت هذه القوى تدعي الدفاع عن الاسلام، فإن هدفها الأساسي هو خدمة الأهداف السياسية الـرجعية على المستوى المحلي والعالمي. إن الاسلام يتشكل في جملة مواقف تاريخية كتراث حضاري يهم جميع الشعوب الاسلامية وطلائعها المتنورة وكعقيدة دينية تلتزمها الجماهير المسلمة وتحافظ عليها من الزيغ والانحراف. وليس لهذه القوى المتحالفة مع الامبريالية الأمريكية والتي تبيع اليورانيوم لاسرائيل أية علاقة حقيقية بأي ممكن هذه المواقف. ومن المستحيل على أي من هذه القوى أن يدعي لنفسه أنه يصدر عن نفس تلك المثل الاجتماعية المتقدمة التي

حملها قادة الاسلام العظام أمثال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو ذري الغفاري وغيرهم من بناة الحضارة الاسلامية المجيدة، تلك المثل التي توغلت في صميم الارث العالمي التقدمي الذي ينطلق منه الماركسيون والتقدميون في نضالهم لبناء المستقبل.

إننا نقف إلى جانب كل جهد حقيقي من أجل حل عادل وديمقراطي يخدم مصالح الشعب الأفغاني، ويستجيب لمعايير العقل والطموحات الانسانية النبيلة ونشجب تجارة الدين التي لا يذهب ريعها إلا إلى البيت الأبيض وغيرها من القوى الرجعية، التي من أجل مصلحتها، مستعدة لتدمير كل شيء، بما في ذلك القيم الدينية.

عبد الرحمن منيف روائي.عبد الرزاق عيد.ناقد.سمير سعيفان اقتصادي.مخلص خليل شاعر عبد الهادي الشروف كاتب.احمد برقاوي باحث.هادي العلوي باحث.عبد الكريم الكاصد شاعر.احمد محمد مصطفى كاتب.عواد ناصر شاعر.سامر عبدالله كاتب.داوود تلحمي كاتب هاني حوراني كاتب.روناك شوقي مخرجة مسرحية.فالح عبد الجبار كاتب.فاضل السلطاني شاعر.زكريا محمد كاتب.جميل هلال كاتب.سناء عبد الرحمن فنانة مسرحية.احمد السرساوي قاص.حسين ابو رمان كاتب.زينب الاعرج شاعرة.واسيني الاعرج روائي.حمده خميس شاعرة عطية الجودة كاتب.عثمان بيدي استاذ.مصطفى فاسي قاص.احمد حمدي شاعر.عبد العالي رزاقي شاعر.حرزالله محمد الصالح قاص.فاطنة حمدي باحثة تاريخ.زينب ممثلة مسرحية حبيب صادق شاعر.نزار مروه كاتب.سناء ابو شقرا كاتب.حسين ابو سليم كاتب.محمد عادل كاتب.سوسن سيف الدين كاتب.محمد فاخوري كاتب.محمد عبد الاحمد كاتب.خالد عبد المجيد.كاتب عادل خاطر كاتب.هاني حبيب.كاتب ماهر سلامة كاتب.سمير سالم داود صحفي استيرة محمد امين صحفية.رضا الظاهر كاتب.عبدالمنعم الأعسم صحفي.عدنان حسين صحفي غانم حمدون كاتب.مالك مروان صحفي.ثامر الصفار مترجم.كاوه محمد أمين، صحفي.رفيق صابر شاعر.رجاء أحمد كاتبة.فائق بطي، كاتب.أحمد سعيد نجم كاتب.محمود حسن كاتب.ماجد عبدالهادي كاتب.مروان سلامة كاتب.محمد المصري كاتب.ماهر اليوسفي كاتب

أعمال فنية

للفنان كاظم الداخل

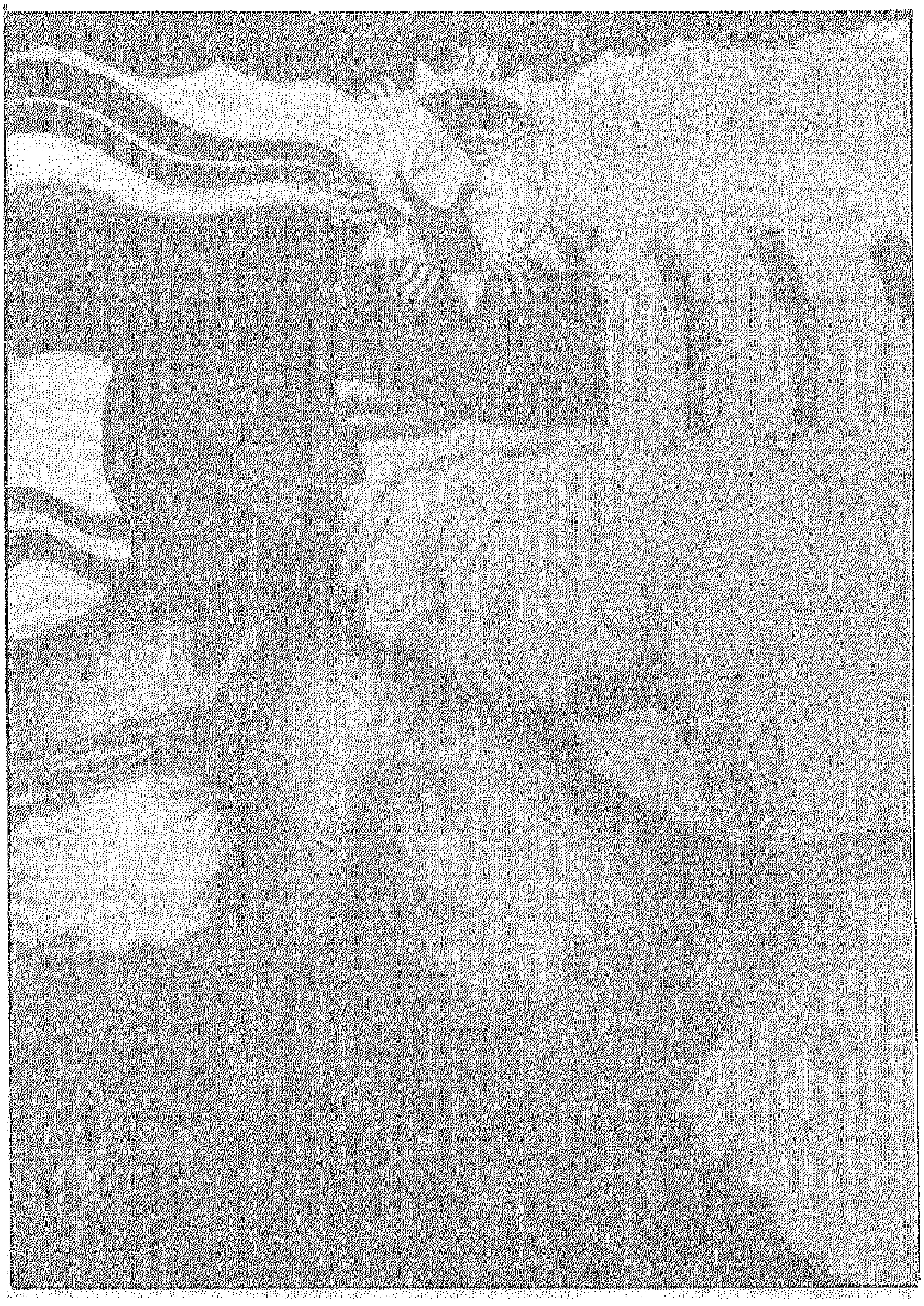

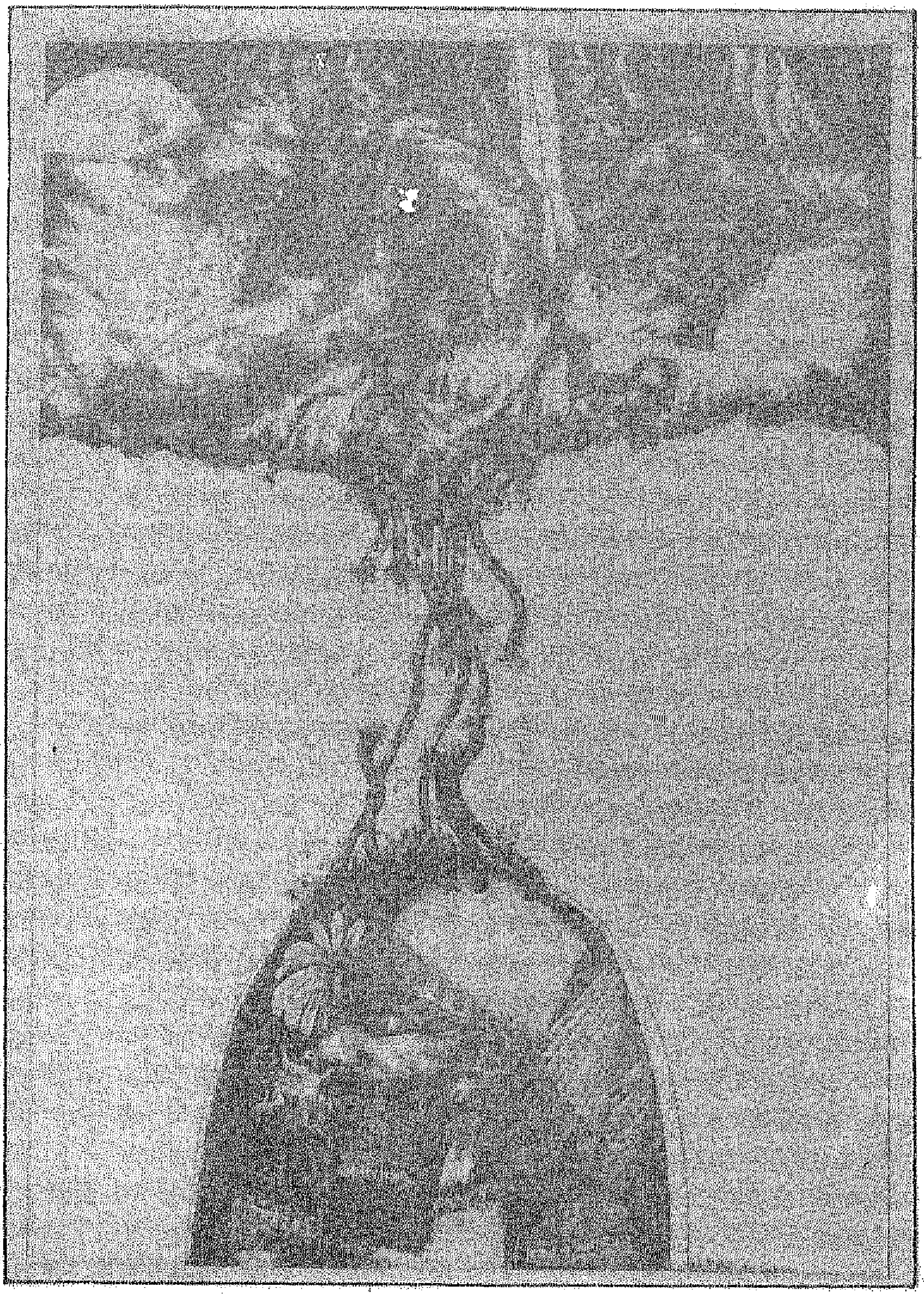

وثائق

تحية للرفيق حافظ الأسد

الرفيق العزيز حافظ الأسد
الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي

يسرني أن أغتنم مناسبة الذكرى الثانية والأربعين لتأسيس حزبكم المناضل لأبعث إليكم، باسم اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي وباسمي شخصياً، أحر التحايا النضالية مع التمنيات القلبية بمزيد ن النجاحات في خدمة الشعب السوري الشقيق والأمة العربية المجيدة.

إن سورية الشقيقة، بقيادتكم، تحتل اليوم مواقع متقدمة في نضال حركة التحرر الوطني العربية ضد الامبريالية والصهيونية. وبسبب من هذا بالذات تتعرض للمخططات التآمرية والافتراءات والدسائس التي تقف وراءها ليس الدوائر الامبريالية والصهيونية المعادية للأمة العربية فحسب، بل والدوائر الرجعية العربية، وكل القوى الحاقدة على نهجكم الوطني والقومي التقدمي، ومن بينها النظام الدكتاتوري الحاكم في بغداد، الذي لم يتورع عن الوقوف علناً في صف القوى المتحالفة مع اسرائيل في لبنان، التي تعيق الحل الوطني والاصلاح السياسي وبقاء لبنان مستقلاً ديمقراطياً موحداً.

إننا إذ نحييكم بهذه المناسبة النضالية، نتطلع إلى تعزيز علاقاتنا الكفاحية والارتقاء بها إلى مستوى المخاطر الجدية التي تحيط بحركة التحرر الوطني العربية، ونعبر لكم عن تقديرنا لتضامنكم مع حزبنا والحركة الوطنية العراقية في نضالها الصعب من أجل الاطاحة بالدكتاتورية، وإقامة البديل الديمقراطي.

عزيز محمد
السكرتير العام
للحزب الشيوعي العراقي
٦ / نيسان / ١٩٨٩

تحية لذكرى ثورة نيسان الأفغانية

الرفيق العزيز نجيب الله، الأمين العام لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني

باسم الشيوعيين العراقيين وأصدقائهم يطيب لي أن أبعث إليكم وإلى قيادة وأعضاء ومناصري حزبكم التهاني القلبية والتحيات النضالية بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لثورة نيسان. لقد كانت هذه الثورة تعبيراً أصيلاً عن مطامح قوى شعبكم التقدمية في التحرر من التخلف والبؤس والظلم الاجتماعي. لذلك قوبلت بالتأييد والدعم من قوى التقدم والسلم والاشتراكية في العالم، ولا سيما من الاتحاد السوفييتي. فليس غريباً والحالة هذه أن تقابل الثورة بالعداء والدسائس والتخريب من الأوساط الظلامية، المحلية والاقليمية بدعم وتوجيه الرجعية الاقليمية والامبريالية

الامريكية وحلفائها، فشنت قوى الشر هذه، حرباً متواصلة شرسشة على ثورتكم المجيدة.

لقد تابع حزبنا وقوى شعبنا الديمقراطية بالتأييد ما بذل حزبكم وحكومتكم من جهود مضنية لوضع حد لنزيف الدم والدمار، وقطع الطريق على التدخل الخارجي، والتوصل الى الحل السلمي للمشاكل التي أثارتها قوى الثورة المضادة داخل وحول أفغانستان. فأعلنتم من جانب واحد ايقاف القتال عدة مرات، وأبديتم استعداداً دائباً لتشكيل حكومة ذات قاعدة اجتماعية واسعة على أساس التعددية السياسية واتخذتم العديد من الاجراءات العملية الهامة على هذا الطريق السليم. وتكللت جهود حكومتكم والاتحاد السوفييتي بتوقيع اتفاقية جنيف والالتزام بروحها ونصها.

وبالضد من هذا النهج المسؤول والمفعم بالانسانية ازاء مصير وطنكم وشعبكم وازاء قضية السلم في المنطقة والعالم لم تلتزم الرجعية الباكستانية والامبريالية الأمريكية بنصوص وروح اتفاقية جنيف بل صعدت حربها غير المعلنة عليكم بمناسبة سحب القوات السوفييتية من بلادكم، بتكثيف امدادات السلاح والمال وأشكال الدعم السياسي والدبلوماسي، يشاركهم في ذلك حكّام السعودية الرجعيون. وبلغ التدخل الخارجي درجة بالغة الخطورة على السلم بزج القوات العسكرية الباكستانية في محاربتكم.

لقد حلمت قوى الظلام هذه باحراز انتصار سريع باسقاط كابول وجلال آباد وغيرهما من المدن الكبرى بتجويعها وامطارها بآلاف الصواريخ. لكن أحلامهم السوداء خابت على يد قواتكم المسلحة ومقاتلي حزبكم في معارك الصمود البطولية وخاصة حول جلال آباد. إن دحركم لقطعان قوى الثورة المضادة انتصار مبين لكل قوى الخير الساعية إلى الحل السلمي ولجم التدخل الأجنبي في شؤونكم الداخلية.

إن حزبنا الذي حظي لدى حزبكم بالتضامن الرفاقي في كفاحه من أجل السلم والبديل الديمقراطي في العراق يحيي صمودكم الرائع في الدفاع عن منجزات ثورة نيسان المجيدة.

عزيز محمد
السكرتير العام
للحزب الشيوعي العراقي
١٠ / ٤ / ١٩٨٩

برقية

الأخوة / اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

تحية الثورة وبعد

ببالغ التقدير، تلقيت برقية التعزية التي أرسلتموها باستشهاد أخي، جمال عرفات، «أبو رؤوف» سفير دولة فلسطين في الجمهورية العربية اليمنية، وأول مدير لمكتب فلسطين في الجزائر.

لقد كان الشهيد أبو رؤوف، ابناً باراً من أبناء شعبنا الفلسطيني، كرس حياته من أجل

تحقيق الحرية والاستقلال لشعبه، تحمل راية الكفاح منذ الأيام الأولى لقضية شعبنا المقدسة. عزاؤنا باستشهاده، أنه جاهد الجهاد الحسن، وهو يناضل من أجل انهاء الاحتلال الاسرائيلي لأرضه، ومن أجل استعادة شعبنا لحقوقه الوطنية غير القابلة للتصرف، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وإنها لثورة حتى النصر

ياسر عرفات
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية
٢١ / ٢ / ١٩٨٩

بيان

لا انتخابات حرة في ظل الدكتاتورية والارهاب!

يقوم النظام الديكتاتوري هذا اليوم بتمثيل مهزلة جديدة يطلق عليها اسم انتخابات «المجلس الوطني» وذلك لإخراج كيان مسخ جديد كالكيانين السابقين لهذا المجلس الذي سخر منه شعبنا عند اقامته عام ١٩٨٠، بسبب من كونه واجهة لديمقراطية كاريكاتورية مزيفة، وأداة طيّعة بيد الدكتاتور لا تملك من تمثيل الشعب غير الاسم.

إن الانتخابات التي تجري اليوم وسط ضجيج اعلامي ودعاية واسعة، في الداخل والخارج مدفوعة الثمن من أموال شعبنا المنكوب بالارهاب الدموي، وبنتائج الحرب المدمرة، والضائقة الاقتصادية، والديون الهائلة، تجري على نفس الأسس التي جرت عليها الانتخابات في المرتين السابقتين. وهي أسس تجسد مصادرة الحقوق والحريات الديمقراطية، وحرمان الشعب من انتخاب ممثليه الحقيقيين، وتجبر الناخبين على اعطاء أصواتهم لواحد من المرشحين الذين هم كلهم من السائرين في ركاب السلطة الدكتاتورية، ولم يتم ترشيحهم إلا بعد موافقة لجنة حكومية تفحص ولاء المرشح للنظام الدكتاتوري وأهليته للقيام بدور عضو في المجلس المزيف، لا يخرج في كل ما يصدر عنه عما تريده الطغمة الدكتاتورية الحاكمة بقوة الحديد والنار.

وتجري الانتخابات في ظل بقاء ما يسمى مجلس قيادة الثورة، وهو هيئة غير منتخبة ومفروضة على الشعب، كما هو معروف، ولا تمثل في واقع الحال اليوم سوى ارادة صدام حسين، وفي ظل استمرار هذا المجلس في تمثيل السلطة العليا في الدولة التي تكتسب قراراتها قوة القانون دون مناقشة من أي أحد، بما في ذلك «المجلس الوطني» المزعوم.

وتجري الانتخابات أيضاً في ظل بقاء الأوضاع الاستثنائية ومصادرة الحريات الديمقراطية، واستمرار الارهاب الدموي ضد كل الأحزاب والقوى الوطنية، ومواصلة الحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي، وبقاء

مئات ألوف المهجرين قسراً والمهاجرين اضطراراً خارج الوطن، وألوف الملاحقين والسجناء والمعتقلين الوطنيين في داخله.

وتجري في ظل انعدام أية امكانية للقيام بأي نشاط سياسي مستقل، بصورة علنية وقانونية، لا ترضى عنه السلطة الدكتاتورية، من قبل أي حزب أو مجموعة سياسية أو حتى شخصية وطنية مستقلة. إذ لا وجود لحياة حزبية، ولا صحافة حرة، بعيدة عن سيطرة الحزب الحاكم، ولا حرية تعبير عن الرأي والدعاية وتنظيم الاجتماعات والمواكب وغيرها من الحريات الديمقراطية التي يعرفها العالم المتمدن، وحتى الدعاية الانتخابية للمرشحين الذين قبلت السلطة الدكتاتورية ترشيحهم تسيطر عليها الأجهزة الحكومية وتنظمها بالشكل الذي تريد تحت واجهة تحقيق المساواة بين المرشحين.

وإن ما يميز الانتخابات هذه المرة عن سابقتيها هو الحديث المتكرر عن الرغبة المزعومة في اقامة التعددية السياسية، والغاء احتكار الحياة الحزبية من قبل الحزب الحاكم، والاقرار بفشل الواجهات الكارتونية المسماة أحزاباً والجبهة الوطنية المزيفة التي يتحكم بها جلاوزة السلطة. وكذلك الاعلان عن السعي لوضع دستور دائم للبلاد بدل الدستور المؤقت الذي لم تحترمه السلطة الدكتاتورية طيلة سنوات عمرها المريرة على شعبنا المعذب ووطننا المنكوب.

غير أن سلوك السلطة الدكتاتورية واجراءها الانتخابات في ظل الأوضاع التي أتينا على ذكرها يفضح نواياها الحقيقية التي تتجسد في كسب شرعية لا تمتلكها، والايحاء بوجود أوضاع مستقرة في البلاد، ومحو الصورة البشعة التي ترسخت في أذهان شعبنا والشعوب العربية والرأي العام العالمي عنها باعتبارها واحدة من أوحش الدكتاتوريات في عالمنا المعاصر وأكثرها همجية وبربرية.

إذ لو كانت الطغمة الحاكمة تريد استفتاء الشعب حقاً عن طريق انتخابات حرة حقيقية لما أجرتها في ظل الأوضاع الحالية، بل كان يتوجب عليها أن تلغي الأوضاع الاستثنائية وتطلق الحريات الديمقراطية بما فيها حرية النشاط الحزبي وتطلق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين، وتصدر عفواً عاماً شاملاً بدون اشتراطات تفرغه عملياً من محتواه، وتتيح الفرصة لعودة المهجرين والمهاجرين قسراً وتوقف حربها الشوفينية ضد الشعب الكردي وتسمح بعودة مئات ألوف الفلاحين إلى قراهم المدمرة، وغير ذلك من الاجراءات التي تعيد البلاد إلى وضعها الطبيعي.

إن شعبنا لم يعد يطيق بقاء الدكتاتورية الفاشية وارهابها الدموي، والعالم كله يشهد موجة متصاعدة من نضالات الشعوب ضد الدكتاتورية والعسف والارهاب واحتكار العمل السياسي، وتتهاوى الأنظمة الدكتاتورية الواحد بعد الآخر تحت ضربات هذا النضال. ولذا يعمد النظام الدكتاتوري إلى هذه الألاعيب لعلها تمكنه من البقاء أطول فترة ممكنة.

ولكن هذه الألاعيب لن تخدع شعبنا. فهذه الانتخابات المزيفة لن تأتي بغير مجلس مزيف لا يمثل شيئاً من ارادة الشعب. ولن تزيد من هيبة الدكتاتورية التي خفت موازينها وتزداد سعة الأوساط التي تطالب وتناضل من أجل ازاحة كابوسها عن صدر الشعب المثقل بالآلام.

إن شعبنا لن يقيم وزناً لهذه الانتخابات ولا لنتائجها لأنه لا يعترف أصلاً بشرعية النظام الذي يجريها.

ولا انتخابات حرة في ظل الدكتاتورية والارهاب!

وسيظل شعبنا يناضل من أجل اسقاط الدكتاتورية الفاشية عبر تحالف قواه الوطنية في جبهة عريضة ومن أجل اقامة حكومة وطنية ديمقراطية ائتلافية تمثل كل قوى شعبنا [illegible]ة، تأخذ على عاتقها اجراء انتخابات [illegible]، في ظل الحريات الديمقراطية والتعددية السياسية، ينبثق عنها مجلس وطني يمثل ارادة الشعب حقاً.

فهذا هو الطريق الصحيح للخلاص من دوامة الأنظمة الرجعية والدكتاتورية، طريق بناء عراق الديمقراطية والازدهار والتقدم الاجتماعي.

المكتب السياسي
للجنة المركزية للحزب الشيوعي
العراقي
١ / ٤ / ١٩٨٩

بلاغ صحفي عن الاجتماع الموسع للجنة التحضيرية العراقية للمهرجان العالمي الثالث عشر للشبيبة والطلبة

شبيبة وطلبة العراق يداً بيد مع شبيبة وطلبة العالم نحو المهرجان العالمي الثالث عشر

بدعوة من سكرتاريتها التنفيذية، عقدت اللجنة التحضيرية العراقية للمهرجان العالمي الثالث عشر للشبيبة والطلبة اجتماعاً موسعاً بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٨٩ شارك فيه ممثلون عن قيادات المنظمات الأعضاء في اللجنة: ١ ـ اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي. ٢ ـ اتحاد الطلبة والشبيبة الديمقراطي الكردستاني / العراق. ٣ ـ اتحاد شبيبة العراق. ٤ ـ اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية. ٥ ـ رابطة المرأة العراقية. ٦ ـ اتحاد طلبة وشبيبة كادحي كردستان. ٧ ـ الاتحاد الوطني لطلبة العراق. ٨ ـ الاتحاد الطليعي لطلبة كردستان. ٩ ـ رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين.

ناقش المجتمعون بمزيد من الاهتمام والحرص تقريري السكرتارية التنفيذية المقدمين للاجتماع بخصوص سير عملية التحضير العالمية للمهرجان، ونشاطات وفعاليات اللجنة التحضيرية العراقية وفروعها على شرف المهرجان.

كما استمع الاجتماع إلى نشاطات المنظمات

الأعضاء في اللجنة، الخاصه بها، أو المشتركة مع المنظمات الشقيقة والصديقة من أجل أوسع تحضير ونجاح للمهرجان العالمي.

وتدارس المجتمعون التوجهات الأساسية اللاحقة للجنة التحضيرية العراقية وسكرتاريتها التنفيذيه وفروعها وبممثلياتها، والتي ينبغي التركيز عليها على طريق التحضير للمهرجان وفي سبيل أنجح مشاركة لوفد شبيبة وطلبة العراق الوطنيين والديمقراطيين والتقدميين في المهرجان، ومن أجل الاسهام الفعال في دعم الأفكار النبيلة للحركة المهرجانية العالمية والجهود التي يواصلها شباب وطلاب العالم ومنظماتهم الديمقراطية على هذا الصعيد.

لقد أكد المشاركون على الأهمية الفائقة لأن تشهد الفترة القادمة مختلف الأنشطة التي تبرز نضال شبيبة وطلبة العراق ضد الفاشية والحرب وفي سبيل السلام والديمقراطية والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق.

إن الاجتماع، وقد انعقد في ظل استمرار الأوضاع الشاذة، البالغة التعقيد والعسف، حيث يتواصل الارهاب والقمع والتهجير لجماهير شعبنا في مختلف أرجاء العراق، وفي كردستان خاصة، يؤكد على أن جماهير شبيبتنا وطلبتنا قادرة، رغم كل ذلك، على مواصلة فعالياتها التحضيريه للمهرجان العالمي وبالأشكال والأساليب المناسبة.

كما عبر الاجتماع عن تقديره الكبير للنشاطات التحضيرية التي تواصلها السكرتارية التنفيذية للجنة التحضيرية العراقية، وأكد على ضرورة دعمها من قبل المنظمات الأعضاء في اللجنة بشكل خاص، فضلاً عن المنظمات والمؤسسات والشخصيات السياسية والجماهيرية والاجتماعية العراقية الديمقراطية والتقدمية الأخرى.

هذا وقد اتخذ الاجتماع جملة من القرارات والتوصيات التنظيمية والتي من شأنها تعزيز مكانة اللجنة التحضيرية العراقية على الصعيد الوطني والعربي والاقليمي والعالمي.

وفي ختامه، وجه الاجتماع تحيه تقدير واعتزاز لكل من اللجنة التحضيرية العالمية الدائمة للمهرجان، واللجنة الـ الكورية للجهود الكبيرة التي تبذل على طريق التحضير للمهرجان «من أجل التضامن المعادي للامبريالية وفي سبيل السلام والصداقة».

الاجتماع الموسع
للجنة التحضيرية العراقية
للمهرجان العالمي الثالث عشر للشبيبة والطلبة

السعر دينار ونصف